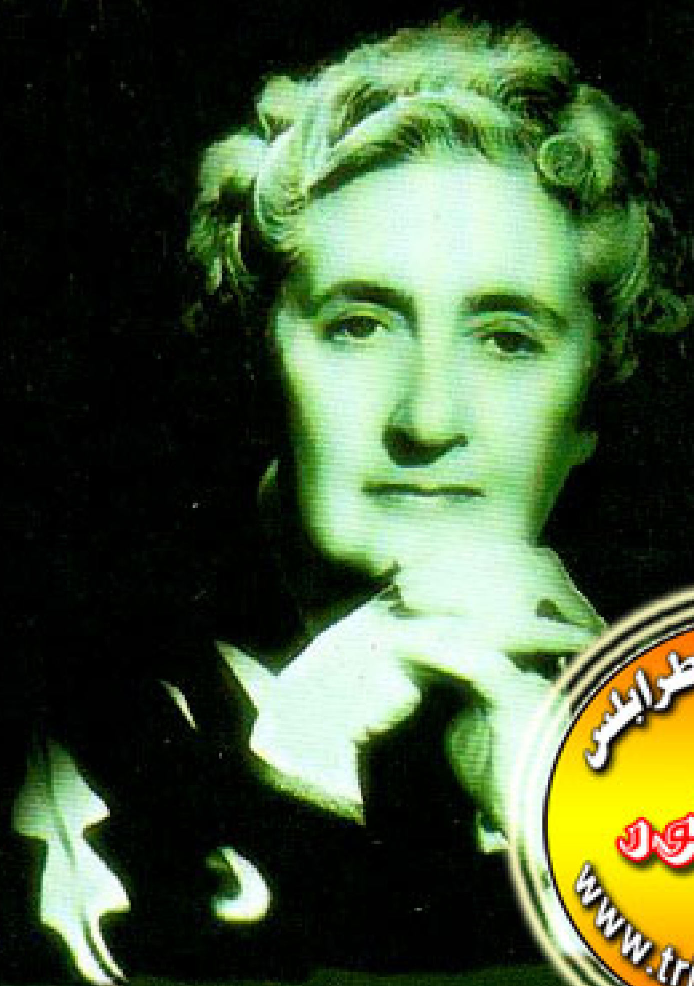
أكثر الروايات إثارة

أجاثا كريستي

نجمة الصباح



الحرية للنشر والتوزيع







AGATHA CHRISTIE

مجموعة من القصص البوليسية المثيرة، التى تظهر فيها حنكة وبراعة الكاتبة البوليسية الرائعة (أجاثا كريستى)، بما عرف عنها من تصوير رائع لأحداث ومقدمات الجرائم، وكيفية الإهتداء إلى القاتل الذى لا تتجه إليه الأنظار لأول وهلة، ولا يخطر على بال أحد أنه هو الجانى.





3 ميدان عرابى - وسط البلد - القاهرة
+2 012 38 77 921 - +2 02 574 56 79

اسم الكتاب | نجمة الصباح

ترجمة | أحمد حسن

الناشر

توزيع

ـ القاهرة

رقم

الترقيم



الحرية للنشر والتوزيع

3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة

0123877921 - 25745679

الخدعة

ذهبت لزيارة صديقى هركيول بوارو فى مسكنه فوجدته مشغولا الى درجة كبيرة، ولا غرو فقد بلغت شهرته الى حد أن كل امرأة ثرية تفقد سوارها او كلبها المدلل تبادر فتلجأ الى المخبر السرى المشهور هركيول بوارو، وكان صديقى البليجكى القصير خليطا عجيبا من الرجل الواقعى والفنان الملتهب العاطفة، وما كان يقبل القضايا التى لا تثير اهتمامه الا لإشباع غريزته.

وكان الى جانب ذلك يتولى التحقيق فى قضايا لم يكن يجنى منها الا القليل. وكان يضطلع فى بعض الأحيان بقضايا أخرى لا يجنى منها شيئا على الإطلاق لا لشئ الا أنها تأتيه بمعضلة تثير اهتمامه بالذات. وكانت النتيجة انه أجهد نفسه كما سبق القول. وقد اعترف لى بذلك ولم أجد عندئذ أية صعوبة فى إقناعه بمرافقتى لقضاء إجازة لمدة

أسبوع فى ذلك المصيف الجميل، فى الساحل الجنوبى المعروف باسم مصيف ابرموث.

وقضينا هناك أربعة أيام ممتعة، ولكنه جاءنى فى صباح اليوم الخامس وفى يده خطاب وقال لى: هاستنجز.. لا ريب انك لا تزال تذكر صديقى جوزيف آرونز، الوسيط المسرحى؟

واضطررت الى بذل مجهود كبير لكى أتذكر الرجل فان أصدقاء بوارو كثيرون، ومنها أوساط مختلفة تبدأ من الزبال الى الدوق.

– حسنا يا هاستنجز. ان جوزيف آرونز يقيم الآن فى شارلوك باى، فقد نصحه طبيبه بأن يستجم بضعة أيام. وهو يطلب منى أن اذهب لمساعدته فى حل مشكلة صغيرة تقلقه. وجوزيف آرونز صديق حميم لى وقد سبق أن أسدى الى خدمات جليلة وأرانى مضطرا إلى تلبية ندائه.

– طبعا، ثم ان شارلوك باى مكان جميل لم يسبق لى أن رأيته من قبل.

– ما دام الأمر كذلك فسوف نجمع بين المتعة والعمل. هل لك أن تستفسر عن مواعيد القطارات.

– أظن أنه لابد لنا من أن نغير القطار أكثر من مرة فانك تعرف خطوط الضواحى. فلكى ننتقل من مكان ما فى جنوب ديفون الى مكان آخر فى شمالها ربما يضيع علينا اليوم كله.

ولكننى لم ألبث ان علمت اننا لن نغير القطار الا مرة واحدة فى اكستر وان وسائل النقل فيها مريحة جدا. وأسرعت الى الفندق

لأطمئن بوارو. ومررت فى طريقى بمكتب (سبيدى للرحلات) ووقع نظرى على إعلان هذا نصه:

(رحلة ترفيهية غدا الى شارلوك باى.. الرحيل فى الساعة الثامنة والنصف.. ستمر السيارة بأجمل أماكن ديفو نشاير)..

وجمعت بعض المعلومات الإضافية وعدت الى الفندق وأنا جد سعيد باكتشافى هذا ولكننى لسوء الحظ لقيت صعوبة كبيرة فى إقناع بوارو لكى يشاركنى حماسى فقد قال لى:

– لماذا هذا الحماس الشديد للسيارة يا صديقى؟ أن القطارات أضمن طريقة للسفر فعجلاتها لا تنفجر والحوادث لا تهددنا عند كل منحن والنوافذ محكمة الإغلاق ولا تعرضنا للتيارات الهوائية.

واعترضت فى خجل بان هناك ميزة تجعلنى أفضل السيارة وهذه الميزة هى استنشاق الهواء النقى.

– واذا أمطرت الدنيا؟.. ان مناخكم الإنجليزى يتغير كثيرا.

– اذا حدث هذا فسوف تلغى الرحلة.

قال بوارو: آه.. أرجو أن تمطر الدنيا غدا اذن..

– اذا كان هذا هو إحساسك و..

– كلا، كلا يا صديقى. أرى أنك تميل الى هذه الرحلة. وأن معى لحسن الحظ معطفى السميك وكوفيتين.

وتنهد ثم قال: ولكن هل نبقى فى شارلوك باى وقتا كافيا؟

- سيتعين علينا قضاء الليل هناك لان الأتوبيس سيمر بدارتمور وسنتناول الغداء فى مونكهاديفون ونبلغ شارلوك باى فى الساعة الرابعة. وسيعود الأوتوبيس بعد ذلك فى الساعة الخامسة ويصل فى العاشرة.

قال بوارو:

- هكذا! وهناك أناس يستمتعون بمثل هذه الرحلة! سنحصل على أجرة مخفضة طبعا ما دمنا لن نعود بالأوتوبيس.

- لا أظن أنهم سيرضون بذلك.

- لابد لنا من الإصرار.

- لا تكن بخيلا يا بوارو فانك رجل موسر.

- ليست المسألة مسألة بخل يا صديقى. ولكنها مسألة مبدأ. حتى اذا كنت مليونيرا فاننى لن أدفع الا ما هو حق.

وكما توقعت فشل بوارو فى محاولته هذه، فان الرجل المكلف بقطع التذاكر فى مكتب (سيبدى للرحلات) كان صلبا عنيدا متشبث الرأى. وصمم على أنه لابد لنا من العودة بالأتوبيس بل انه أشار الى انه لابد لنا من ان ندفع مبلغا إضافيا لكى نستمتع بميزة مغادرة الأوتوبيس من شارلوك باى.

وغلب بوارو على أمره ودفع المبلغ المطلوب وغادر المكتب وزمجر يقول: أن الإنجليز لا يفهمون فى المسائل المالية. هل رأيت يا هاستنجز ذلك الشاب الذى دفع الأجرة كاملة مع انه قال انه سيغادر الأوتوبيس

فى مونكهامبتن؟

- لا أظن أننى رأيته.. الواقع اننى..

- انك كنت تنظر الى الفتاة الشابة التى حجزت المقعد رقم ٥ المجاور لمقعدينا. آه. نعم يا صديقى. أننى رأيتك. وهذا هو السبب فى أننى عندما أوشكت أن أحجز المقعدين رقم ١٣ أو ١٤، وهما مقعدان مناسبان ويقعان فى وسط العربة بعيدا عن التيارات الهوائية دفعتنى بغلظة قائلا أن المقعدين رقم ٣ و ٤ افضل.

احمر وجهى وقلت: ولكن يا بوارو..

- الشعر الأحمر.. دائما الشعر الأحمر..

- مهما يكن من أمر فأنها أمتع للنظر من ذلك الشاب الذى تذكره.

- وجهة نظر.. كان الشاب بالنسبة لى أكثر أهمية.

كان فى لهجة بوارو شئ غريب جعلنى أنظر إليه على الفور واسأله: لماذا؟.. ماذا تعنى؟

أوه.. لا داعى للانفعال. انه أثار اهتمامى لا لشئ الا انه يحاول أن ينمى شاربه عبثا.

وراح يبرم شاربه فى خيلاء وهو يقول:

- ان تنمية الشوارب فن واننى أتعاطف مع كل الذين يحاولون تنميتها.

ومن العسير دائما مع بوارو أن يعرف المرء اذا كان يجد أو يهزل او اذا كان يلهو على حساب غيره. وفى تلك اللحظة بالذات رأيت أن من

الحكمة أن لا أنطق بشئ.

وفى صباح اليوم التالى كان الجو صافيا والشمس ساطعة. وكان يوم جميلا حقا ومع ذلك فان بوارو لم يشأ أن يترك شيئا للظروف فلبس صدرية من الصوف ومعطفا سميكا وآخر واقيا من المطر وكوفيه وابتلع قرصين من الاقراص المضادة لنزلات البرد وأخذ معه بضعة أقراص اخرى من جهة الاحتياط.

وأخذنا معنا حقيبتين صغيرتين. وكانت الفتاة التى رأيناها بالأمس تحمل حقيبة صغيرة هى الأخرى، وكذلك الشاب الذى أثار انتباه بوارو. ولم يكن معهما أيه أمتعة أخرى. وأخذ السائق الحقائب منا ووضعها فى مكان بجواره ثم أخذ كل منا مجلسه.

ونظر بوارو الى وأشار فى شئ من الخبث الى المقعد الداخلى بجوار النافذة وهو يقول لى (لكى يتسنى لك استنشاق الهواء)..

وجلس هو بجوار جارتنا الحسناء ولكنه لم يلبث أن غير مكانه بعد ذلك، فان شاغلى المقعد رقم ٦ كان رجلا مرحا صاخبا، وسأل بوارو الفتاة ان كانت تحب ان يتبادل كل منهما مقعد الآخر. وقبلت الفتاة شاكرة وجلست مكانه ولم نلبث ان دار بيننا الحديث كما لو كانت بيننا سابق معرفة.

كانت لا تزال فى ريعان الصبا لم تتجاوز التاسعة عشر من عمرها بعد وتبدو كما لو كانت طفلة. ولم تلبث أن أفضت الينا بسبب رحلتها فقالت انها مسافرة لعمل يخص خالتها وأن هذه الأخيرة تملك محلا تجاريا لبيع الآثار والتحف.

كانت هذه الأخيرة قد الفت نفسها فى موقف عصيب بعد موت زوجها. ولم تكن تملك غير رأسمال صغير ولكن بيتها كان عامرا بأشياء كثيرة جميلة خلفها لها أبوها فاستخدمتها مع رأس المال المذكور وبدأت بهما تجارة رابحة ولم تلبث أن اشتهر اسمها واقترن بتلك التجارة. وأقبلت فتاتنا واسمها مارى دورانت للعمل مع خالتها لتتعلم هذه المهنة التى تؤثرها على مهنة الوصيفة، وهو المستقبل الوحيد الذى كان مفتوحا أمامها.

وهز بوارو رأسه محبذا اختيار الفتاة وقال:

- اننى واثق انك ستفلحين فى هذه المهنة يا آنسة. ولكن اسمحى لى ان أزودك بنصيحة صغيرة وهى (لا تثقى بأى شخص يا آنسة فان الدنيا مملوءة باللصوص والمحتالين وقد يكون بعضهم موجودا فى هذه العربة. يجب أن يبقى الإنسان حريصا متشككا.

واذ نظرت الفتاة إليه فاغرة فاها استطرد يقول: اننى لا أبالغ. ومن يدرى؟ قد أكون أنا نفسى مجرما من أعتى المجرمين.

وتلألأت عيناه مرحا وهو يرى دهشة الفتاة.

وتوقفنا فى مونكهامبتن لتناول الغداء. وبعد أن تبادل بوارو بضع كلمات مع السائق تمكن من الحصول على مائدة صغيرة لثلاثتنا بجوار النافذة. وفى الخارج تجمعت نحو عشرين عربة أتت من كل ناحية. وكانت قاعة الطعام مزدحمة.

وقلت مقطبا.

- ان متعة الرحلة لتضيع وسط هذا الزحام.

وافقتنى مارى دورانت قائلة:

- ان ايبرمونت لا تعرف الهدوء فى الصيف فى الوقت الحاضر. وقد قالت لى خالتى أن البلد يكاد يكون مقفرا فى الماضى. أما الآن فان المرء يكاد لا يعرف كيف يشق طريقه.

- ولكن هذا مفيد للتجارة يا آنسة.

- ليس لتجارتنا بالذات. فاننا لا نبيع الا أشياء الثمينة. أننا لا نهتم بالتحف الرخيصة. ان لخالتى عملاء فى جميع أنحاء إنجلترا. إذ أراد شخص قطعة من الأثاث قديمة العهد أو مقعدا تاريخيا أو آنية من الخزف الثمين فما عليه الا أن يكتب لها فتحصل له على ما يريد أن عاجلا وان آجلا. وهذا ما حدث هذه المرة بالذات.

- واذا بدأ علينا الاهتمام استطردت فى حديثها فقالت ان امريكيا يدعى مستر ج. بيكر وود، وهو رجل معروف بهوايته فى جمع اللوحات المصغرة، عرف أن مجموعة ثمينة منها ظهرت فى السوق حديثا وأن مس بن اليزابيث، وهو اسم خالتها قد اشترتها من أجله. وقد كتبت لمستر وود تصف له المصغرات وذكرت له ثمنا فأجابها على الفور بأنه مستعد لدفع الثمن الذى تطلبه اذا كانت المصغرات كما وصفتها له. وسألها أن ترسلها اليه مع رسول خاص حيث يقيم فى شارلوك باى.؟ فأوفدت مس دورانت للقيام بهذه المهمة.

وقالت:

- وهى مصغرات رائعة حقا ولكننى لا أستطيع أن أتصور أن هناك من يدفع هذا المبلغ الكبير.. خمسمائة جنية.. انه مبلغ جسيم. انها من رسم كوزواى.. أو على الأقل أظن أن هذا هو الاسم الذى ذكرته خالتى فاننى لا افهم فى مثل هذه الأمور.

ابتسم بوارو وقال:

- مازلت تحتاجين الى خبرة يا آنسة.

قالت مارى فى اكتئاب:

- لم أتمرن بما فيه الكفاية بعد. ولكن عزائى أن خالتى نفسها مازالت بحاجة الى خبرة كبيرة فى هذا المضمار.

وتنهدت. ولكننى لم البث أن رأيت عينيها تتسعان لفرط الدهشة. كانت تجلس فى مواجهة النافذة واتجه بصرها وهى تتكلم الى الفناء الخارجى وتمتمت بكلمة ونهضت من مقعدها وأسرعت تعدو خارج القاعة. وعادت بعد لحظات وهى تلهث. وقالت تعتذر:

- يؤسفنى أننى غادرتكما هكذا فجأة. فقد خيل لى اننى رأيت رجلا يحمل حقيبتى ويخرج بها من الاوتوبيس. وقد عدوت خلفه ولكن اتضح أنها حقيبته. انها تكاد تشبه حقيبتى. وقد كاد منظرى يدعو الى الرثاء فكأننى اتهمت ذلك الرجل الغريب بأنه لص.

وضحكت ولكن بوارو لم يضحك وقال:

- ومن كان هذا الرجل يا آنسة. صفيه لى.

- انه شاب نحيف يرتدى بذلة سمراء وله شارب صغير فى بداية

نموه.

- آه، انه صديق الأمس يا هاستنجز. هل تعرفين هذا الشاب يا آنسة؟ وهل رأيته قبل ذلك؟

- كلا. هذه أول مرة أراه فيها. لماذا؟

- لا شئ.. ولكنه أمر غريب لا أكثر ولا أقل.

وأخلد الى الصمت ولم يشترك فى الحديث بعد ذلك الا حين نطقت مارى دورانت بكلمة أثارت اهتمامه فقال:

- آه!.. ماذا تقولين يا آنسة؟

- قلت اننى يجب أن أكون على حذر من اللصوص أثناء العودة فاننى أعتقد أن مستر وود سيدفع لى الثمن نقدا. واذا عدت وفى جيبى خمسمائة جنيه فسوف أكون موضع اهتمام اللصوص.

وضحكت مرة أخرى وللمرة الثانية لم يضحك بوارو ولكنه بدلا من ذلك سألها أين تنوى أن تقضى الليل فى شارلوك باى.

- فى فندق أنشور. انه فندق صغير معتدل ومريح.

فقال بوارو:

- عجبا! تقولين فندق أنشور؟.. انه نفس الفندق الذى وقع اختيار هاستنجز عليه.

وغمز لى بعينه. وقالت مارى:

- هل ستبقيان فى شارلوك باى مدة طويلة؟

- ليلة واحدة فحسب فان لدى عملا هناك. اننى واثق أنه لا يمكنك أن تخمنى ما هى مهنتى يا آنسة.

رأيت مارى تواجه احتمالات كثيرة كانت لا تلبث أن تقصيها عنها فى حذر. وأخيرا قالت انها تظن أنه يشتغل بمهنة الحواة. وأطربه هذا القول كثيرا وقال:

- يا لها من فكرة! هل تظنين أننى أخرج الأرانب من القبعة؟ كلا يا آنسة. ان مهنتى على النقيض من مهنة الحواة. ان الحاوى يخفى الأشياء أما أنا فأعيدها الى الظهور.

وانحنى الى الأمام فى شئ من الكبر كما لو كان يريد أن يضفى على كلماته تأثيرا أكثر وقال:

- هذا سر يا آنسة. ولكنى سأكشفه لك. انا مخبر سرى.

واضطجع فى مقعده الى الوراء وقد أطربه التأثير الذى أحدثته كلماته. وحدقت مارى دورانت فيه مسحورة. ولكنه لم يلبث أن أمسك عن الحديث على أثر صوت أبواق تدوى فى الخارج معلنة بان الأتوبيس على وشك الانطلاق.

وفى طريقنا الى الخارج أطريت جمال زميلتنا ورقتها فقال بوارو:

- نعم. انها رقيقة ولكنها غبية جدا.

- غبية؟

- لا تغضب. ان الفتاة يمكن أن تكون جميلة وان يكون لها شعر أسمر ويمكن ان تكون الى جانب كل هذا غبية. فانه من الغباء أن

تأتمن رجلين غريبين عنها على أسرارها كما فعلت.

- ذلك أنها رأت أن مظهرنا يدل على أننا رجلان شريفان.

- وهذا يدل على الغباء يا صديقى فان المظهر لا يدل على شئ أبدا. ثم أنها قالت انها ستتوخى الحذر عندما يكون معها خمسمائة جنيه مع أنها تحمل معها هذا المبلغ فى هذه اللحظة.

- عبارة عن لوحات مصغرة؟

- تماما. ليس هناك بين الأمرين اختلاف كبير يا صديقى.

- ولكن ليس هناك من يعرف عن هذه اللوحات شيئا غيرنا.

- وهل نسيت الساقى والآخرين الذين كانوا يجلسون الى المائدة المجاورة لمائدتنا؟ ولا ريب أن هناك أناسا كثيرين فى أبرمونت كذلك.

ان الآنسة دورانت جميلة ورقيقة طبعا ولكننى لو كنت مكان الآنسة بن لبدأت بتلقينها درسا فى الحرص والحذر.

وأمسك هنيهة ثم قال فى صوت مختلف:

- لا ريب أنك تعرف يا صديقى أنه ليس هناك أسهل من أخذ حقيبة من الأتوبيس ونحن نتناول طعام الغداء.

- وما كان ذلك من غيره أن يلاحظه أحد.

- وماذا كان يمكن لمن يراه أن يفعل؟ سيعتقد أنه أحد المسافرين وأنه خرج بحقيبته... يمكن لأى شخص أن يأخذ الحقيبة أمام بصر الجميع من غير أن يلحظه أحد.

- هل تعنى؟. هل توعز؟... ولكن ذلك الشاب ذا البذلة السمراء... كانت حقيبته بالذات.

عبس بوارو وقال:

- يبدو ذلك. مهما يكن من أمر فانه من المستغرب انه لم يأخذ حقيبته عندما وقف الأتوبيس. لاحظ انه لم يتناول غداءه هنا.

قلت فى بطء:

- لو أن مس دورانت لم تجلس فى مواجهة النافذة لما رأته.

قال بوارو:

وما دامت الحقيبة حقيبته فلم يعد للأمر أهمية. ولهذا دعنا نطرحه من ذهننا يا صديقى.

ومع ذلك، وبعد أن عدنا الى أماكننا وانطلقت بنا العربة من جديد عاد بوارو فنصح الفتاة للمرة الثانية بأن تتكتم أمرها معددا لها الأخطار التى كان يمكن أن تتعرض لها نتيجة لإفراطها فى الكلام، وتقبلت الفتاة نصيحته فى هدوء كما لو كان الأمر لا يزيد عن مزحة.

وبلغنا شارلوك باى فى الساعة الرابعة، ولحسن الحظ وجدنا غرفتين فى فندق أنشور، وهو فندق جميل يقع فى أحد الشوارع الجانبية.

وكان بوارو وقد فرغ من إفراغ حقيبته ووضع قليلا من الكريم على شاربه استعدادا لزيارة جوزيف آرونز عندما طرق الباب فى عنف فقلت:

- ادخل. وما كانت أشد دهشتى عندما رأيت مارى دورانت تدخل شاحبة اللون دامعة العينين وقالت:

- ألتمس المعذرة، ولكن حدث أفظع شئ.

وتحولت الى بوارو وسألته:

- قلت لى أنك مخبر سرى.

- ماذا حدث يا آنسة؟

- فتحت حقيبتى، وكانت المصغرات فى صندوق صغير مكسو بجلد التمساح. وكان مقفلا بالمفتاح... انظر ما حل به.

وبسطت فى يدها صندوقا فحصه بوارو جيدا.

وكان واضحا أن القفل قد اغتصب بقوة وان الذى اغتصبه استخدم كل قوته لذلك. وهز بوارو رأسه وسألها:

- والمصغرات؟

ولم تكن هناك حاجة الى هذا السؤال لأننا كلنا نعرف الرد عليه مسبقا.

- اختفت... سرقت... أوه، ماذا أفعل؟ قلت:

اطمئنى يا آنسة. ان صديقى هو هركيول بوارو، ولا ريب أنك سمعت عنه. ليس هناك من يستطيع إعادتها اليك غيره هو.

- مستر بوارو؟... مستر بوارو الشهير؟

اغتبط بوارو إزاء هذا الإعجاب الكبير الذى ظهر فى صوتها وقال:

- نعم يا ابنتى. انا هو. ويمكنك أن تعهدى بمشكلتك الصغيرة الى. سأبذل كل ما فى وسعى ولكننى أخشى... أخشى أن يكون الوقت قد فات. قولى لى، هل اغتصب السارق قفل حقيبتك هى الأخرى؟

هزت رأسها فقال:

أريد أن أراها اذا سمحت.

ومضينا معها الى غرفتها. وفحص بوارو الحقيبة فحصا دقيقا. كان من الواضح أنها فتحت بمفتاح وقال بوارو:

- ان من السهل فتحها طبعا فان مثل هذه الحقائب مزودة بأقفال عادية.

حسنا. يجب ان نستدعى رجال البوليس وأن نتصل بمستر بيكر وود بأسرع ما يمكن. وسأهتم أنا بنفسى بذلك.

وذهبت معه وسألته بما كان يعنيه بقوله ان الوقت ربما فات فقال:

- اننى قلت اليوم يا عزيزى اننى على نقيض الحاوى واننى أظهر الأشياء التى تختفى. ولكن لنفترض أن شخصا ما قد سبقنا.. الا تفهم..؟ ستفهم بعد لحظة.

ودخل كشك التليفون وخرج منه بعد خمس دقائق وقد بدا عليه الجد وقال:

- حدث ما كنت أخشاه. يا صديقى فقد ذهبت امرأة الى مستر بيكر وود منذ نصف ساعة ومعها المصغرات وقالت انها آتية من قبل الآنسة اليزابيث بن. وقد اغتبط مستر بيكر باللوحات ونقدها الثمن

فورا.

- منذ نصف ساعة؟... أى قبل ان نصل هنا.

ابتسم بوارو فى شئ من الغموض وقال:

ان الأوتوبيس سريع طبعا ولكن السيارة الخاصة أسرع وفى الإمكان أن تأتى من مونكهامتن الى هنا قبلنا بنحو ساعة على الأقل.

- وماذا تفعل؟

- أنت رجل عملى دائما يا هاستنجز؟ سنبلغ البوليس ونبذل كل ما نستطيع لمس دورانت و... نعم. وأظن أنه لابد لنا من مقابلة مستر ج. بيكر وود.

واتبعنا هذا البرنامج بدقة. وكانت مس دورانت المسكينة فى حالة يرثى لها فقد كانت تخشى تعنيف خالتها. وقال بوارو ونحن فى طريقنا الى فندق سبسايد حيث يقيم مستر بيكر وود.

- وسوف تعنفها طبعا. ولها الحق فى ذلك فان مجرد تركها لوحات بخمسمائة جنيه فى الحقيبة وذهابها لتناول الطعام!... وعلى كل حال يا صديقى، فهناك نقطة أو نقطتين تثيران الدهشة... لماذا اغتصب السارق قفل الصندوق مثلا؟

- لكى يحصل على اللوحات المصغرة طبعا.

- ولكن ألم يكن هذا العمل حماقة منه؟ كيف يعقل انم يفتح السارق الحقيبة أثناء تناولنا الطعام فى حين كان من الأسهل له أن يفتح الحقيبة ويأخذ الصندوق ويضعه فى حقيبته ثم يبادر بالفرار بدلا

من إضاعة الوقت فى اغتصاب القفل.

- كان يريد أن يتأكد من أن اللوحات موجودة بداخله.

لم يبد أن بوارو قد اقتنع. ولكننا لم نستطع المزيد فقد أقبل الخادم فى هذه اللحظة ودعانا للدخول.

وما أن رأيت مستر بيكر وود حتى أحسست بالنفور منه فقد كان رجلا ضخما سوقيا يرتدى ثيابا غالية ويضع فى يده خاتما ثمينا به فص من الماس. وكان جعجاعا متوعدا.

لم يشتبه فى شئ طبعا. ولماذا يشتبه؟. فقد جاءته المرأة باللوحات وكانت حقيقيه فنقدها الثمن. هل يعرف أرقام الأوراق المالية؟ كلها طبعا. ومن هو مستر بوارو هذا لكى يأتيه ويستجوبه هكذا.

- لن ألقى عليك بعد ذلك غير سؤال واحد يا سيدى وهو أن تصف لى المرأة التى جاءتك. هل كانت شابة وجميلة؟

- كلا. لم تكن لا هذا ولا ذاك... أبدا.. كانت امرأة طويلة القامة متوسطة السن ذات شعر خطه المشيب ولها بشرة خشنة وشارب فى طور النمر... امرأة بعيدة عن الجمال.

وصحت أقول بمجرد أن انصرفنا:- بوارو... هل سمعت... شارب فى طور النمو.

- ان لى اذنى يا هاستنجز.

- هذا الأمريكى... يا له من رجل بغيض.

- انه لا يعرف الرقة.

قلت: حسنا. لن يتعذر القبض على اللص فان فى مقدورنا أن نهتدى اليه.

- ما أشد سذاجتك يا صديقى. الا تعرف أنه ينقصنا الدليل؟

- هل تعتقد انه سيستطيع التدليل على براءته؟

ودهشت اذ أسرع بوارو يقول: أرجو ذلك حقا. فقلت:

- ان المشكلة معك هو انك تحب أن تجعل كل قضية عسيرة.

- هو ذلك يا صديقى، فاننى لا أحب... ماذا تقول؟... لا أحب أن أطارد العصفور الذى لا يتحرك. وصح ما توقعه بوارو فقد اتضح أن زميلنا فى الرحلة يدعى مستر نورتون كينى وانه ذهب رأسا الى فندق جورج بمونكهامبتون وقضى فترة بعد الظهر هناك. وكانت الشبهة الوحيدة التى ضده هى شهادة مس دورانت التى صرحت بأنها رأته يخرج بحقيبة من العربة أثناء تناول طعام الغداء.

وقال بوارو فى تفكير:- وهذا ليس عملا مشبوها على كل حال.

وبعد هذه الملاحظة غرق فى الصمت ورفض مناقشة هذا الأمر أكثر من ذلك، وعندما ألحت عليه قال انه يفكر فى الشوارب بصفة عامة وأن على أن آخذو حذوه.

واكتشفت على الرغم من ذلك أنه طلب من جوزيف آرونز، وكان قد قضى الأمسية معه أن يمده بكل ما يمكن معرفته عن مستر بيكر وود. ولما كان الرجلان يقيمان فى نفس الفندق فقد كان من السهل عليه أن

يحصل على بعض المعلومات، ومهما يكن من أمر فقد احتفظ بوارو بما عرفه لنفسه.

وعادت مارى دورانت الى ابرمونت فى صباح اليوم التالى بعد أن أجابت على أسئلة البوليس. وتناولنا الغداء مع جوزيف أرونز وبعد ذلك اخبرنى بوارو أنه حل مشكلة صديقه حلا مرضيا وانه أصبح فى مقدورنا ان نعود الى ابرمونت بأسرع ما يمكن. وأردف يقول:

- لن نعود بالأتوبيس يا صديقى بل سنستقل القطار.

- هل تخشى أن يسرق أحد نقودك أو أن تلتقى بفتاة أخرى تعانى من مشكلة ما؟

- نفس هذين الشيئين يمكن أن يقعا لى فى القطار يا هاستنجز. كلا. اننى أتعجل العودة الى ابرمونت لأننى أريد أن أتابع التحقيق فى قضيتنا.

- قضيتنا؟

- نعم يا صديقى. لقد لجأت الآنسة دورانت الى تنشد مساعدتى، واذا كان رجال البوليس قد تولوا الأمر بأنفسهم فليس معنى هذا أن أنفض يدى منها. أننى أتيت هنا لكى أسدى خدمة لصديق ولكن لن يقول أحد أن هركيول بوارو تخلى عن رجل غريب فى محنة.

ونفخ صدره فى عظمة فقلت فى خبث:- أظن أنك اهتممت به قبل ذلك... فى مكتب الرحلات عندما وقع بصرك عليه لأول مرة، وان كنت لا أدرى ما الذى أثار اهتمامك فى أمره.

- ألا تدرى حقا يا هاستنجز؟... كان يجب أن تدرك... حسنا، هذا سرى أنا وسأحتفظ به.

وقبل أن نغادر البلد تبادلنا حديثا قصيرا مع مفتش البوليس الذى يتولى التحقيق فى هذه القضية. وقال لنا انه استجوب مستر نورتون كينى وان الأقوال التى أدلى بها لم تحدث أثرا طيبا فى نفسه فان الشاب راح يتكلم فى عنف وينكر ويناقض نفسه. واعترف المفتش قائلا:

- ولكننى لا أدرى حقا كيف تمت هذه الخدعة. لعله ناول الغنيمة الى شريك له ولعل هذا الأخير أسرع الى مستر بيكر وود فى سيارة سريعة. ولكن ليست هذه الا مجرد نظرية. يجب أن نهتدى الى السيارة والى الشريك وبهذا نحصل على الدليل.

هز بوارو رأسه فى تفكير. وسألته ونحن نجلس فى القطار.

- هل تظن أن هذا هو ما حدث؟

- كلا يا صديقى. بل حدثت السرعة بطريقة أخرى تدل على ذكاء كبير.

- ألا تريد أن تخبرنى؟

- لم يحن الأوان بعد... أنت تعرف ان هذه نقطة الضعف فى... فاننى أحب الاحتفاظ بالسر حتى النهاية.

- وهل النهاية قريبة؟

- بل قريبة جدا.

وبلغنا ابرمونث بعد السادسة بقليل وانطلق بوارو على الفور الى المحل الذى يحمل اسم اليزابيث بن، وكان مغلقا ولكن بوارو دق الجرس ولم تلبث أن فتحت مارى بنفسها الباب وأبدت دهشتها وسرورها لرؤيتنا.

وقالت:

- تفضلا... ان خالتى بالداخل.

وقادتنا الى غرفة داخلية. وأقبلت امرأة متقدمة فى السن لمقابلتنا. كان لها شعر أشيب وتبدو هشة رقيقة ببشرتها الخشنة وعينيها الزرقاوين وتلف حول كتفيها وشاحا من الدانتيلا الثمينة. وقالت فى صوت رقيق:

- أهذا هو مستر بوارو الشهير؟ لقد حدثتنى مارى عنك. ولا أكاد أصدق هذا. هل ستساعدنا فى محنتنا حقا؟... هل ستقدم لنا النصح والمشورة؟

نظر بوارو اليها لحظة ثم أحنى رأسه وقال:

- ان التأثير رائع يا مس بن... ولكن يجب أن تتركى شاريك ينمو.

شهقت مس بن وارتدت الى الخلف. وقال بوارو:

- انك كنت متغيبة عن محلك أمس، فأين كنت؟

- كنت هنا فى الصباح ولكننى أصبت بصداع ومضيت الى البيت على الفور.

- كلا يا آنسة. انك حاولت تغيير الهواء لتخفيف حدة الصداع. أليس كذلك؟ وأظن أن هواء شارموك باى كان منعشا.

وأخذنى من ذراعى ومضى بى نحو الباب وتوقف هناك وتكلم من فوق كتفه:

- يجب أن تفهمى أننى أعرف كل شئ... يجب أن تنتهى هذه المهزلة الصغيرة!

كان فى صوته رنة تهديد. وامتقع وجه مس بن وهزت رأسها فى صمت وتحول بوارو الى الفتاة وقال فى رفق:

- انت فى عنفوان شبابك وجمالك يا آنسة. ولكن اشتراكك فى هذه الأعمال الصغيرة سيكون من جرائه اختفاء هذا الشباب وهذا الجمال خلف قضبان السجن وصدقينى ان هذا أمر يؤسف له.

ثم خرج الى الشارع وتبعته وأنا مشدوه.

- اهتممت بالأمر منذ البداية يا صديقى. عندما أخذ هذا الشاب تذكره الى مونكهامبتن فقط رأيت الفتاة تهتم به فجأة فتساءلت عن السبب. ولم يكن من هذا النوع الذى تهتم به الفتيات لشخصه. وعندما ركبنا العربة كان لدى إحساس بأن شيئا سوف يقع. من الذى رأى الشاب يعبث بالحقائب؟ الآنسة والآنسة وحدها. وتذكر أنها هى التى اختارت ذلك المقعد المواجه للنافذة، وهو اختيار لن تقدم عليه النساء بسهولة.

ثم تأتينا بعد ذلك بقصة السرقة والصندوق الذى اغتصب قفله

بطريقة غير معقولة كما قلت لك ذلك فى حينه.

وما هى نتيجة ذلك؟.. أن مستر بيكر وود دفع ثمن اللوحات المسروقة ولكنها ستعاد الى مس بن وستبيعها هذه الأخيرة ثانية وبهذا تحصل على ألف جنيه بدلا من خمسمائة. وقد تحريت عنها فى تكتم شديد وعلمت أن تجارتها غير رائجة فقلت لنفسى على الفور ان الخالة وابنة أخيها ضالعتان معا.

- اذن فأنت لم تشتبه أبدا فى نورتون كينى؟

- وله مثل هذا الشارب؟ كلا يا صديقى. المجرم اما أن يكون رجلا حليق الذقن والشارب واما أن يضع شاربا مستعارا يتسنى له إزالته فى كل وقت. ولكنها فرصة سنحت لها. وهى امرأة ذكية. ولها بشرة خشنة ولكنها اذا عدلت قامتها ولبست حذاء كبيرا وأضافت بضع شعيرات فوق شفتها العليا فكيف تبدو؟ تبدو كما لو كانت رجلا... امرأة مسترجلة كما يقول مستر بيكر وود أو كما نقول نحن على الفور رجلا متنكرا.

- وهل ذهب حقا الى شارلوك باى؟

- بكل تأكيد. ولعلك تذكر انك قلت لى ان القطار يغادر المدينة فى الحادية عشرة ويبلغ شارلوك باى فى الساعة الثانية. وقطار العودة أسرع منه، وهو الذى جئنا فيه. فهو يغادر شارلوك باى فى الساعة الرابعة ويصل فى السادسة والربع. وطبعا لم تكن اللوحات فى الصندوق بالتأكيد. فقد اغتصب القفل بطريقة فنية قبل وضعه فى الحقيبة. وكان على الآنسة مارى أن تعثر على رجلين مغفلين تأسرهما

برقتها وجمالها ويعطفان عليها فى محنتها ولكن أحد المغفلين لم يكن مغفلا... بل كان هركيول بوارو.

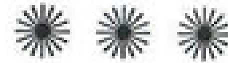
وأغاظتنى ملاحظته فأسرعت أقول:

- اذن عندما قلت أنك ترجو أن تساعد غريبا كنت تخدعنى... هذا هو ما فعلت تماما.

- اننى لا أخدعك أبدا يا هاستنجز، وانما أسمح لك بأن تخدع نفسك. كنت أتحدث عندئذ عن مستر بيكر وود، وهو رجل غريب عن هذه البلاد.

وتجهمت أساريره واستطرد يقول:

- آه.. أننى حين أفكر فى هذه الخدعة، وهذه الإضافة الجائرة... نفس الأجرة ذهابا وإيابا للذهاب فقط فان دمى يغلى ويحملنى على إغاثة الأغراب الذين يزورون البلد. ومستر بيكر وود رجل بغيض حقا وليس رقيقا كما تقول ولكنه غريب، ونحن الأغراب يا هاستنجز نحب ان نساند بعضنا بعضا.



الغزال الجريح

راح هيــــركـــــول بوارو يدق الأرض بقدميه وينفخ فى يديه وحبات الثلج تذوب فوق شاربه وتتساقط قطرات على الأرض.

وطرق الباب على عتبته خادمة ريفية جامدة الأسارير ونظرت الى بوارو فى شئ من الفضول. كان من الجائز انه لم يسبق لها ان رأت شخصا مثله.. وسألته تقول:

- هل دفعت الجرس؟

- نعم. هلا تكرمت وأشعلت النار؟

انصرفت ولم تلبث أن عادت ومعها ورق وحطب وانحنت أمام الموقد وبدأت تشعل النار فى حين استمر بوارو يدق الأرض بقدميه ويحرك ذراعيه وينفخ فى أصابعه.

كان بادى الضيق فان سيارته الثمينة التى كلفته مبلغا جسيما لم تقم بالواجب الذى كان ينتظره منها ولم يفلح سائقه الذى ينقده راتبا كبيرا فى إصلاح الخلل ورفضت السيارة فى آخر الأمر أن تؤدى اية خدمة بعد أن بلغت طريقا صغيرا ثانويا يبعد عن أية ناحية مأهولة بنحو ميلين فى جو زمهرين وتحت وابل من الثلج. واضطر هركيول بوارو، وكان يلبس حذاءه الأنيق اللامع أن يقطع هذين الميلين سيرا على الأقدام لكى يصل الى قرية هارتلى وين على شاطئ البحر... وهى قرية شديدة الصخب فى الصيف ولكنها تبدو ميتة تماما فى الشتاء.

وكان قدوم بوارو الى حانة (البجعة السوداء) مدعاة يأس كبير، وتكلم صاحب الحانة فى طلاقة فقال أن الجاراج الموجود بالقرية كفيل بأن يزود السيد بعربة تسمح له بمواصلة رحلته ولكن بوارو نبذ هذا الاقتراح ساخطا مدفوعا بما عرف عنه من بخل شديد والحق كيف يستأجر عربة وهو يملك سيارة فارهة.. انه ينوى العودة الى لندن فى سيارته هذه بالذات ولكنه اذا تم إصلاح الخلل فى وقت سريع فلن يمكنه أن ينطلق على كل حال قبل صباح الغد. ولهذا طلب غرفة ونارا وعشاء. وتنهد صاحب الحانة وتقدمه الى غرفته ثم أرسل الخادمة لكى تشعل له النار وانسحب بعد ذلك لمناقشة مشكلة العشاء مع زوجته.

وبعد ساعة كان هركيول بوارو يفكر فى العشاء الذى تناوله وقد مدد ساقيه صوب النيران. لم يكن الطعام شهيا ولكن كان من الأفضل أن تمتلئ بطنه بدلا من أن تظل على خوائها، وراح يحتسى القهوة فى ارتياح وقد شعر بالدفء فى جميع أطرافه.

وطرق الباب وظهرت الخادمة وقالت:

- معذرة يا سيدى. ولكن رجل أقبل من الجاراج ويريد أن يراك.

وأجابها بوارو فى رقة:

- دعيه يدخل.

انصرفت الفتاة ضاحكة. وخطر لبوارو انها ستجد فى وصفه لصديقاتها مادة لتسليتها لعدة مواسم شتوية مقبلة.

وطرق الباب مرة أخرى ولكن بطريقة مختلفة فقال:

- ادخل.

ورفع عينين راضيتين نحو الشاب الذى دخل ووقف بطريقة خرقاء. وراح يلوى قبعته بين أصابعه.

ورأى بوارو أمامه عينة من أجمل عينات الجنس البشرى لم يسبق له أن رأى مثلها. فقد كان الشاب بسيطا وجميلا يبدو كاله من آلهة اليونان القدماء.

وقال الشاب فى صوت خافت أجش:

- اننى أتيت بخصوص السيارة يا سيدى. اننا عثرنا على الخلل وسيتطلب إصلاحه ساعة.

وسأله بوارو:- وما هو الخلل؟

وتحدث الشاب حديثا مستفيضا يدور كله حول إصلاحات فنيه. وهز بوارو رأسه فى رقة ولكنه لم يصغى اليه فى الواقع بل كان يتأمله

فى إعجاب ويقول لنفسه:

- نعم. انه أشبه باله من آلهة الإغريق.

وسكت الشاب فجأة، وعندئذ قطب بوارو حاجبيه وقال:

- نعم. اننى أفهم... أخبرنى سائقى بكل ذلك.

اصطبغ وجه الشاب وشدد الضغط على القبعة وتمتم:

- نعم... نعم يا سيدى. اننى اعرف ذلك.

واستطرد بوارو بنفس اللهجة:

- ولكنك آثرت أن تأتى لكى تفسر لى ذلك؟

- آه... نعم يا سيدى... ظننت أن هذا أفضل.

قال هركيول بوارو:

- انك رجل رقيق. شكرا لك.

ونطق بالكلمتين الأخيرتين كما لو كان يريد أن يصرفه ولكنه لم يكن يتوقع أن ينصرف الشاب. ولم يخطئ فى توقعه فان هذا الأخير لم يتحرك وراحت أصابعه تشدد الضغط على القبعة فى توتر وقال أخيرا فى صوت يشوبه الارتباك:

- التمس المعذرة يا سيدى ولكن هل صحيح انك أنت ذلك المخبر المشهور... مستر هركيول بوارو؟

أجابه بوارو:- نعم.

ازداد احمرار الفتى وقال:

- قرأت شيئا عنك فى الصحف.

- آه!

اضطرم وجه الشاب بشدة وارتسمت فى عينيه إمارات اليأس والرجاء. وأسرع هركيول بوارو الى نجدته فسأله فى رقة:

- حسنا... ماذا تريد؟

وفى هذه المرة تدفقت الكلمات من بين شفتى الفتى فقال:

- أخشى أن ترمينى بالوقاحة يا سيدى. ولكن مجيئك هنا هكذا صدفة فرصة لا يجب أن أدعها تفلت منى. اننى قرأت عنك الكثير، وعن الاعمال العظيمة التى قمت بها وقد قلت لنفسى انه ليس هناك ما يمنع من أن أسالك، فليس هناك أى ضرر فى ذلك.

هز هركيول بوارو رأسه وقال:

هل تنشد مساعدتى بطريقة ما.

أومأ الشاب برأسه وقال وقد ازداد ارتباكه:

ان الأمر... يتعلق بسيدة شابة... اذا استطعت أن تعثر لى عليها..

- اعثر عليها... اذن فهى قد اختفت؟

- هو ذلك يا سيدى.

اعتدل بوارو فى مقعده وقال فى حزم:

– ربما أستطيع مساعدتك. ولكن الأفضل لك أن تلجأ الى رجال البوليس، فمثل هذا العمل يدخل فى نطاق عملهم وهم يملكون وسائل اكثر فعاليه منى.

تململ الشاب فى وقفته وقال فى ارتباك:

– لا أستطيع ذلك يا سيدى. ليس الأمر كما تظن. فهذه حالة خاصة.

نظر هركيول بوارو إليه فى دهشة ثم أشار الى مقعد قائلا:

– حسنا اجلس اذن. ما اسمك:

– ويلياسون يا سيدى... تيد ويلياسون.

– اجلس يا تيد واسرد على قصتك.

اخذ الشاب المقعد وجلس على حافته فى حذر. كانت لا تزال فى عينيه نظرة رجاء. وقال بوارو فى دماثة:

– حسنا. اخبرنى بكل شئ.

أخذ تيد ويلياسون نفسا طويلا ثم قال:

– اليك ما حدث يا سيدى. اننى لم أرها غير مرة واحدة ولا أعرف عنها شيئا. بل اننى اذا كان الاسم الذى ذكرته لى هو اسمها الحقيقى أم لا. ولكن الأمر غريب... غريب جدا خصوصا خطابى الذى أرسلته اليها وأعيد الى..

قال بوارو:– ابدأ من البداية ولا تسرع. اخبرنى بكل ما حدث.

– حسنا يا سيدى. لعلك تعرف جراسلاون، ذلك القصر الكبير الى يقع على الشاطئ، بعد الجسر.

– اننى لا أعرف شيئا على الاطلاق.

– انه ملك لسير جورج ساندرفليد، ويقضى فيه عطلة نهاية الأسبوع طوال فصل الصيف مع أصدقائه، وهم أصدقاء مرحون فى العدة وبينهم ممثلات. وفى شهر يونية الماضى تعطل الراديو وبعث فى طلبى لإصلاحه.

هز بوارو رأسه فى حين مضى الشاب يقول:

– وذهبت. وكان صاحب البيت قد ذهب الى الشاطئ وهو ومدعووه. وكانت الطاهية قد خرجت وذهب الساقى لتقديم المرطبات على الشاطئ. وكانت الفتاة المذكورة وحدها فى البيت فادخلتنى ومضت بى الى مكان الراديو ووقفت تنظر الى وأنا أقوم بإصلاحه... صفوة القول أخذنا نتبادل الحديث فقالت أن اسمها نيتا وانها وصيفة روسية تقيم مع سير جورج.

– هل كانت إنجليزية الجنسية؟

– كلا يا سيدى. أظن أنها فرنسية. كانت تتكلم فى لهجة غريبة ولكنها كانت تجيد الإنجليزية. وكانت رقيقة معى وبعد قليل سألتها اذا كانت تستطيع الخروج الليلة ومرافقتى الى السينما. ولكنها أجابتنى بأن سيدتها فى حاجة اليها غير أنها لم تلبث أن قالت لى أنها تستطيع الخروج معى بعد الظهر لأنهم لن يعودوا من الشاطئ فى وقت مبكر. والخلاصة اننى انقطعت عن العمل بعد الظهر بدون استئذان وتعرضت

للطرد لهذا السبب. ومضينا الى شاطئ البحر حيث تنزهنا.

وأمسك لحظة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة وسأله بوارو في رفق:

- لا ريب أنها كانت جميلة؟

- كانت أجمل مخلوقة رأيتها فى حياتى. وكان شعرها... ماذا أقول... كان كأنه من الذهب. وكان مرفوعا من الناحيتين بحيث كان يبدو كأنه جناحان. وكانت اذا مشت يخيل لك أنها ترقص.. اننى أحببتها منذ أول نظرة يا سيدى... وأعترف لك بهذا.

- هز بوارو رأسه واستطرد الشاب:

- - قالت لى أن سيدتها ستعود الى القصر بعد أسبوعين. وتواعدنا على أن نلتقى عندئذ.. ولكنها لم تعد أبدا. وانتظرتها فى المكان الذى حددته لى لم تأت.. وأخيرا تشجعت وذهبت الى القصر لكى أسأل عنها. وقيل لى أن السيدة الروسية موجودة وكذلك وصيفتها. وأرسلوا لاستدعاء هذه الأخيرة. ولكنها ما ان أتت حتى رأيت أنها لم تكن نيتا. كانت فتاة أخرى سليطة اللسان سمراء من ذلك النوع الذى لا يعرف للخوف معنى. وكانوا يدعونها مارى. وسألتنى فى دلال (هل تريد أن ترانى؟) ورأت اننى فوجئت وسألتها هل هى وصيفة السيدة الروسية وقلت لها أنها ليست الوصيفة التى رأيتها فى المرة السابقة وعندئذ ضحكت وأجابتنى بأن الوصيفة السابقة طردت فسألتها لأى سبب فقالت وهى تهز كتفيها: وكيف تريد منى أن أعرف.. لم أكن موجودة عندئذ.

كانت صدمة بالنسبة لى ولم أستطيع أن أنطق بشئ فى ذلك الوقت ولكننى تشجعت بعد ذلك وذهبت لمقابلة الوصيفة المدعوة مارى لكى أسألها عن نيتا. وقد حرصت على أن لا أقول لها اننى لا أعرف حتى لقبها ووعدتها بهدية اذا جاءتنى بما أريد، فانها من ذلك النوع الذى لا يسدى أية خدمة بدون مقابل. وقد أعطتنى العنوان وهو مكان بشمال لندن فكتبت لنيتا عليه ولكن خطابى أعيد الى بعد مدة وقد كتب عليه مكتب البريد (رحلت من غير أن تترك عنوانا).

سكت تيد ويلياسون.. وحدق بعينيه الزرقاوين الحادتين فى بوارو ثم استطرد:

- أرأيت يا سيدى. ليس هذا بعمل رجال البوليس.. اننى أريد العثور عليها ولا أدرى ماذا أفعل... اذا استطعت أن تعثر لى عليها.

وأزداد احمرار وجهه وقال متلعثما:

- اننى أدخر مبلغا من المال وأستطيع أن أنقدك منه خمسة جنيهات... بل عشرة اذا اقتضى الأمر.

- دعنا من الناحية المالية فى الوقت الحاضر وقل لى... هذه الفتاة... أعنى نيتا... هل كانت تعرف عنوانك ومكان عملك.

- أوه... نعم يا سيدى.

- كان فى مقدورها أن تكتب اليك اذن اذا شاءت ذلك.

أجابه تيد فى بطء:

- نعم يا سيدى.

نظر بوارو اليه فى تفكير وقال:

- وما زلت تريد العثور عليها مع ذلك؟

قال تيد ويلياسون وقد اضطرم وجهه:

- نعم يا سيدى. بل اننى أريد أن أتزوجها اذا رضيت بى... هذا اذا استطعت ان تعثر لى عليها يا سيدى.

نظر بوارو فى تفكير الى الورقة التى خط تيد ويلياسون عليها اسما وعنوانا وقرأ:

الآنسة فاليتا ١٧ شارع رنفرو.

وتساءل اذا كان سيهتدى الى شئ ما فى هذا العنوان. لم يكن يعتقد ذلك ولكنه كان الأثر الوحيد الذى استطاع أن يزوده به على كل حال.

واتضح ان شارع رنفرو شارع متواضع وان رقم ١٧ عبارة عن بيت قديم ولكنه محترم. وفتحت له الباب امرأة ضخمة ذات عينين مغمضتين فسألها:

- الآنسة فاليتا؟

- انها رحلت منذ وقت طويل.

- تقدم بوارو خطوة بحيث لم تتمكن المرأة من إغلاق الباب وقال:

- هل تستطيعين ان تذكرى لى عنوانها؟

- كلا، فهى لم تتركه لى.

- ومتى رحلت؟

- فى الصيف الماضى.

- ألا يمكنك أن تذكرى لى التاريخ بالتحديد؟

وأخرج قطعتى نقود من جيبه كان لرنينهما فى يده وقع السحر فقد لانت أسارير المرأة وأسرعت تقول فى رقة:

- يسرنى أن أساعدك يا سيدى. انتظر قليلا. انها رحلت فى شهر اغسطس. كلا بل قبل ذلك... فى يوليه، نعم. فى يوليه... فى أوائل الشهر ولكنها رحلت على عجل من أمرها وأظنها عادت الى إيطاليا.

- كانت أيطاليه اذن؟

- نعم يا سيدى.

- هل كانت وصيفة لراقصة روسية فى وقت من الأوقات؟

- نعم يا سيدى... كانت وصيفة لمدام سيمولينا... كانت راقصة بالية مدهشة... كانت الراقصة الأولى فى الفرقة.

سألها بوارو:- هل تعرفين لماذا تركت الآنسة فاليتا خدمتها؟

ترددت المرأة لحظة قبل أن تقول:- اما هذا فلا أستطيع أن أخبرك به.

- انها طردت... أليس كذلك؟

- حسنا... نعم أظن انها طردت... ولكن الآنسة فاليتا لم تكن تطلعنى على أسرارها ولم تكن تكثر من الحديث. ولكن بدا انها تركت خدمة الراقصة كارهة. كانت سيئة الخلق حادة الطباع... إيطالية حقا. كانت عيناها السوداوان تكادان تخرجان من محجريهما فى بعض

الأحيان حتى يخيل للمرء انها جديرة بأن تطعنه بسكين لو أنها وجدت سكينا فى متناول يدها.

- وهل أنت واثقة انك لا تعرفين عنوانها الحالى؟

ومن جديد ارتفع رنين القطعتين المشجع. وجعل ردها يبتسم فقد قالت:

- يؤسفنى أننى لا أعرف يا سيدى. كان يسرنى أن أخدمك... ولكننى لا أستطيع... كل ما يمكننى أن أذكره لك هو انها رحلت على عجل من أمرها.

قال بوارو فى تفكير:- هكذا.

* * *

تحول امبروز فاندل عن مشروع الديكور الذى يعده للباليه المقبل ولم يتأخر عن تقديم المعلومات المطلوبة فقال:

- ساندرفيلد؟... جورج ساندرفيلد؟... انه رجل قذر واسع الثراء ولكنه نصاب... رجل مريب... علاقة مع راقصة؟... ولكن هذا أمر معروف يا صديقى... كانت له علاقة بكاترينا ساموشينكا. لا ريب انك تعرفها... اوه، انها كانت راقصة فاتنة... رائعة... احسن من رقصت رقصة البجعة... لا تقل لى انك لم ترها... انا الذى صممت الديكور وشاركنى فيه ديبوس... رقصة الغزال... كانت ترقصها مع ميشيل فوجين... وهو راقص مبدع، أليس كذلك؟

- وهل كانت صديقة لسير جورج ساندرفيلد؟

- نعم. اعتادت ان تقضى معه عطلة نهاية الأسبوع فى قصره المطل على النهر. وأظنه كان يقيم فيه حفلات تصرخ بالبذخ.

- هل تستطيع أن تقدمنى للآنسة ساموشينكا يا صديقى؟

- ولكنها لم تعد هنا يا صديقى العزيز. انها رحلت فجأة ولا أدرى اين. ولعلها رحلت الى باريس أو الى أى مكان آخر. قيل انها كانت تتجسس لحساب السوفييت... وعنى انا لم أصدق شيئا من هذه الأقاويل. ولكن كاترينا كانت تؤكد انها من روسيا البيضاء، وكان أبوها أميرا او دوقا أعظم كما هو الحال دائما.

ولم تتم مقابلة هركيول بوارو وسير جورج ساندرفيلد فى ظروف مناسبة.

فان الرجل المريب، كما دعاه امبروز فاندل بدا عليه الاضطراب والارتباك. كان ربع القامة له شعر أسمر سميك وكرة من الشحم فى عنقه.

وقال:- حسنا يا مستر بوارو.. ماذا أستطيع أن اؤدى لك؟... آه... أظن أن هذه أول مرة نلتقى فيها.

- نعم، هذه أول مرة.

- ماذا أستطيع أن أودى لك اذن... اعترف باننى أشعر بكثير من الفضول.

- اوه، ليس الأمر معقدا الى هذا الحد... مجرد استعلام.

ضحك سير جورج فى ارتباك وقال:

- هل تريد معلومات خاصة... لم أكن أدرى انك مهتم بالشئون المالية.

- لم أقصدك بخصوص عمل وانما أتيتك أسأل عن امرأة بالذات.

اضطجع سير جورج ساندرفيلد فى مقعده الى الوراء وقد بدا عليه الارتياح وقال:

- آه... امرأة.

وقال بوارو:

- انك كانت على علاقة بالآنسة كاترينا ساموشنكا.

ضحك ساندرفيلد وقال:- نعم. وهى امرأة فاتنة. ويؤسفنى انها غادرت انجلترا.

- ولماذا غادرتها؟

- لا أدرى يا عزيزى. مما لا ريب فيه أنه وقع بينها وبين الإدارة خلاف... كانت حادة الطباع... ولعلك تعرف طباع الروس... يؤسفنى أننى لا أستطيع مساعدتك، فليست لدى أية فكرة عن المكان الذى توجد فيه حاليا، ولم أبق على صلتى بها.

ونهض، إعلانا منه بانهاء الحديث ولكن بوارو قال:

- ولكننى لا أبحث عن الآنسة ساموشنكا.

- اذن؟

- كلا. اننى انما ابحث عن وصيفتها.

- وصيفتها؟

حملق ساندرفيلد فيه مشدوها فقال بوارو:

- لعلك تتذكر وصيفتها.

ومن جديد بدا الارتباك على ساندرفيلد وأجاب فى ضيق:

- يا الهى! كيف تريد أن أتذكر؟ الواقع انه كان لديها وصيفه ولكنها... لم تكن محبوبة أبدا... كانت سيئة الخلق تحشر أنفها فى كل شئ. ولو انى مكانك ما صدقت كل ما تنطق به هذه المرأة... انها أشر كاذبة.

تمتم بوارو:

- أنت تتذكرها اذن؟

أسرع ساندرفيلد يقول:

- آه... نعم. أنه مجرد شعور. اننى لا أعرف اسمها... انتظر.. كان اسمها مارى او ما أشبه. كلا. أخشى اننى لا أستطيع مساعدتك. اننى آسف حقا.

قال بوارو فى رقة:

- اننى عرفت من مسرح تسبيان ان اسمها مارى هيللين... وعرفت عنوانها كذلك، ولكننى كنت أعنى الوصيفة التى كانت لدى الآنسة ساموشنكا قبلها... أعنى نيتا فاليتا.

نظر ساندرفيلد اليه مشدوها وقال:

- أما هذه فلا أتذكرها على الاطلاق. أننى لا أذكر غير مارى، وهى سمراء لها عينان تقدحان شرا.

قال بوارو:- ان الفتاة التى أتحدث عنها كانت فى قصرك بجراسلاون فى يونيه الماضى.

أجاب ساندرفيلد متجهما:

كل ما أستطيع أن أقوله لك هو اننى لا أتذكر هذه النيتا. لا أظن أنه بخدمة الآنسة ساموشنكا وصيفة أخرى غير مارى. انك أخطأت.

هز بوارو رأسه. كان متأكدا أنه لم يخطئ.

* * *

ألقت مارى هيللين الى هركيول بوارو نظرة سريعة بعينيها اللتين تشعان ذكاء ولكنها أسرعت فحولت بصرها عنه وقالت بلهجة عادية:

- نعم يا سيدى. اننى أتذكر جيدا. التحقت بخدمة الآنسة ساموشنكا فى الأسبوع الأخير من يونيه لأن الوصيفة التى كانت لديها قبلى تركتها فجأة.

- ألم تعرف لماذا؟

- لا أعرف أكثر من أنها رحلت فجأة... ربما بسبب صحتها وربما بسبب آخر... لم تفصح لى سيدتى عن ذلك.

فسألها بوارو:

- هل كانت سيدتك رقيقة فى معاملتها لك؟

هزت كتفيها وقالت:

- كانت حادة المزاج... تبكى آنا وتضحك آنا آخر. كانت هناك أيام أراها فيها حزينة لا تتكلم ولا تفكر فى الأكل وأيام أخرى كانت فيها شديدة المرح. وهذا شأن الراقصات... هذا حالهن دائما.

- سير جورج؟

استيقظ اهتمام الفتاة فجأة ولمع فى عينيها وميض وقالت:

- آه. سير جورج ساندرفيلد! لعل هذا هو ما تريد معرفته فى الواقع. ولعل الوصيفة كانت مجرد حجة. آه، سير جورج... أستطيع أن أروى لك الشئ الكثير عنه... وأستطيع أن...

قاطعها بوارو قائلا:

- لا داعى لذلك.

نظرت اليه وقد فغرت فاها واشتعلت عيناها سخطا وغضبا وبدا عليها خيبة الأمل.

* * *

- لما قلت انك تعرف كل شئ يا اليكس باتلونيتش.

نطق بوارو بهذه الكلمات فى تملق كبير. كان قد بدأ يرى أن هذه القضية أخذت منه وقتا طويلا مما كان ينتظر. وتحقق ان قصة هذه الوصيفة التى اختفت انما هى قضية من أعقد القضايا التى عرضت عليه حتى اليوم اذ بدا له ان كل الآثار تؤدى الى طريق مسدود.

وفى هذه الليلة كانت الظروف قد قادته الى مطعم ساموفار بباريس لصاحبه الكونت اليكس باتلانيتش الذى يفخر بأنه يعرف كل ما يدور فى دنيا الفن.

وهز الكونت رأسه وقال:

– نعم يا صديقى العزيز. الواقع اننى أعرف كل شئ... دائما. هل تريد أن تعرف أين ذهبت تلك العزيزة ساموشنكا؟... تلك الراقصة الرائعة... آه. كانت راقصة موهوبة حقا... تشتعل نارا وتشتد حماسا كان فى مقدورها أن تذهب بعيدا وكان فى الإمكان أن تصبح اولى راقصات الباليه فى عهدها.

سأله بوارو:

– وأين هى الآن؟

– فى سويسرا. فى فاجراى حيث يذهب أولئك الذين يصابون بداء السعال المزمن ويصيبهم الهزال الذى لا يرحم. أنها ستموت... نعم، ستموت... انها تؤمن بالقدر وستموت حتما.

سعل بوارو لكى يبدد الجو المفجع الكئيب وقال:

– كان لديها وصيفة اسمها نيتا فاليتا، فهل تتذكرها؟

– فاليتا... فاليتا... اننى أتذكر اننى رأيت معها وصيفة ذات مرة... فى المحطة حيث رافقتها، وكانت تزمع السفر الى لندن... ألم تكن تلك الوصيفة إيطالية؟... ومن مدينة بيزا؟... نعم... اننى واثق انها كانت إيطالية وانها من بيزا.

تأوه بوارو وقال:

– اذا كان الأمر كذلك فلابد لى من الذهاب الى بيزا.

فى كامبو سانتو دى بيزا راح بوارو يتأمل قبرا صغيرا...

هنا اذن تنتهى تحرياته... هنا فى هذه الزكمة المتواضعة... تستريح تلك المخلوقة المرحة التى أسرت قلب وعقل شاب ميكانيكى انجليزى.

لعلها افضل خاتمة لهذه القصة الغريبة القصيرة؟.. الآن، ستعيش الفتاة الى الأبد فى ذهن الشاب الذى رآها تلك الساعات القلائل الساحرة فى أصيل يوم من ايام يونيه... سيتخلص الآن من صدمة جنسيتين متناقضتين وتربيتين مختلفتين ومن ألم الخيبة ومرارتها.

هز بوارو رأسه فى حزن وأسى واستعاد الى ذهنه الحديث الذى تبادله مع أسرة فاليتا. الأم بوجهها الريفى الكبير والأب المعتدل القامة والذى يرزح تحت وطأة الحزن الأخت السمراء ذات العينين القاسيتين.

– حدث هذا فجأة يا سنيور... فجأة ومن غير انتظار... كانت تشكو منذ سنوات من آلام حادة كانت تعودها من وقت لآخر، ولم يترك لنا الطبيب الخيار. قال لنا انه لابد من إجراء عملية عاجلة لاستئصال الزائدة الدودية وأخذها الى المستشفى ولكنها ماتت وهى تحت تأثير المخدر... ولم تعد الى رشدها أبدا. وأخذت المرأة نفسها فى صعوبة وهى تتمتم: كانت بيانكا ذكية دائما. وان من المحزن أن تموت هكذا فى ميعة الصبا.

وقال بوارو مكررا:

- ماتت فى ميعة الصبا.

- هذه هى اذن الرسالة التى يجب أن يذهب بها الى ذلك الشاب الذى سأله معونته وكله ثقة وإيمان به.

- انها ليست لك يا صديقى... ماتت فى ريعان الشباب.

انتهت مهمته اذن... انتهت فى هذا المكان، حيث يبدو البرج المائل فى الأفق وحيث بدأت الأزهار الأولى للربيع تظهر وتنمو وتأتى معها بوعودها فى المرح والحياة معا.

كان دنو الربيع هو الذى دفعه الى التمرد على هذا القرار النهائى! او لعله شئ آخر.. شئ تحرك فى ذهنه... كلمات... عبارة... اسم ما... ألم تنته هذه القصة بكل وضوح؟... وبدون اى غموض.

تنهد بوارو. كان لابد له من ان يقوم برحلة أخرى لكى يطرد الشك من ذهنه... كان لابد من الذهاب الى سويسرا.

خطر له انه يقف فى آخر الدنيا... هذا المنحدر الذى يكسوه الجليد، الأكواخ التى يعيش فى كل منها شخص يغالب الموت الغادر.

وبلغ أخيرا الكوخ الذى تعيش فيه كاترينا ساموشينكا ورآها راقدة فى فراشها. كانت وجنتاها غائرتين وأن كان بكل منهما قطعة وردية اللون، وكانت تبسط يديها الرقيقتين فوق الغطاء. وتحركت ذاكرته أخيرا... كان قد نسى اسمها ولكنه تذكرها الآن وتذكر انها فتنته وخلبته بفنها الكبير الى حد نسيان الفن ذاته.

وتذكر ميشيل نوفجين، ذلك الصبار كان يثب ويدور فى تلك الغابة

التى تفتق عنها ذهن امبروز فاندل، ويذكر الغزال الرقيق الساحر الذى كان يهرب منه ويفر... ذلك المخلوق الرائع ذو القرنين اللذين يزينان رأسه والقرنين اللذين يلمع فيهما اسبرونز، وتذكر انهيار الغزال أخيرا ثم أصابته وميشيل نوفجين واقف مرتبك والغزال الجريح بين يديه.

نظرت كاترينا ساموشنكا اليه فى شئ من الفضول وقالت له:

- أظن أننى لم يسبق لى أن رأيتك قبل اليوم. ماذا تريد منى؟

انحنى بوارو أمامها وقال: أريد أولا أن أشكرك يا سيدتى... لفنك الرائع الذى جعلنى أقضى ليلة لا أنساها.

ابتسمت فى رقة فى حين استطرد:

- ولكنى أتيت فى عملى. اننى أبحث منذ وقت طويل عن احدى وصيفاتك... كان اسمها نيتا.

نظرت اليه وقد اتسعت عيناها وسألته مشدوهة:

- ماذا تعرف عن... عن نيتا؟

- سأقول لك.

وروى لها قصة الذى أصاب سيارته وحدثها عن تيد ويليامسون الذى راح يسرد عليه قصة العطل حبه وأساه وهو يلوى قبعته بين يديه. وأصغت اليه فى اهتماما كبير وعندما فرغ قالت:

- هذه قصة مؤثرة... مؤثرة جدا.

هز بوارو رأسه وقال:

- نعم... وهى تبدو كاحدى قصص ألف ليلة وليلة... أليس كذلك
ماذا تستطيعين أن تقولى لى عن هذه الفتاة يا سيدتى؟

تنهدت كاترينا ساموشنكا وأجابت:

- كان لدى وصيفة... تدعى جوانيتا. وكانت جميلة وظريفة ومرحة وخلية القلب... وحدث لها ما يحدث عادة لأولئك الذين تحبوهم الآلهة... ماتت وهى فى ريعان الشباب.

كانت هذه الكلمات الأخيرة هى نفس الكلمات التى استمع اليها... وها هو ذا يسمعها من جديد... ومع ذلك فقد سألها فى إصرار:

- هل ماتت؟

- نعم. ماتت.

لزم هركيول بوارو الصمت لحظة ثم قال:

- هناك شئ لا أفهمه مع ذلك. اننى سألت سير جورج ساندرفيلد عن وصيفتك هذه وما كدت أفعل حتى تملكه الذعر فلماذا؟

بدت إمارات التقزز على وجه الراقصة وقالت:

- ذلك أنك تحدثت معه عن وصيفة من غير تحديد فحسب انك تتكلم عن مارى... أعنى الفتاة التى كانت بخدمتى بعد رحيل جوانيتا. وأظن أنها حاولت تهديده وابتزاز أمواله لأنها عرفت عنه شيئا يشينه. كانت فتاة تفتش فى الأدراج دائما وتقرأ ما فيها من أوراق.

تمتم بوارو هكذا:

وسكت لحظة ثم قال مثابرا:

- كان أدب جوانيتا فاليتا، وقد ماتت فى بيزا عقب أجراء الزائدة الدودية فهل هذا صحيح؟

ولحظ التردد، وكان ترددا يسيرا سرعان ما زال ومع ذلك فقد لحظه قبل أن تملك الفتاة جأشها وتقول:

- نعم... هذا صحيح.

وقال فى تفكير: وما زالت هناك نقطة صغيرة مع ذلك... لم يكن أهلها يدعونها جوانيتا وانما بيانكا.

هزت كاترينا كتفيها وقالت:

- جوانيتا أو بيانكا.. وفيم يهم هذا؟ أظن ان اسمها كان بيانكا فى الواقع ولكن لا ريب انها رأت ان اسم جوانيتا أكثر جاذبية ورومانسية من بيانكا فاتخذته اسما لها.

- آه. هل تعتقدين هذا حقا؟

وسكت لحظة ثم استطرد يقول وقد تغيرت لهجته:

- أما انا فأرى تفسيرا آخر.

- وما هو؟

انحنى بوارو الى الأمام وقال:

- ان الفتاة التى رآها تيد ويليامسون كان لها شعر وصفه لى فقال انه يبدو كأجنحة من الذهب.

وانحنى أكثر ولمس بأصابعه شعر كاترينا وقال:

– أجنحة من الذهب أو قرون ذهبية!.. هذا يرجع الى الزاوية التى ينظر الناس اليك منها حيث تبدين لهم شيطانا أو ملاكا. ولكن لعلك الاثنان معا... أو لعلها القرون الذهبية للغزال الجريح.

تمتمت كاترينا:– الغزال الجريح!

وكان صوتها صوت شخص لم يبق له أى أمل فى الحياة. وقال بوارو: ان وصف تيد ويليامسون ألح على ولم يبرح مخيلتى، وأعاد الى ذهنى شيئا... وهو انك كنت ترقصين على قدميك البرونزيتين فى الغابة. هل أقول لك ماذا أعتقد يا آنسة؟ اننى أعتقد انك قضيت أسبوعا من غير وصيفة وانك مضيت وحدك الى جراسلاون لأن بيانكا ناليتا كانت قد غادرتك الى إيطاليا ولم يكن قد تسنى لك أن تعثرى على وصيفة أخرى غيرها. وكنت تحسين فى ذلك الوقت بأعراض المرض الذى اشتدت وطأته عليك. وبقيت ذات يوم بالبيت وحدك فى حين خرج الآخرون لقضاء اليوم على شاطئ البحر. وطرق الباب فذهبت وفتحته ورأيت أمامك... أأقول لك ماذا رأيت يا آنسة؟... رأيت امامك شابا له بساطة الأطفال وجمال الآلهة. فاخترعت له فتاة قلت له ان اسمها جوانيتا وقضيت معه بضع ساعات خيل لكما فيها انكما فى دنيا من الأحلام.

وساد صمت ثم قالت كاترينا فى صوت أجش:

– على الأقل لم أبعد عن الحقيقة فى شئ بالذات... فقد ذكرت لك نهاية القصة الحقيقية... ستموت نيتا فى ريعان الشباب.

– آه... كلا.

تغير هركيول بوارو وهوى بيده على المائدة وبدا فجأة رجلا آخر وقال: ليس هذا ضروريا أبدا... لا حاجة بك الى الموت. يمكنك أن تكافحى من أجل الحياة وان تعيشى كأية فتاة أخرى.

هزت رأسها فى أسى ويأس وقالت:

– واية حياة هذه التى يمكن أن أحياها.

– ليست حياة المسرح على كل حال... هناك حياة أخرى... والآن صارحينى يا آنسة. هل كان أبوك أميرا حقا أم دوقا... أم جنرالا؟

ضحكت فجأة وقالت:

– كان يسوق سيارة نقل فى لينينجراد.

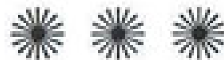
– حسنا جدا. لماذا لا تصبحين اذن زوجة ميكانيكى ريفى وأما لأولاد لهم جمال الآلهة وسيقان ترقص يوما كما رقصت أنت.

أمسكت كاترين أنفاسها وقالت:

– ولكن هذا غير معقول أذا.

قال هركيول بوارو وهو راض عن نفسه:

– بل معقول جدا... واعتقد أن هذا هو ما سيحدث فعلا.



مغامرة جونى ويفرلى

قالت مسز ويفرلى ربما للمرة السادسة:

- يمكنك أن تتصور الأم فى مثل هذه الحالة.

ونظرت الى بوارو فى توسل ورجاء. وكان صديقى القصير شديد العطف دائما على الأمومة المفجوعة فأتى بإشارة من يده يطمئنها وقال: طبعا... طبعا. اننى مقدر موقفك تماما ويمكنك أن تثقى ببابا بوارو.

وبدا مستر ويفرلى يقول: أن رجال البوليس...

ولكن زوجته قاطعته قائلة:

- لا أريد أن ألجأ الى رجال البوليس بعد اليوم. اننا أوليناهم ثقتنا ولكنهم لم يفعلوا شيئا. وقد سمعت الكثير عن مستر بوارو وعن الأشياء العجيبة التى قام بها بحيث خطر لى انه ربما يستطيع مساعدتنا. ان شعور الأم...

أسرع بوارو يوقف كلماتها المتدفقة بحركة من يده ذات معنى. كان انفعال مستر ويفرلى واضحا ولكنه لم يكن يتفق مع مظهرها القاسى المتزمت. وعندما علمت فيما بعد انها ابنة لرجل عصامى من أصحاب مصانع الحديد والصلب ببرمنجهام شق طريقه مبتدئا من وظيفة ساع بسيط حتى بلغ هذه المكانة المرموقة أدركت أنها ورثت عن أبيها بعض خصاله.

كان مستر ويفرلى رجلا بدينا طويل القامة بشوش الوجه. وكان يقف مباعدا ما بين ساقيه فبدا بذلك مثالا للريفى النبيل. وقال:

- أظن انك تعرف كل شئ عن هذه القضية يا مستر بوارو.

لم يكن هناك داع لهذا السؤال تقريبا فلم يكن للصحف من حديث منذ أربعة أيام الا عن اختطاف جونى ويفرلى، وهو طفل صغير لا يزال فى الثالثة من عمره... ابن ووريث الشريف ماركوس ويفرلى، صاحب قصر ويفرلى بمقاطعة سورى.

وأجابه بوارو: اننى اعرف الحقائق الرئيسية طبعا ولكننى أكون شاكرا لو ذكرت لى كل شئ بالتفصيل.

- حسنا. بدأت القصة منذ عشرة أيام عندما جاءتنى رسالة لا تحمل أى توقيع... وهذا نوع بشع من الرسائل... لم أفهم لها أولا أو آخر... فقد كان كاتبها من الوقاحة بحيث طالبنى بأن ادفع له مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه... هل تسمع يا مستر بوارو؟... خمسة وعشرون ألف جنية والا فانه يهددنى بالعمل على اختطاف جونى. وقد القيت بالرسالة فى سلة المهملات طبعا ولم اشغل نفسى بها. وقد خطر لى انها مزحة أو دعابة، ولكن بعد ذلك بخمسة أيام جاءتنى

رسالة أخرى تقول اننى اذا لم ادفع فان ابنى سيتم اختطافه فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر. وكنا عندئذ فى اليوم التاسع والعشرين وقد انزعجت زوجتى لهذا ولكننى لم أعبأ بذلك، فمهما يكن فنحن فى انجلترا، وفى هذا البلد لا يقدم أحد على اختطاف طفل لكى يحصل على فدية.

قال بوارو:- ليس هذا الأجراء العادى فى إنجلترا طبعا... ولكن استمر يا مستر ويفرلى.

- حسنا. لم تتركنى آدا انعم بالهدوء لحظة واحدة وكنت من الغباء بحيث لجأت الى سكوتلانديارد . ولم يهتم أحد هناك بالأمر قدر اهتمامى أنا به. وكان رأيهم كرأيى فى بادئ الأمر تماما فقالوا ان المسألة لا تعدو أن تكون دعابة سمجة. ولكن جاءتنى فى يوم ٢٨ رسالة ثالثة هذا نصها بالتقريب: انت لم تدفع. سنختطف ابنك فى تمام ظهر يوم ٢٩ . وسوف يكلفك استرداده خمسين ألف جنية. ومضيت الى سكوتلانديارد على الفور، وفى هذه المرة نظروا الى الأمر فى اهتمام وخطر لهم ان كاتب الرسالة قد يجن ويحاول الأقدام على شئ ما فى الساعة التى حددها وأكدوا لى انهم سيتخذون كل الاحتياطات اللازمة وانهم سيبعثون الى المفتش ماكنيل وبرفقته ما يكفى من الرجال لحراسة البيت.

وعدت الى البيت وأنا أشعر بارتياح كبير، ولكن لم نلبث أن شعرنا بأننا فى حالة حصار فأصدرت أمرى بعدم إدخال أى رجل الى القصر وعدم خروج أحد منه. ومرت الليلة دون أن يقع أى شئ ولكن فى صباح اليوم التالى مرضت زوجتى مرضا شديدا انزعجت إزاءه واستدعيت

الدكتور داكرز وبدا لى أن الأعراض التى ظهرت عليها قد أثارت حيرته وعلى الرغم من انه تردد فى النطق بكلمة تسمم الا اننى أدركت على الفور أن تلك الأعراض كانت أعراض التسمم حقا. وقد أكد لى أنه لا خطر عليها ولكنه ذكر لى أنها لن تستطيع مغادرة الفراش قبل يومين أو ثلاثة أيام. وعدت الى غرفتى فوجدت قصاصة من الورق مثبتة بالوسادة بدبوس عليها كلمتان بنفس الخط الذى كتبت به الرسائل السابقة وهى (ظهر اليوم).

والواقع يا مستر بوارو أن الاضطراب استولى على عندئذ. لم يكن هناك أى شك فى انه واحد من الخدم مشترك فى هذا الموضوع. وقد استدعيتهم كلهم وصارحتهم برأيى هذا ولكن لم يبد الانفعال على أى واحد منهم. وواجهونى كلهم بالإنكار التام، وعندئذ أخبرتنى مس كولينز سكرتيرة زوجتى انها رأت فى وقت مبكر من صباح اليوم نفسه مس جوين، مربيه ابنى، تخرج خلسة من البيت. ولما سألت الفتاة اعترفت لى بأنها تركت الطفل فى حراسة الوصيفة وذهبت لمقابلة صديق لها... رجل... هل تفهم؟

وقد أنكرت انها شبكت الورقة بوسادتى، ولعلها ذكرت الحقيقة... ومن يدرى؟ وعل كل حال رأيت اننى لا أستطيع المجازفة والاحتفاظ بها فى خدمتى. ومهما يكن فان واحدا من الخدم كان ضالعا فى هذه المؤامرة وكنت على يقين من ذلك. وأخيرا لم أستطع أن أملك نفسى فطردتهم جميعا... المربية وجميع الخدم وأمهلتهم ساعة ليحزموا أمتعتهم ويغادروا البيت.

وازداد احمرار وجه مستر ويفرلى وهو ينطق بهذه الكلمات

الأخيرة. وقال بوار:

– ألا تظن انك ارتكبت شططا كبيرا يا سيدى، فمن يدرى، لعلك أقدمت على ما كان العدو ينتظره منك.

حدق مستر ويفرلى فيه وقال:

– وكيف هذا؟ كانت فكرتى ان أطرد الجميع. وقد أبرقت الى لندن لكى يرسلوا الى طاقما جديدا فى نفس الليلة، وفى تلك الأثناء لم يبق بالبيت الا الشخصان الوحيدان اللذان أثق فيهما كل الثقة وهما مس كولينز سكرتيرة زوجتى، وتريد ويلى رئيس الخدم. وهذا الأخير فى خدمتنا منذ ان كنت صبيا.

– والآنسة كولينز. متى التحقت بخدمتكم؟

أجابت مسز ويفرلى:– منذ سنة تقريبا. وهى سكرتيرة ممتازة ولها دراية كبيرة بتدبير شئون البيت.

– والمربية؟

– انها التحقت بخدمتنا منذ نحو ستة أشهر، وجاءتنى بشهادات طيبه، ومع ذلك فاننى لم اشعر نحوها بأى ميل على الرغم من أن جونى كان يعبدها.

ومع ذلك فاننى اعتقد انها قد غادرت البيت قبل ان تقع الكارثة. هل لك أن تستمر فى قصتك يا مستر ويفرلى؟

– جاء المفتش ماكنيل فى نحو الساعة العاشرة والنصف، بعد رحيل الخدم، وقد أبدى ارتياحه إزاء القرارات التى اتخذتها، وبث

عددا من رجاله فى الحديقة للمراقبة وأكد لى انه لم تكن هذه المسألة مجرد دعابة سمجة فسوف نضع أيدينا على ذلك المراسل الغامض.

وكان جونى معى، ومضينا جميعا، أنا وجونى والمفتش الى غرفة ندعوها بغرفة الاجتماعات. وأغلق المفتش الباب وانتظرنا. وكانت بالغرفة ساعة كبيرة رحت أنظر الى عقاربها وهى تقترب من الساعة الثانية عشرة وانا عرضة للانفعال الشديد. وبلغ العقرب الكبير الثانية عشرة وبدأت الساعة تدق دقاتها فأمسكت بابنى بقوة ولكن ما أن انتهت الساعة من آخر دقاتها حتى سمعنا صيحات فى الحديقة فأسرع المفتش الى النافذة وفتحها. وهرع اليه أحد رجاله وهو يصيح:

– اننا أمسكناه يا سيدى المفتش. كان يتسلل بين الأشجار وقد عثرنا معه على زجاجة من الكلوروفورم.

وذهبنا الى الشرفة مسرعين ورأينا رجلين من رجال البوليس يمسكان بمتسول رث الثياب يحاول الإفلات منهما. وكان أحد الرجلين يمسك فى يده قطعة من القطن وزجاجة من الكلوروفورم جرى إلى الدم فى عروقى عندما رأيتهما. وكانت هناك رسالة باسمى فضضتها ووجدت بها هذه الكلمات: (كان يجب أن تدفع ولابد لك أن تدفع الآن خمسين ألف جنية لكى تفتدى ابنك فعلى الرغم من كل الاحتياطات تم اختطافه فى تمام الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم التاسع والعشرين كما أنذرتك).

وقهقهت ضاحكا. وقد ضحكت فى ارتياح طبعا. ولكننى لم ألبث أن سمعت فى هذه اللحظة بالذات صوت محرك سيارة وصرخة طفل

فأدرت رأسى ورأيت سيارة مكشوفة تهبط المنحدر مسرعة نحو الباب الجنوبى. وكان سائقها هو الذى صرخ، ولكن الشئ الذى ملأنى ذعرا هو اننى رأيت خصلات جونى الشقراء، فقد كان الطفل بجواره فى العربة.

وراح المفتش يسب ويلعن وصاح:

- ولكن الطفل كان معنا هنا منذ لحظة.

وردد بصره حولنا، انا وفريد ويلى ومس كولينز ثم قال:

- متى رأيته آخر مرة يا مستر ويفرلى؟

وعصرت ذهنى محاولا أن أتذكر... عندما صرخ الكونستابل أسرعت أجرى مع المفتش وقد نسيت أمر جونى.

وفى هذه اللحظة سمعت صوتا جعلنى ارتجف فقد ارتفعت دقات ساعة كنيسة القرية وأخرج المفتش ساعته. كانت الساعة الثانية عشرة تماما. وجرينا نحن الأربعة فى نفس الوقت الى غرفة الاجتماعات. كانت الساعة التى بها تشير الى الثانية عشرة وعشر دقائق، وقد قدمها بعضهم عشر دقائق عن عمد لأنه لم يسبق ان قدمت أو أخرت دقيقة واحدة قبل ذلك أبدا.

امسك مستر ويفرلى. وابتسم بوارو ابتسامة غريبة وعدل ممسحة صغيرة كان الرجل المسكين قد دفعها بقدمه فى انفعاله على غير وعى منه وقال:

- مشكلة صغيرة غامضة لها جانبها المرح. يسرنى أن أجلوها لك

انها دبرت حقا بكل براعة.

نظرت مسز ويفرلى اليه عاتبة وقالت:

- وابنى يا مستر بوارو؟

أسرع بوارو فغير ملامح وجهه وفقا للمناسبة ونظر الى المرأة متعاطفا وقال:

- اطمئنى يا سيدتى. ان الطفل سليم وفى أمان. تأكدى ان هؤلاء الأوغاد يعنون به كل العناية، ولا تنسى انه بالنسبة لهم كالدجاجة التى تبيض ذهبا.

- مستر بوارو... اننى متأكدة ان هناك شيئا واحدا يجب ان نفعله.. كنت اعترض فى البداية... ولكننى الآن... ان شعور الأم...

أسرع بوارو يقول مقاطعا:

- ولكننا قطعنا قصة زوجك.

قال ويفرلى:- أوه... أظن انك قرأت باقى القصة فى الصحف. فقد أسرع المفتش ماكنيل الى التليفون ووصف لرجاله العربة وسائقها. وخيل لى لمجرد لحظة أن كل شئ سينتهى خير نهاية. والواقع أن عربة لها نفس الأوصاف ويجلس بجوار سائقها طفل صغير شوهدت فى أماكن مختلفة. وكانت تنطلق الى لندن كما يبدو. وعندما وقفت العربة فى أحد الأماكن لوحظ أن الطفل كان خائفا وانه كان يبكى. وعندما أخبرنى ماكنيل انهم أوقفوا العربة واحتجزوا السائق والطفل كاد قلبى يتوقف من الفرحة. وانت تعرف الباقى. فان الطفل كان طفلا آخر غير

ابنى جونى. وكان الرجل مجنونا بقيادة السيارات ويحب الأطفال وقد عرض على طفل كان يلعب فى شوارع ايدنسويل، وهى قرية تبعد عن قريتنا بنحو خمسة عشر ميلا أن يصحبه فى نزهة. وبفضل هذا الخطأ الجسيم الذى ارتكبه رجال البوليس فقدنا كل أثر للمجرم، ولو انهم لم يطاردوا هذه العربة الخاطئة فربما استطاعوا العثور على جونى.

- هدئ من نفسك يا سيدى. ان رجال البوليس قوم أكفاء قديرون، والغلطة التى ارتكبوها غلطة طبيعية. ومهما يكن فقد كانت الخطة بارعة وأظن أن المتسول الذى ألقوا القبض عليه أصر على الإنكار مدعيا أن رجلا بالقرية أعطاه قطعة القطن وزجاجة الكلوروفورم ونقده عشرة شلنات ووعده بنفس المبلغ اذا ذهب بهما الى قصر ويفرلى فى تمام الساعة الثانية عشرة على أن يذهب الى القصر عن طريق الغابة وأن يطرق الباب الخلفى.

صاحت مسز ويفرلى:- اننى لا أصدق كلمة واحدة من كل هذا... انها حفنة من الأكاذيب.

قال بوارو فى تفكير:- من العسير تصديق هذه القصة فى الواقع ولكن هذا لا يمنع من انهم لم يستطيعوا إثبات زيفها. ولكن لا ريب ان الرجل اتهم شخصا بأنه حرضه على ذلك!

احمر وجه ويفرلى وأجاب:- لقد كان هذا الرجل من الوقاحة بحيث ادعى أنه يعرف فى تريدويل الرجل الذى أعطاه قطعة القطن وزجاجة الكلوروفورم قائلا انه حلق شاربه بعد ذلك... ان تريدويل فى

خدمتنا منذ مولده.

ابتسم بوارو قليلا إزاء غضب سيد القصر وقال:

- ولكن هذا لا يمنع من انك شككت فى أن لأحد الخدم ضلعا فى عملية الاختطاف.

- نعم. ولكننى لا أشك فى تريدويل.

تحول بوارو فجأة الى مسز ويفرلى وسألها قائلا:

- وأنت يا سيدتى؟

- لا يمكن أن يكون تريدويل هو الذى أعطى الرجل الرسالة والباقى، هذا اذا كان أحدا قد أعطاه شيئا ما. لقد قال ان تريدويل أعطاها له فى الساعة العاشرة وكان تريدويل فى تلك الساعة بالذات مع سيده فى غرفة التدخين.

- هل تمكنت من رؤية سائق السيارة يا سيدى؟ هل كان يشبه تريدويل؟

- كان بعيدا عنى ولم أستطع أن أتبين وجهه.

- هل تعرف اذن كان لتريدويل أخ يشبهه؟

- كان له اخوة كثيرون ولكنهم ماتوا كلهم. وقتل أخوه الأخير فى الحرب.

- اننى لا أعرف القصر حق المعرفة بعد. وكانت السيارة تنطلق نحو الباب الجنوبى فهل للقصر أبواب أخرى.

- نعم. هناك باب آخر ندعوه الباب الشرقى ويمكن رؤيته من

خلف القصر.

- يدهشنى ان أحدا لم ير هذه السيارة عندما دخلت الحديقة.

- هناك طريق عام يجتاز الحديقة ويؤدى الى كنيسة صغيرة، وسيارات كثيرة تستخدم هذا الطريق. ولا ريب ان المختطف أوقف سيارته تحت الأشجار فى مكان لا يبعد كثيرا عن البيت وأسرع الى البيت منتهزا فرصة اهتمامنا بأمر المتسول.

قال بوارو:- هذا اذا لم يكن بداخل القصر قبل ذلك. هل هناك مكان يمكن أن يختفى فيه أحد.

- اننا لم نفتش البيت قبل الظهر طبعا فقد بدا لنا ذلك غير ذى فائدة. ولكننى أظن أنه تمكن من الاختفاء فى مكان ما ولكن اذا صح هذا فمن الذى ادخله البيت؟

- سوف نأتى الى هذه النقطة فيما بعد.. لندرس هذه المسألة نقطة نقطة، ان قصر ويفرلى قصر قديم والقصور القديمة تحتوى على مخابئ خاصة. فهل يحتوى قصر ويفرلى على غرفة سرية مثلها؟

- الواقع أنه يحتوى على غرفة سريه تؤدى اليها لوح متحرك بالبهو.

- بجوار غرفة المجتمعات طبعا؟

- بجوار بابها بالذات.

- آه..

- ولكن لا يعرف أمرها أحد فيما عدا زوجتى وأنا.

- وتريدويل؟

- حسنا. من الجائز ان يكون قد سمع عنه.

- ومس كولينز؟

- لم أحدثها عنه أبدا.

فكر بوارو دقيقة ثم قال:

- حسنا يا سيدى. ان الخطوة المقبلة التى يجب أن اقدم عليها هى الذهاب الى قصر ويفرلى. هل يناسبكما أن أصل اليه بعد ظهر اليوم؟

صاحت مسز ويفرلى تقول:

- اوه. بل يمكنك أن تأتى بأسرع ما تستطيع يا مستر بوارو.. واقرأ هذه أيضا.

وأعطته آخر رسالة وصلتها من العدو فى بريد الصباح، وكانت السبب فى انها لجأت الى بوارو على الفور. فقد ضمنها المختطف آخر تعليماته بخصوص طريقة دفع الفدية، وختمها بالتهديد بقتل الطفل اذا هى اقدمت على اية خدعة. كان من الواضح أن حبها للمال تصارع مع حبها البنوى وأن كفة الأخير عى التى تغلبت.

واستبقى بوارو مسز ويفرلى لحظة بعد انصراف زوجها وقال يسألها:

- سيدتى، أريد أن تصارحينى. هل تشاركين زوجك ثقته بتريدويل؟

- لا أملك أى شئ ضده يا سيدى، ولم أر كيف يمكن أن يشترك فى هذه المسألة. ولكن يجب أن أعترف بأننى لم أشعر نحوه بأى ميل.. فى أية لحظة.

- شئ آخر يا سيدتى. هل يمكنك أن تعطينى عنوان الممرضة؟

- ٤٩ شارع نيزيرالى بهامرسميث ولكننى لا اخالك تظن..

- اننى لا أظن شيئا يا سيدتى.. أننى استخدم عقلى فقط.. وفى بعض الأحيان... نعم، فى بعض الأحيان تخطر لى بعض الأفكار.

وبعد ان انصرفت عاد بوارو الى وقال:

- ان السيدة لا تشعر بأى ميل نحو رئيس الخدم يا هاستنجز.. وهذا شئ هام.

وكان بوارو وقد خدعنى قبل ذلك مرات كثيرة بحيث أصبحت التزم الحذر الان ولا أجاريه بسهولة، ولهذا لم اندفع خلف هذا الأثر وانتظرت فى فروغ صبر حتى ينتهى بوارو من تحقيقه.

وكان أول إجراء أقدمنا عليه هو زيارتنا لمس جيس ويذر الممرضة، وكان من حسن حظنا اننا وجدناها بالبيت، وكانت امرأة شابة فى الثلاثين من عمرها يدل مظهرها على الكفاءة والمقدرة والاعتداد بالنفس، وما ان وقع بصرى عليها حتى تأكدت أنها غير ضالعة فى هذه القصة. كانت محنقة للطريقة التى طردوها بها ولكنها اعترفت بأنها كانت مخطئة. فقد كانت مخطوبة لأحد النقاشين وقد مر

خطيبها بالمنطقة فأسرعت للقائه، وهذا أمر طبيعى حقا، ولهذا لم أفهم لماذا راح بوارو يلقى عليها وابلا من الأسئلة بدت لى غير لائقة وفى غير موقفها. وكانت كلها تدور حول حياتها الروتينية فى قصر ويفرلى. وقد تملكنى الضجر حقا وأنا استمع اليه وسررت كل السرور عندما انصرف بوارو أخيرا.

وقال لى وهو يستدعى سيارة أجرى لكى تقلنا الى قصر ويفرلى:

- ان الاختطاف أمر سهل يا صديقى. وكان فى الإمكان اختطاف هذا الطفل بكل سهولة فى أية لحظة طوال الأعوام الثلاثة الماضية.

قلت فى برود: أظن أن هذا يقدمنا كثيرا

- بل يقدمنا كثيرا جدا على العكس يا صديقى. اذا كنت تصر على أن تشبك ربطة عنقك بدبوس فأرجو أن تضعه فى وسط الربطة بالذات. أنه فى هذه اللحظة يبعد عن وسطها بنحو سنتيمترين يمينا.

كان قصر ويفرلى بيتا عتيقا أدخلت عليه تعديلات تنم عن ذوق كبير وقد استقبلنا مسز ويفرلى ومضت بنا الى غرفة الاجتماعات والى الشرفة والى الأماكن التى شهدت حلقات المأساة. وأخيرا، وبناء على طلب بوارو ضغط على زر فانفتح لوح فى جدار القاعة وكشف عن ممر ضيق يؤدى الغرفة السرية.

وقال ويفرلى: ليس بها أى شئ كما ترى.

كانت الغرفة صغيرة وخيالية فى الواقع، ولم يكن فيها حتى ولا أثر لقدم واحدة. ومع ذلك فقد رأيت بوارو ينحنى فى اهتمام كبير فوق

الأرضية فى ركن من الغرفة. وقال لى عندما اقتربت منه:

- ما رأيك فى هذه؟

- ورأيت على الأرض آثارا لأربعة أقدام صغيرة فقلت:

- أنها لكلب.

- كلب صغير جدا يا هاستنجز.

- بوميرانى؟

- بل أصغر.

- عريف؟

- بل أصغر منه هو الآخر. نوع غير معروف من الفصيلة الكلبية.

نظرت إليه فى ذهول فاذا بوجهه يبرق بالانفعال والارتياح. وتمتم:

- اننى كنت على حق.. كنت اعـــرف اننى على حق. تعـــال يا هاستنجز.

وعندما خرجنا من الغرفة السرية وعاد اللوح الى سيرته الأولى ظهرت امرأة قادمة من غرفة قريبة قدمها مستر ويفرلى قائلا:

- مس كولينز.

كانت مس كولينز فى نحو الثلاثين من العمر رشيقة تتقد حيوية لها شعر أشقر جميل وتلبس نظارة أنيقة.

وتلبية لطلب بوارو مضينا الى مكتب صغير استجوب فيه صديقى

مس كولينز وسألها أسئلة دقيقة عن خدم القصر وعن تريدويل على وجه الخصوص. واعترفت مس كولينز بأنها لا تميل الى رئيس الخدم وقالت: أنه يضفى على نفسه أهمية كبيرة.

وانتقلا بعد ذلك الى مسألة الطعام الذى تناولته مسز ويفرلى فى مساء يوم ٢٨ ، وصرحت السكرتيرة بأنها تناولت عشاءها وحدها فى تلك الليلة ويتكون من نفس الطعام الذى تناوله الآخرون دون أن تصاب بأى شئ. وعندما هممت بالانصراف لكزت صديقى بمعرفتى وهمست:

- والكلب؟

فقال وهو يبتسم ابتسامة عريضة: آه. نعم، الكلب... قولى لى يا آنسة، هل بالبيت كلب؟

- بل كلبان، وهما موجودان فى وجاريهما.

- لا أعنى هذين الكلبين... انما أعنى كلبا صغيرا جدا.

- كلا. لا يوجد بالقصر أية كلاب أخرى غيرهما.

وتركها بوارو تنصرف ثم ضغط على الجرس وهو يقول لى:

- ان مس كولينز هذه تكذب. ولعلنى كنت أكذب لو اننى كنت مكانها.

لنرى الآن رئيس الخدم.

كان تريدويل الوقار المجسم وذكر لنا قصته فى رباطة جأش. وكانت نفس القصة التى ذكرها لنا مستر ويفرلى واعترف بأنه كان يعلم بأمر الغرفة السرية، وعندما انصرف أخيرا فى وقاره المعروف

التقت عيناى بعينى بوارو وقال:

- حسنا يا هاستنجز.. ما رأيك؟

- بل ما رأيك أنت؟

- انك أصبحت صريحا. ان خلايا مخك لن تعمل أبدا ما لم تستحثها يا صديقى. اوه... اننى أحاول مداعبتك. دعنا نستنتج الحقيقة معا. ما هى أصعب نقطة تحتاج الى تفسير أكثر من غيرها فى رأيك؟

أجبت: هناك شئ يثير دهشتى لماذا خرج الرجل الذى اختطف من الباب الجنوبى بدلا من أن يخرج من الباب الشرقى حيث لم يكن فى استطاعة أحد أن يراه.

- هذا ملاحظة طيبة يا هاستنجز... ملاحظة طيبة جدا.. سأذكر لك ملاحظة أخرى.. لماذا أنذر المختطف آل ويفرلى باختطاف الطفل بدلا من ان يختطفه فى هدوء ثم يطالب بالفدية فيما بعد؟

- لأنه كان يأمل أن يحصل على الفدية من غير ان يقدم على اختطافه.

- بل كان من المؤكد أن آل ويفرلى ما كانوا ليدفعوا أى شئ لمجرد تهديد بسيط.

- ولأنه أراد أن يلفت أنظار الجميع الى الساعة الثانية عشر بحيث انهم عندما القوا القبض على ذلك المتسول استطاع هو ان يخرج من مخبئه وان يخطف الطفل ويهرب من غير ان يراه أحد.

- ولكنه عقد عملية الاختطاف بطريقته هذه، فلو أنه لم يحدد اليوم والساعة لما كان هناك أسهل من انتظار فرصة مناسبة واختطاف الطفل ذات يوم وهو يتنزه وحده حول البيت من غير أن تكون مربيته معه.

ولم يسعنى عندئذ الا أن أقول: نعم.. هذا صحيح.

وقال بوارو: الحق انه اراد أن يجعل من هذا الاختطاف نوعا من الدعاية. لنفحص الأمر من جانب آخر. كل شئ فى هذه المسألة يدل على أن هناك شريكا فى البيت. أولا تسمم مسز ويفرلى الغامض ثم تلك القصاصة المشبوكة فى الوسادة، وأخيرا تأخير ساعة الحائط.. كل هذا تم تنفيذه فى البيت قبل الاختطاف. أضف الى هذه حقيقة أخرى لاشك انك لم تلاحظها. وهى انه لم يكن هناك أى غبار فى الغرفة السرية لأن بعضهم كنسها بمكنسة.

(نحن الآن أمام أربعة أشخاص.. صاحبى القصر ورئيس الخدم والسكرتيرة ولنبدأ بهذه الأخيرة. اننا لا نجد ضدها شيئا فيما عادا اننا لا نعرف أى شئ عنها تقريبا.. وفيما عدا انها فتاة ذكية كما يبدو، لم تلتحق بالقصر الا منذ سنة.

- ولكنك قلت انها كذبت بخصوص الكلب.

أجابنى بوارو وهو يبتسم فى خبث:

- آه.. نعم، الكلب. لنفحص الآن حالة تريدويل. هناك حقائق كثيرة، تجعله مشبوها. أولها ان ذلك المتسول يؤكد انه هو الذى أعطاه المظروف فى القرية.

- ولكن رئيس الخدم اثبت انه كان موجودا فى مكان آخر.

- لنفرض ذلك. من الممكن أن يدس السم للزوجة وأن يشبك القصاصة بالوسادة وأن يؤخر الساعة وأن يخرج من الغرفة السرية ولكننا نجد فى الجانب الآخر أنه ولد فى القصر وشب فيه. ويبدو انه من غير المعقول ان يشترك فى اختطاف ابن سيديه. هذا لا يتفق مع الواقع.

- اذن؟

- يجب أن نتبع المنطق وان بدا غير معقول. سنتأمل الآن حالة مسز ويفرلى. انها ثرية وقد أنفقت من ثروتها وأدخلت تعديلات على القصر لأنه كان فى حالة يرثى لها. وعلى ذلك ليس هناك سبب يحدوها الى أن تختطف ابنها وأن تدفع لنفسها فدية كبيرة. ولكن زوجها فى موقف مختلف تماما. ان زوجته غنية وهو لا يملك أية ثروة والواقع اننى اكتشفت ان هذه السيدة لا يمكن أن تغترف من مالها الا بسبب وجيه. ومستر ويفرلى رجل مرح يحب الحياة.

صحت أقول: ولكن هذا مستحيل.

- أبدا. من الذى طرد الخدم؟ هو.. وهو الذى استطاع ان يكتب الإنذارات وان يضع المخدر فى طعام زوجته وان يؤخر الساعة ويشهد بأن خادمه المخلص تريدويل كان معه. وهذا الأخير لا يحب سيدته كثيرا ولكنه يعبد سيده، ويقدم على كل ما يأمره به. ونحن أنفسنا أمام ثلاثة أشخاص ويفرلى وتريدويل وصديق لويفرلى. وقد أقدم رجال البوليس على غلطة كبيرة لأنهم لم يتعمقوا فى التحقيق عن ذلك السائق الذى ساق العربة الرمادية وبجواره طفل آخر. فقد كان السائق

هو الرجل الثالث، أى صديق ويفرلى. وقد التقط طفلا فى القرية القريبة، أشقر الشعر واجتاز الحديقة فى الوقت المحدد وهو يأتى بإشارة من يده ويصرخ فى نفس الوقت. ولم ير أحدا وجهه ولا رقم سيارته ولا وجه الطفل وبهذا استدرجت السيارة رجال البوليس الى لندن وراء اثر كاذب.

(وقبل ذلك قام تريدويل بدوره خير قيام فسلم المظروف الذى يحتوى على قطعة القطن وزجاجة الكلوروفورم والرسالة الى رجل مسكين يحترف التسول وهو متأكد بأن سيده سيقف الى جواره اذا ما عرفه الرجل بعد ان يزيل شاربه المزيف. اما ويفرلى نفسه فقد أسرع بالخروج من غرفة الاجتماعات خلف المفتش ولكنه قد ادخل الطفل الغرفة السرية قبل ذلك على الفور. وفيما بعد، وبعد ان خرج ماكنيل انتهز فرصة وجود مس كولينز مع زوجته فأخذ الطفل فى عربته وأخفاه فى مكان ما.

- ولكن.. والكلب؟.. وكذبة مس كولينز.

- اننى تلاعبت بالألفاظ يا هاستنجز. سألتها اذا كان بالبيت كلب يسلى الطفل به فأجابتنى بالنفى ولكن ويفرلى كان ذكيا، وقد خطر له أن يترك بالغرفة السرية بعض اللعب الصغيرة ليلهو جونى بها ويلتزم الهدوء.

وفى هذه اللحظة أقبل صاحب القصر وقال:

- حسنا يا مستر بوارو. هل اكتشفت شيئا. الديك فكرة عن المكان الذى يوجد به ابنى؟

بسط بوارو اليه ورقة وهو يقول:

- هل هذا هو العنوان.

- ولكن كيف.. هذه ورقة بيضاء.

تمتم ويفرلى يقول وقد اصطبغ وجهه:

- اننى لا أفهم..

قاطعه بوارو فى برود: اننى أعلم شيئا يا سيدى. وأمهلك أربع وعشرون ساعة لتعيد الطفل. ولا أشك فى أن ذكائك سوف يهديك ال تفسير توضح به عودته.. والا فان مسز ويفرلى سوف تعرف كل شئ.

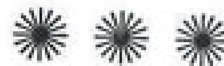
تهاوى ويفرلى فوق مقعد وأخفى وجهه بين يديه وقال:

- انه عند مربيتى القديمة، على بعد خمسة عشر ميلا، وه سعيد جدا ويلقى كل عناية.

- لم أشك ابدا فى ذلك، ولولا اننى اعتبرك أبا طيبا لما أعطيتك هذه الفرصة.

- ان الفضيحة..

- هو ذلك. انك تحمل اسما مشرفا يا مستر ويفرلى فلا تحاو ان تلصق به العار. طاب يومك. اوه، وبهذه المناسبة أزجى اليك نصيح طيبة.. عندما تكنس مكانا فلا تنس الأركان.



الثالوث الخالد

جلس هركيول بوارو فوق الرمال البيضاء وسرح ببصره عبر المياه المتلألئة الزرقاء. كان يرتدى بذلة انيقة من الفانللا البيضاء، ويغطى رأسه بقبعة عريضة تقيه حرارة الشمس المتوهجة.

فقد كان ينتمى إلى الجيل الذى يؤمن بضرورة الوقاية من الشمس. اما الآنسة باميلا ليال، التى تجلس بجواره وتتكلم فى غير انقطاع فقد كانت تنتمى إلى الجيل الجديد وتقف وتعرض جسدها كله لأشعة الشمس.

وكانت تمسك عن الكلام من وقت لآخر لكى تدهن جسدها بالزيت من زجاجة صغيرة بجوارها، وفى الناحية الأخرى منها تمددت صديقتها الآنسة سارة بليك، فوق منشفة كبيرة؟، تعرض هى الأخرى جسدها لأشعة الشمس.

وقالت باميلا :- ان جسدى اكتوى من الشمس، فهل تتكرم يا مستر بوارو وتدهن أسفل كتفى الأيمن لأننى لا أتمكن من دهانه جيدا.

امتثل بوارو مكرها ثم جفف يديه بمنديله فى عناية كبيرة. أما الأنسة ليال، التى لم يكن لها هم فى الحياة الا الثرثرة وانتقاد الغير فقد استطردت تقول:

- اننى كنت على حق فيما يتعلق بتلك المرأة. أعنى فالنتين شانترى، فقد عرفتها على الفور وهى مدهشة حقا.. أعنى اننى أستطيع ان افهم لماذا يجن الرجال بها فهى تعرف كيف تستثيرهم.. وهذا وحده نصف المعركة... أما الزوجان الآخران اللذان أقبلا الليلة الماضية فهما آل جولد.

قالت سارة: لا ريب انهما عروسان جديدان يقضيان شهر العسل.

ولكن باميلا هزت رأسها نفيا شأن الخبير العارف بالأمور وقالت:

- اوه، كلا. ان ثيابهما ليست من الجدة بحال يدل على انهما عروسان جديدان... الا تعلم يا مسز بوارو أن الذ شئ فى الحياة هو دراسة الناس ومعرفة كل شئ عنهم بمجرد النظر إليهم؟

قالت سارة معترضة فى صوت عذب:

- انك لا تقنعين بالنظر فحسب يا عزيزتى ولكنك تلقين آلافا من الاسئلة.

ردت باميلا عليها تقول فى انفة وكبرياء:

- ولكننى لم أتحدث الى آل جولد بعد. ومهما يكن فاننى لا أرى

وسكتت فترة أطول لكى تسمح لزميلتها بالرد وأجابها بوارو يقول من غير أن يرفع عينيه عن صفحة المياه الزرقاء:

- هذا يتعلق بالظروف.

وساءها منه هذا الرد فقالت:

- اوه يا مستر بوارو.. لا اعتقد ان هناك شيئا اكثر أهمية وأكثر غرابة من البشر.

- أكثر غرابة.. وكيف هذا؟

- اننا فى نفس اللحظة التى يخيل لنا فيها اننا فهمناهم وسبرنا غورهم نراهم يقدمون على شئ لا نتوقعه.

هز بوارو رأسه وقال:

- كلا. هذا غير صحيح، فقلما يقدم الإنسان على شئ ليس من شيمه.

صاحت الأنسة باميلا ليال:

- اننى لا أوافقك على ذلك.

ولزمت الصمت لحظة قبل ان تعاود الهجوم قائلة:

- اننى ما أرى بعض الناس حتى أسأل نفسى ماذا يصنعون فى الحياة وما علاقة كل منهم بالآخر، وفيم يفكرون ويم يحسون.. ولا ريب انك توافقنى على أن هذا شئ مثير حقا.

أجاب بوارو:

- رأيى ليس هذا فان الطبيعة تكرر نفسها اكثر مما نتصور.

وأردف يقول فى تفكير:

- ان فى البحر أنواعا كثيرة جدا.

أدارت سارة رأسها إليه وقالت:

- أنت تعتقد اذن ان البشر قابلون للتصنيف طبقا لنماذج ووفقا لاكلشيهات معينة؟

أجاب بوارو وهو يرسم فوق الرمال شكلا بأصابعه:

- هو ذاك.

وسألته باميلا فى فضول:

- ماذا ترسم؟

وكان قد رسم مثلثا.

ولكن فضولها لم يلبث ان تحول الى شئ آخر لانها لم تلبث ان قالت:

- ها هم آل شانترى.

فقد أقبلت الى الشاطئ فى هذه اللحظة امرأة فارعة الطول معتدة ومزهوة بنفسها وأومأت إليهم باسمة ثم جلست فوق الرمال، على مقربة منهم، وكانت تغطى كتفيها بوشاح حريرى قرمزى اللون وترتدى مايوها أبيض.

وتنهدت باميلا قائلة:

- ما أجملها؟

ولكن بوارو كان ينظر الى وجهها.. وجه امرأة فى التاسعة والثلاثين اشتهرت بجمالها الأخاذ منذ أن بلغت السادسة عشرة. كان يعرف عنها كل شئ شأنه فى ذلك شأن الكثيرين، فقد اشتهرت بمميزات كثيرة... ثروتها الضخمة وعينيها الواسعتين الزرقاوين بزرقة الزمرد وغرامياتها وزيجاتها المتعددة، فقد تزوجت خمس مرات. وكان لها فوق ذلك عشاق كثيرون. واقترنت فى بادئ الأمر بكونت ايطالى ثم محترف وأخيرا بأحد هواة سباق السيارات. ومن هؤلاء الأزواج الأربعة مات الامريكى أما الثلاثة الآخرون فلم يلبث أن طواهم النسيان بعد الطلاق. ومنذ ستة شهور اقترنت للمرة الخامسة بضابط فى البحرية.

وأقبل زوجها، الضابط شانترى، خلفها. وكان صموتا، أسمر اللون يدل وجهه على قوة الشكيمة وميله الى الشجار، لا يكاد المرء ينظر اليه حتى يتذكر نظرية داروين القائلة بأن القرد أصل الإنسان.

وصاحت به زوجته تقول:

- عزيزى تونى... علبة سجائرى.

وبسط لها العلبة على الفور وأشعل لها سيجارة. وانبطحت فوق الرمال باسطة ذراعيها لأشعة الشمس أما هو فجلس الى جوارها كالوحش يحرس فريسته.

وقالت باميلا فى صوت خافت:

- شد ما يخيفنى هذا الرجل فهو فظ، صموت سريع الغضب.

واظن ان أية امرأة من طرازها تحب ذلك فانه يخيل لها أنها تسوس نمرا.. ولعمرى. لا أدرى الام يدوم هذا، فهى فى العادة تسأم الرجال بأسرع ما يمكن.. ولكننى لا اعتقد أنها تستطيع التخلص من زوجها هذا بسهولة.

واقبل الى الشاطئ فى هذه اللحظة زوجان آخران يسيران فى حياء... وهما نفس الشخصين اللذين قدما بالأمس: مستر دوجلاس جولد وزوجته، وقد عرفت الآنسة باميلا اسميهما من سجل نزلاء الفندق كما عرفت سن كل منهما.

كان دوجلاس كاميرون جولد فى الحادية والثلاثين من عمره أما زوجته فكانت فى الخامسة والثلاثين. وكانت هواية الآنسة ليال كما سبق القول دراسة الكائنات البشرية، وكانت بحكم هوايتها هذه لا تجد غضاضة فى مخاطبة الأجانب والأغراب حين تراهم لأول مرة، فما أن رأت تردد مسز جولد وحياءها حتى صاحت بها تقول:

- اسعدت صباحا... ان الطقس جميل اليوم، أليس كذلك؟

كانت مسز جولد امرأة نحيلة عادية الملامح جميلة البشرة فى هيئتها شئ من الحياء والتردد يحملان المرء على عدم الاهتمام بها. أما زوجها فكان حلو الملامح مجعد الشعر أزرق العينين عريض الكتفين أشبه بنجوم السينما ولكنه لا يكاد يفتح فمه حتى يتبدد هذا الشعور وتنطق ملامحه عندئذ بالسذاجة والغباء.

نظرت مسز جولد الى باميلا شاكرة ثم جلست بجوارها وهى تقول:

- ما أجمل بشرتك السمراء!

- اننى لاقيت مالا طاقة لأحد فى سبيل هذه السمرة.

وامسكت هنيهة قبل ان تستطرد:

- أنكما أتيتما لتوكما، أليس كذلك؟

- نعم. فى الليلة الماضية... أتينا بالباخرة فابوديتاليا.

- هل سبق لك ان أتيت الى رودس قبل الآن؟ وتدخل زوجها عندئذ فقال:

- نعم. ولكنها بعيدة جدا.

- لو انها كانت قريبة من لندن لما تلمسنا جمالها وسحرها ولامتلأت بكثير من البشر حتى لتبدو كلعب محشوة بالسردين.

وقال دوجلاس جولد:

- هذا صحيح. ولكن الأمر الذى يؤسف له هو سعر النقد.

- نعم. لقد أوشكنا كلنا على الإفلاس.

وجرى الحديث بينهم بعد ذلك فى شتى الأمور وعلى مقربة منهم تنهدت فالنتينى شانترى واعتدلت فى جلستها وتثاءبت، ونظرت الى الشاطئ مصادفة فالتقت عيناها بعينى مارجورى جولد، ثم حولت نظرتها الى دوجلاس وحدقت فيه فى شئ من الاهتمام.

وحركت كتفيها بطريقة مثيرة وصاحت فى صوت مسموع:

- عزيزى تونى.. أليست هذه الشمس رائعة؟ لامراء فى اننى كنت

من عبدة الشمس فى حياتى السابقة.. ألا تظن ذلك؟

زمجر زوجها بشئ لم يتبينه الآخرون فى حين استطردت وهى تقول:

- ابسط هذه المنشفة حتى آخرها يا عزيزى.

واعتدلت فى جلستها فى حرص كبير وهى لا تحول عينيها للمرة الثانية عن دوجلاس جولد الذى سرعان ما أولاها اهتماما واضحا هو الآخر. وقالت مسز جولد تخاطب باميلا:

- ما أجمل هذه المرأة.

واغتبطت بهذه الفرصة التى اتيحت لها للثرثرة فقالت:

- هى فالنتينى شانترى المعروفة باسم فالنتينى داكرس.. انها مدهشة حقا وزوجها متيم بها ولا يدعها تغيب عن عينه لحظة واحدة.

نظرت مسز جولد الى الشاطئ مرة أخرى ثم قالت:

- ان البحر هادئ جميل. أظن انه ينبغى أن نستحم الآن يا دوجلاس؟

وكان دوجلاس لا يزال يحدق فى فالنتينى شانترى ومضت برهة قبل ان يجيب قائلا وهو شارد الذهن:

- نستحم.. آه، نعم. بُعد لحظة.

ولكن مارجورى نهضت وسارت الى الشاطئ. وتقبلت فالنتينى شانترى على جنبها وهى تنظر الى دوجلاس فى حين تحولت فالنتينى الى زوجها قائلة:

- عزيزى تونى. هل لك أن تذهب الى الفندق وتأتينى بعلبة الكريم. أنها فوق طاولة الزينة ونسيت ان أحضرها معى.

نهض زوجها فى استسلام وسار نحو الفندق. وألقت مارجورى جولد نفسها فى الماء ثم صاحت:

- الماء جميل يا دوجلاس... ودافئ.. تعال.

ونظرت باميلا إليه قائلة:

- ألا تذهب؟

فأجابها غير مكترث:

- أحب أن أتعرض أولا لأشعة الشمس أطول وقت ممكن.

وتحركت فالنتينى شانترى وأقامت رأسها كما لو كانت تريد أن ترى ان كان زوجها قادما ولكنه لم يكن قد بلغ الفندق بعد. وعاد جولد يقول:

- انى أوثر السباحة بعد التعرض لأشعة الشمس مدة طويلة.

واعتدلت مسز شانترى للمرة الثالثة وتناولت زجاجة زيت وحاولت فتحها عبثا. ونظرت الى الحاضرين قائلة:

- اوه.. لا أستطيع ان أفتحها فهل يتكرم أحدكم بذلك؟

نهض بوارو مدفوعا بما عرف عنه من نخوة وشهامة ولكن دوجلاس جولد كان يمتاز عنه بالشباب والنشاط فكان بجوارها فى لمح البصر قائلا:

- دعينى أحاول.

فقالت فى صوت خافت عذب:

- اوه، شكرا لك. هذه مكرمة منك... اننى لا أتمكن من فتح هذه الزجاجة دائما ولا ريب ان ذلك لأننى لا أحسن إغلاقها.. اوه، هل فتحتها؟... شكرا لك.

ابتسم هركيول بوارو ومضى نحو الشاطئ من الناحية المضادة. ولم يبتعد كثيرا ولكنه راح يسير على مهل. وفيما كان يعود أدراجه خرجت مسز جولد من البحر ولحقت به، وكانت قطرات الماء تتساقط من وجهها الذى يطفح بشرا وسرورا وقالت لاهثة:

- اننى أحب البحر، والماء هنا دافئ وجميل.

وكانت ملامحها كلها تنطق بأنها تحب السباحة حقا. وقالت:

- أنا ودوجلاس شغوفان بالسباحة، وفى مقدوره ان يبقى فى الماء ساعات طويلة.

نظر هركيول بوارو عندئذ الى البقعة التى ترك فيها دوجلاس جولد مع فالنتينى فى حين قالت مارجورى فى حيرة:

- لا أدرى لماذا لم يأت..

استقرت عينا بوارو على فالنتينى شانترى فى تفكير. وخطر له ان الفتاتين الآخرين لا ريب قد خطرت لهما نفس الملاحظة. ولم يلبث ان سمع مسز جولد تتنفس فى حدة ثم تقول فى برود:

- انها على قدر كبير من الفتنة والسحر حقا ولكنها ليست من النوع الذى يهواه دوجلاس.

واذ لم ينطق بوارو أسرعت فألقت بنفسها فى الماء من جديد.

وراحت تبتعد عن الشاطئ فى حركات بطيئة ثابتة تدل على براعتها فى السباحة. وعاد بوارو نحو الجماعة، وكانت قد ازدادت فردا اذ انضم اليها الجنرال بارنس، وهو ضابط متقاعد، وكان يجلس بين باميلا وسارة واشتبك مع الأولى فى حديث طويل محوره ما يدور فى المجتمع.

وكان شانترى قد عاد من الفندق وجلس هو وجولد، كل منهما فى ناحية من فالنتينى، وكانت هذه الأخيرة جالسة معتدلة القامة بين الرجلين وهى تتحدث. وكانت تتكلم وهى تدير رأسها ما بين لحظة وأخرى الى كل من الرجلين.

وكانت فى هذه اللحظة تختم واقعة حدثت لها قائلة:

وماذا تظن أن الرجل الأحمق قال؟... انه قال (اننى لم أرك غير دقيقة واحدة يا سيدتى ومع ذلك فان ذاكراك ستظل ماثلة فى مخيلتى حتى آخر عمرى) أليست هذه هى نفس الكلمات التى نطق بها ياتونى؟ وقد حملت قوله هذا محمل المجاملة، ولست أدرى لماذا يجاملنى الجميع. وقد قلت لتونى عندئذ (اذا كنت من النوع الذى يغار يا تونى فلك ان تغادر من هذا القوميسير لأنه كان ظريف حقا معى).

وسكتت هنيهة فقال دوجلاس جولد:

- ان رجال البوليس معروفون بظرفهم دائما.

- اوه، هذا صحيح. ولكنه أبدى اهتماما كبيرا بى، وبدا لى كأنه اغتبط بمساعدته لى.

قال دوجلاس:

- لا غرابة فى هذا، فخليق بكل رجل ان يهتم بك.

صاحت مسرورة متهللة:

- ما أجمل هذا القول منك! هل سمعت يا تونى؟

زمجر شانترى ولم يجب، وتنهدت زوجته قائلة:

- ان تونى لا يجيد الكلام.

وداعبت شعر زوجها بأناملها ثم أردفت تقول:

والحق اننى لا أدرى كيف أطيق منه هذا. وفعل ذلك لأنه ذكى صريح وراجح العقل فى حين أننى لا أنطق بغير الهذر والسخف طوال الوقت. على أنه لا يعير ما أقول أى اهتمام.

وقال شانترى موجها الحديث الى دوجلاس:

- أهذه زوجتك التى تسبح فى البحر؟

- نعم، وأظن أنه ينبغى أن الحق بها الآن.

ولكن فالنتينى اعترضت قائلة:

- ولكن الشمس جميلة. لا تذهب الى البحر بعد. لا أعتقد اننى

سأستحم اليوم يا عزيزى تونى. كلا. لن استحم فى يومى الأول فاننى أخشى أن أصاب بالبرد. ولكن لماذا لا تستحم أنت؟ ان مستر جولد سيبقى معى.

قال شانترى باسما:

- كلا. شكرا لك. لا أريد أن أستحم.. يخيل لى ان زوجتك تشير اليك يا جولد..

وقالت فالنتينى:

- ان زوجتك تجيد السباحة. اننى على يقين من انها امرأة قديرة تجيد كل شئ، واننى أخشى دائما هذا النوع من النساء لأنه يخيل لى انهن يزدريننى فاننى لا أجيد أى شئ على الإطلاق. اننى امرأة خرقاء، أليس كذلك يا عزيزى تونى؟

زمجر الضابط شانترى مرة أخرى بكلمات مبهمة وتمتمت زوجته فى رقة:

- انك من الكرم بحيث لا تريد الاعتراف بذلك. ان الرجال أكثر صراحة منا وهذا ما يروق لى فيهم. فهم لا ينطقون بالشر أبدا، على عكس السيدات.

تحولت سارة بليك الى بوارو وخاطبته قائلة:

- هل من الشر ان أقول ان السيدة شانترى الفاتنة بعيدة كل البعد عن الكمال من جميع الوجوه؟... ما أغبى هذه المرأة! اننى اعتقد حقا اننى لم التق فى حياتى بامرأة غبية مثلها. ان كل ما تجيد النطق به هو

(عزيزى تونى.) كما انها تجيد الغمز بعينيها. ويخيل لى أن مخها محشو بالقطن.

نظر بوارو إليها وقال:

- انك تقسين عليها بهذا القول.

- نعم. هذا صحيح. ولكننى لم أتجاوز الواقع فمن المؤكد ان فالنتينى تعرف كيف تسوس الرجال. ألا يمكنها ان تترك رجلا واحدا وشأنه. ألا ترى الغضب المرتسم على وجه زوجها.

ألقى بوارو نظرة الى الشاطئ ثم قال:

- ان مسز جولد تجيد السباحة.

- نعم. انها لا تخاف البلل مثلنا. ولا أظن أن مسز شانترى ستنزل الى البحر حتى ولا مرة واحدة أثناء إقامتها هنا.

قال الجنرال بارنس:

- انها لن تنزل الى البحر طبعا لأنها لن تخاطر بافساد الماكياج الدقيق الذى تقوم به قبل ان تهبط الى الشاطئ ولا أعنى بهذا أنها غير جميلة ولكنها لم تعد فى ريعان الصبا كما كنت قبلا.

وقالت سارة فى خبث:

- انها تنظر اليك يا جنرال. وأنت مخطئ فى حكمك على الماكياج فان الماء لا يؤثر فيه ولا القبلات كذلك.

وقالت باميلا:

- ان مسز جولد تعود.

واجتازت مسز جولد الشاطئ فى خطوات سريعة نشطة. كانت جميلة ولكنها كانت تغطى رأسها بقبعة واقية من الماء من نوع عادى غير انيق جعلتها تبدو على غير ما هى عليه من جمال. وقالت فى فروغ صبر:

- الا تأتى يا دوجلاس؟... ان الماء جميل.

- نعم، نعم. اننى آت.

ونهض دوجلاس مسرعا.. وابتسمت فالنتينى شانترى ابتسامة حلوة وقالت: الى الملتقى.

وابتعد جولد وزوجته نحو الشاطئ.

وما كادا يبتعدان بما فيه الكفاية حتى قالت باميلا فى صوت خافت: لا أظن ان ما فعلته مارجورى من الحكمة فى شئ فليس من الكياسة ان تنتزع المرأة زوجها من امرأة أخرى بهذه الطريقة. فان فيها نوعا من التحكم والسيادة والرجال لا يحبون ذلك.

قال الجنرال بارنس:

- يبدو انك خبيرة بما يهم الرجال يا آنسة باميلا.

- بل بما يهم أزواج الأخريات فحسب يا جنرال.

- آه، نعم. هذا أمر آخر؟

وتدخلت سارة فقالت:

– على كل حال كان يجب على مسز جولد ألا ترتدى مثل هذه القبعة.

قال الجنرال فى تسامح:

– انها قبعة عملية جدا. ومهما يكن من أمر فان هذه المرأة الشابة تبدو لى متزنة وظريفة.

قالت سارة: انك على حق يا جنرال، ولكن هناك حدودا لكل شئ، ويخيل لى أنه اذا تمادت مسز شانترى فان مسز جولد ستكشر عن أنيابها عندئذ.

وحولت رأسها وهتفت فى صوت خافت:

– أرأيت الى الضابط شانترى!.. ان عينيه تكادان تخرجان من محجريهما لفرط الغضب... لا شك انه حاد الطباع.

والواقع أن الضابط شانترى كان يرمى جولد وزوجته بنظرة تتطاير شررا. ورفعت سارة عينيها الى بوارو وسألته:

– حسنا.. ما رأيك فى كل هذا؟

لم ينطق بوارو ولكن أصابعه راحت تخط للمرة الثانية نفس الرسم الأول فوق الرمال.. مثلثا!

وتمتمت الفتاة تقول:

– نعم، لعلك على حق، اذا كان الأمر كما تظن فسوف نستمتع فى الأيام المقبلة بأحداث لن تخلو من الطرافة.

خيبه أمل

خيبت جزيرة رودس آمال بوارو، فقد قصدها للراحة والاستجمام وقضاء أجازه قصيرة بعيدة عن جو الجريمة اذ قيل له ان رودس هادئة تماما فى أواخر أكتوبر وتكاد تكون مقفرة.

وقد وجدها كذلك حقا لأنه لم يكن بها غير آل شانترى وآل جولد وباميلا وسارة والجنرال بارنس ورجلان إيطاليان قدما مع زوجتيهما، ولكن على الرغم من ذلك خامره شعور بان حادثا جللا سوف يقع فى نطاق هذه الدائرة.

وقال يحدث نفسه:– لا ريب اننى اشعر بذلك لاننى أفكر فى الجريمة دائما... اننى أتخيل أشياء، وقد أكون واهما.

وفى ذات صباح هبط من الفندق فاذا بمسز جولد جالسة فى الشرفة منهمكة فى التطريز، وعندما اقترب منها خيل اليه انه يسمع حفيف منديل تسارع بإخفائه. وكانت عيناها جافتين ولكنهما كانتا براقتين بشكل لايدع مجالا للشك فى انها كانت تبكى. وكانت هيئتها

هى الاخرى تنطق بذلك فقد بدت متكلفة وقالت فى مرح مصطنع لتخفى ما بها.

- طاب صباحك يا مستر بوارو.

وأجابها متظاهرا بأنه لم يلحظ ما يعتريها:

- طاب صباحك يا سيدتى... ان الجو جميل.

- نعم. أليس كذلك؟... ومع ذلك فاننى لا أحس بالراحة أنا ودوجلاس الا فى بلدنا.

- حقا؟

- نعم. اننا سعيدان معا حقا. وانى اذا اسمع بمتاعب المتزوجين ومشاكلهم وكثرة الطلاق فى أيامنا هذه أحمد الله على ما نحن فيه من سعادة وصفاء.

- يسرنى أن أسمع منك ذلك يا سيدتى.

- نعم. انا ودوجلاس سعيدان معا. لقد تزوجنا منذ خمس سنوات، وهذه مدة طويلة بالنسبة لغيرنا.

قال بوارو:- ما من شك ان هناك بعض حالات تبدو فيها هذه المدة كأنها دهر.

- ولكنى أعتقد حقا اننا اليوم أسعد مما كنا فى الأيام الأولى من زواجنا وأظنك ترى كلا منا يصلح للآخر.

- هذا بالطبع كل شئ.

- وهذا ما يدفعنى الى الرثاء لمن لا يعرفون السعادة.

- ماذا تقصدين؟

- اوه... اننى أتحدث بصفة عامة يا مستر بوارو.

وأخذت مسز جولد فتلة من الحرير عرضتها على الضوء وهى تستطرد قائلة:

- مسز شانترى مثلا.

- مسز شانترى؟

- نعم... اننى أعتقد أنها غير سعيدة.

- هذا... هذا محتمل.

- الواقع اننى أراها امرأة غير ظريفة ومع ذلك فانى أرثى لها نوعا ما، فهى على الرغم من ثرائها وجمالها... (وراحت أصابعها ترتعش وهى تحاول أن تولج طرف الفتلة فى سم الخياط) ليست من النوع من النساء اللاتى يتعلق بهن الرجال الى الأبد... أظن أنها من ذلك النوع الذى يمله الرجال فى أسرع وقت... ألست توافقنى على هذا؟

أجاب بوارو فى تحفظ:- انا شخصيا أمل حديثها قبل أن يمضى وقت طويل.

- نعم. هذا ما أعنيه. انها تتمتع بشئ من الجاذبية طبعا.

وترددت ميز جولد وارتجفت شفتاها وعكفت على تطريزها شاردة

ثم استطردت تقول:

- ان الرجال كالأطفال حقا .. يصدقون كل شئ.

ورأى بوارو أن من الأوفق أن يغير الحديث فقال:

- الا تنزلين الى البحر؟... وزوجك؟... هل ذهب الى الشاطئ؟

تفرست مسز جولد فيه ثم أجابته فى تحد:

- كلا. لن أنزل الى البحر اليوم. لقد اتفقنا على أن نتجول فى المدينة ونتفرج على آثارها، ولكننى لا أدرى كيف فقد كل منا الآخر.. فذهب من غيرى.

وكان ضمير المثنى واضحا، ولكن قبل أن يتمكن بوارو من النطق بكلمة أقبل الجنرال بارنس من الشاطئ وجلس بجوارها قائلا:

- طاب يومك يا مسز جولد... وأنت يا مستر بوارو... انكما تخلفتما هذا الصباح. لقد تغيب كثيرون... انتما الاثنان وزوجك يا مسز جولد... ومسز شانترى.

سأله بوارو عرضا:- والضابط شانترى؟

فانفجر الجنرال ضاحكا وقال:- اوه، كلا. انه بالشاطئ يحاول التخلص من باميلا التى تشبثت به... انه رجل صموت، قليل الكلام من ذلك النوع الذى يكتبون عنه فى الكتب والروايات.

قالت مارجورى جولد وهى ترتجف:

- ان هذا الرجل يخيفنى. انه دائم العبوس، ويخيل لى كأنما

يضمر شرا.

وانتفضت فقال الجنرال مسرورا:

- لعله مصاب بعسر الهضم... ان التخمة تسبب كثيرا من المتاعب.

ابتسمت مارجورى جولد ابتسامة مؤدبة وسألها الجنرال:

- واين زوجك؟

اجابت فى غير تردد وفى مرح عادي:

- دوجلاس؟... لقد رافق مسز شانترى الى المدينة واعتقد انهما ذهبا للتفرج على آثارها.

- هاها... كان ينبغى أن تذهبى معهما أنت أيضا يا سيدتى.

فقالت:- كنا قد اتفقنا على ذلك ولكننى تأخرت فى الهبوط.

ونهضت فجأة وهى تعتذر وصعدت الى غرفتها. وشيعها الجنرال بنظرة فى شئ من الرثاء ثم هز رأسه وقال:

- انها امرأة فاضلة، أفضل ألف مرة من تلك المرأة المدهون وجهها بالأصباغ والتى لا داعى لذكر اسمها. آه... ما أغبى هذا الجولد!... انه سيفسد سعادته.

وهز رأسه ثم نهض بدوره وصعد الى غرفته.

واقبلت سارة بليك، وكانت قد سمعت كلمات الجنرال الأخيرة فجلست وهى تقول.

- امرأة فاضلة!... نعم. ان الرجال يمتدحون النساء الفاضلات ومع ذلك فان الغوانى المدهونة وجوههن بالأصباغ يصطدنهم بسهولة... أليس هذا محزنا؟

وقال بوارو فى لهجة جافة:

- ان هذا لا يروق لى يا آنسة.

- ولا يروق لى أنا كذلك... بل يروق لى اذا أردت الصراحة لأن فى سويداء كل منا نوعا من السارية تجعلنا نفرح بمصائب الغير.

وسألها بوارو أين شانترى فأجابته:

- على الشاطئ. تحاول باميلا تهدئته. انه هائج كالبركان... هناك عاصفة فى الجو ولك ان تصدقنى.

فتمتم بوارو:

- هناك شئ لا أفهمه.

قالت سارة:

- ان الأمر مفهوم مع ذلك... ولكن ما الذى سيحدث؟... هذا هو بيت القصيد.

هز بوارو رأسه وقال:

- هو ذلك يا آنسة... ان المستقبل هو الذى يثير جزعنا.

فقالت سارة:

- أصبت.

وتركته وانصرفت. ولما بلغت الباب كادت تصطدم بدوجلاس جولد، وكان بادى الغبطة والانشراح وان كانت ملامحه تدل على انه ارتكب ذنبا. وقال:

- هالو مستر بوارو... كنا نتفرج انا ومسز شانترى على آثار المدينة... لم ترغب مارجورى فى مرافقتنا.

عقد بوارو حاجبيه، ولكن الوقت لم يتسع لينطق بكلمة فقد ظهرت فالنتينى شانترى وهى تصيح فى صوت عال.

- دوجلاس... أريد كأسا من النبيذ الأحمر... يجب أن أشرب نبيذا أحمر.

وأسرع دوجلاس جولد ليأتيها بما طلبت فى حين جلست فالنتينى فوق مقعد بجوار بوارو. وكانت لامعة العينين تشع سعادة منها. ورأت زوجها وباميلا قادمين فهزت يدها صائحة: هل استمتعت بالاستحمام يا تونى؟... ان اليوم رائع... أليس كذلك؟

ولم يجبها شانترى. ولكنه ارتقى الدرجات وثبا ومرق بجوارها من غير أن ينطق بكلمة ومن غير أن ينظر اليها واختفى داخل البار. وكانت أصابعه متقبضة وهيئته أشبه بالغوريللا الغاضبة.

وابتسمت باميلا ليال فى ارتياح كبير. وجلست بجوار فالنتينى وهى تحاول إخفاء ارتياحها بقدر ما يمكن وسألتها قائلة:

- هل استمتعت بالرحلة؟

فأجابتها فالنتينى:

- لقد كان يوما رائعا ... اننا ...

ولم يسمع بوارو اكثر من ذلك فقد نهض وسار نحو البار فى بط
ووجد جولد واقفا ينتظر النبيذ الأحمر وهو مضطرم الوجه متا
العينين. وقال يخاطب بوارو وهو يشير الى الضابط شانترى، وكا
يبتعد: ان هذا الرجل وحش.

فقال بوارو:- هذا جائز. ولكن لا تنس ان النساء تحب الوحوش.

وتمتم دوجلاس:- لا يدهشنى انه يضربها .

- من المحتمل أنها تحب ذلك أيضا .

القى دوجلاس جولد اليه نظرة حائرة وأخذ كأس النبيذ الأحمر وانصرف.

وجلس بوارو فوق مقعد مرتفع أمام البار وطلب كأسا من النبي
وفيما كان يتجرعه وهو يتنهد فى ارتياح اقبل شانترى وجرع عد
كؤوس من الخمر الواحد تلو الآخر ثم صاح فجأة بصوت مرتفع سم
جميع الموجودين.

- اذا كانت فالنتينى تتصور انها تستطيع أن تتخلص منى بسهو
كما تخلصت من الحمقى الآخرين فانها واهمة. انها زوجتى، وستبق
زوجتى راضية أو كارهة ولن يستطيع أى مخلوق أن يأخذها منى الا ا
مر فوق جسدى.

وألقى بورقة مالية فوق البار ثم انصرف لايلوى على شئ.

جبل النبى

بعد ثلاثة أيام صعد هركيول بوارو الى جبل النبى.

وكانت نزهة جميلة استمتع بها بين أشجار التوب الخضراء السامقة. ووقفت به العربة عند المطعم فهبط بوارو وراح يضرب على غير هدى فى قلب الغابة. وانتهى به المطاف الى مكان بدا له كأنه قمة الدنيا كلها والبحر يمتد تحته بصفحته الزرقاء المتلألئة.

هنا على الأقل كان فى مأمن بعيدا عن هموم الدنيا ومتاعبها.؟ والقى معطفه على جذع شجرة ثم جلس تاركا العنان لأفكاره.

ولكنه لم يستمتع برحلته هذه مدة طويلة اذ لم تلبث أن اندفعت امرأة قصيرة القامة نحوه. ولم تكن غير مارجورى جولد. وفى هذه المرة طرحت عنها تكلفها وتصنعها ونظرت إليه من خلال عينين مغرورتين قائلة؛

- مستر بوارو ... يجب أن تساعدنى ... اننى شقية بائسة لا أعرف ماذا أفعل ... اوه، ماذا أفعل؟

ونظرت إليه فى انفعال كبير وقد ارتسمت فى عينيها إمارات

الجزع والانزعاج ولكنها لم تلبث ان ارتدت خطوة الى الوراء اذ رأت فى ملامحه شيئا أفزعها وهتفت تقول:

- ما... الخبر؟

- هل تريدين مشورتى يا سيدتى؟... هل هذا ما تنشدين حقا؟

فقالت متلعثمة:- نعم... نعم.

قال فى إيجاز وفى لهجة قاطعة:- إليك ما تريدين أذن... غادرى هذا المكان فورا... قبل أن يسبق السيف العذل.

حدقت فيه مشدوهة وسألته:- ماذا؟

- انك سمعت قولى جيدا... غادرى هذه الجزيرة.

- أغادر الجزيرة... ولكن لماذا؟

- هذه نصيحتى يا سيدتى... ذلك اذا كنت تقدرين حياتك.

فقالت لاهثة:- أوه... ماذا تعنى؟... انك تخيفنى.

أجاب بوارو بلهجة الجد:- هذا هو ما أريده حقا.

تهالكت جالسة وأخذت وجهها بين يديها وقالت:- ولكننى لا أستطيع... انه لن يرضى أن يرافقنى. أعنى أن دوجلاس لن يقبل. انها لن تدعه يذهب. فهى قد فتنته جسدا وروحا ولم يصغى الى بسببها. لقد أصبح مجنونا بها يصدق كل ما تقوله له... أن زوجها يسئ معاملتها وانها بريئة مظلومة لا يفهمها أحد أبدا. انها استأثرت بأفكاره الى حد انه لم يعد يأبه بى... أصبحت وكأننى لا وجود لى. أنه

يريدنى أن أرد له حريته وان أطلقه فهو يعتقد انها ستظفر بالطلاق من زوجها وتتزوجه... ولكننى خائفة. ان شانترى لن يتركها، فهو ليس من ذلك النوع من الرجال. انها عرضت على دوجلاس كدمات فوق ذراعها بالأمس قائلة ان زوجها ضربها، وقد أهاج ذلك دوجلاس فهو طيب القلب. أواه... أننى خائفة. ما الذى سيقع؟... قل لى ماذا أفعل.

وقف بوارو وحدق، عبر المياه، وفى أرض آسيا وتلالها ثم قال:

- اننى قلت لك ما يجب أن تفعليه يا سيدتى.. غادرى الجزيرة قبل ان يسبق السيف العذل.

فهزت رأسها وقالت: لا أستطيع... إلا إذا وافق دوجلاس.

فتنهد بوارو وهز كتفيه.

* * *

جلس هركيول بوارو مع باميلا ليال على الشاطئ. وخاطبته الفتاة تقول فى حدة: ان الثالوث يزداد حدة... لقد جلس كل منهما الى جوارها فى الليلة الماضية وراح كل منهما يرمى الآخر بنظرات يتطاير منها الشرر. وقد انخرط شانترى فى الشراب وأخذ يشتم دوجلاس ويسبه بصوت مرتفع. ولكن جولد أحسن التصرف فتمالك أعصابه. وقد أعجبت فالنتينى بذلك. ماذا تظن قد يحدث؟

هز بوارو رأسه وقال:- أخشى... أخشى أن...

فقطاعته الفتاة فى رياء:- اوه... اننا جميعا نخشى ان يتطور الموقف. ان هذه المسألة بدأت تدخل فى نطاق مهنتك.. أفلا تستطيع

أن تفعل شيئا.

- اننى بذلت كل ما فى مقدورى.

انحنت باميلا نحوه فى لهفة وقالت فى انفعال:- وماذا فعلت؟

- نصحت مسز جولد بأن تغادر الجزيرة قبل أن يسبق السيف العذل.

فصاحت باميلا: أوه... وهل تظن؟..

- نعم يا آنسة.

قالت الفتاة فى تؤدة:- أذن فأنت تظن ان شيئا ما سوف يقع؟... ولكنه لا يستطيع... انه لن يفعل أبدا شيئا من هذا القبيل... فهو رقيق الحاشية... انها غلطة هذه المرأة شانترى... انه لن يفعل... لن يفعل.

وامسكت عن الكلام لحظة ثم قالت فى هدوء:- جريمة قتل؟.. أليس هذا ما يدور فى رأسك؟

وارتجفت ثم قالت فى حدة:- اننى لا أصدق هذا.

* * *

وتتابعت الأحداث سراعا فى الليلة التاسعة والعشرين من شهر أكتوبر بطريقة منطقية، فبدأت بشجار عنيف بين جولد وشانترى، وكان صوت شانترى مرتفعا وسمع لكلماته الأخيرة أربعة أشخاص على الأقل وهم الساقى والمدير والجنرال بارنس وباميلا ليال، فقد قال: (أيها الوغد الحقير. اذا كنت تعتقد انك وزوجتى تستطيعان التخلص منى فانكما واهمان. ستبقى فالنتينى فى عصمتى ما بقيت على قيد الحياة).

ثم غادر الفندق وهو يغلى لفرط ما به من حنق.

حدث هذا قبل العشاء. وبعد العشاء تم بينهما الصلح وساد الوئام ولا يدرى أحد كيف تم هذا ولكن فالنتينى طلبت من مارجورى جولد أن ترافقها الى نزهة ليلية ورافقتهما باميلا. اما جولد وشانترى فقد لعبا البلياردو معا ردحا من الوقت ثم انضما بعد ذلك الى بوارو والجنرال بارنس فى قاعة الجلوس.

ولأول مرة بدا شانترى مبتسما منبسط الأسارير. وسأله الجنرال؟

- هل كسبت؟

فأجابه الضابط:- كلا. فهو يلعب خيرا منى.

وقال دوجلاس جولد فى تواضع:- مسألة حظ لا أكثر... ماذا تريد أن تشرب؟... سأذهب لأبحث عن الساقى.

- كأسا من النبيذ الأحمر لى... شكرا لك.

- وأنت يا جنرال؟ ويسكى بالصودا اذا تكرمت.

- وأنت يا مستر بوارو؟

- عصير مشمش.

ومضى جولد ليبحث عن الساقى ولم يلبث ان عاد بعد قليل يتبعه هذا الأخير حاملا الطلبات. وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث فى جو من المرح والبهجة. وأقبلت النساء فى هذه اللحظة باديات المرح هن الأخريات. وصاحت فالنتينى وهى تجلس بجوار زوجها:

- عزيزى تونى... كانت فكرة رائعة من مسز جولد، وكان يجب أ
تأتى معنا.

وسألها الضابط:- هل تريدين أن تشربى شيئا؟

قالت فالنتينى:- كأس من النبيذ الأحمر.

وقالت باميلا:- وأنا أيضا.

وقالت سارة:- وأنا كذلك.

فقال شانترى:- حسنا.

وبسط لزوجته كأسه الذى لم يكن قد لمسه وهو يقول:- يمكنك أ
تشربى هذا. سأطلب كأسا غيره. وأنت يا مسز جولد، ماذا تشربين؟

وكانت مسز جولد تخلع معطفها بمعاونة زوجها فتحولت ا
شانترى وقالت وهى تبتسم:

- هل لك ان تطلب لى كأسا من عصير البرتقال؟

- بكل سرور.

وسار شانترى الى الباب. وألقت مسز جولد الى زوجها نظرة حا
وقالت: كانت نزهة لذيذة يا دوجلاس. ليتك كنت معنا.

وأخذت فالنتينى شانترى كأس النبيذ وأفرغته مرة واحدة ثم قالت

- آه... اننى أحب النبيذ.

وألقى دوجلاس جولد معطف زوجته فوق الأريكة ثم عاد فانض
الى الجماعة ولكنه صاح يقول فجأة:

- ما الخبر؟... ماذا بك؟ فقد تهالكت فالنتينى شانترى فوق مقعدها وقد ازرقت شفتاها ووضعت يدا على صدرها قائلة:

- أحس... أحس بشئ غريب.

وأخذت تلهث. وعاد شانترى الى القاعة فى هذه اللحظة فأسرع اليها قائلا: ما الخبر يا فال؟

- لا أدرى... هذا النبيذ... كان له طعم غريب.

- النبيذ؟

ودار شانترى على عقبيه وقد انقلبت سحنته وأمسك دوجلاس جولد من كتفه وصاح: كانت هذه الكأس لى. رباه.. ماذا وضعت بها؟

ونظر جولد الى وجه فالنتينى المتشنج وقد امتقع لونه وقال:

- اننى... اننى لم...

وقعت مسز شانترى من فوق مقعدها وصاح الجنرال: طبيبي... حالا...

وبعد خمس دقائق فاضت روح فالنتينى شانترى.

* * *

لم ينزل أحد الى البحر فى اليوم التالى.

كانت باميلا ليال شاحبة الوجه ترتدى ثوبا بسيطا أسود اللون وقد تشبثت ببوارو فى قاعة الفندق وجذبته حتى غرفة الاستراحة قائلة:- هذا مروع... مروع... انك تنبأت بذلك... تنبأت به.. جريمة قتل!

وصاحت تقول وهى تضرب الأرض بقدمها اذ رأته يحنى رأسه مؤمنا: اوه. كان يجب أن تمنع وقوعها . كان يجب أن تمنعها بأى حال.

فسألها:- وكيف ذلك؟

نظرت اليه مشدوهة هنيهة ثم قالت:- أما كان فى مقدورك أن تذهب الى... الى رجال البوليس؟

- وماذا أقول لهم؟... ماذا كنت أستطيع القول قبل حدوث أى شئ؟... أكنت تريد أن أقول لهم ان هناك من يفكر فى ارتكاب جريمة قتل؟... قلت لك يا بنيتى انه اذا كان بعضهم ينوى أن يقتل شخصا.

فقاطعته باميلا:- كان فى مقدورك أن تحذر الضحية!

فأجاب:- ان التحذير غير مثمر فى بعض الأحيان.

عادت باميلا تقول فى تؤدة:- كان فى مقدورك أن تنذر القاتل.. وان تطلعه على انك على علم بنواياه.

هز بوارو رأسه مقرا وقال: نعم.؟ هذه أمثل خطة... ومع ذلك فلا يجب أن نسقط من حسابنا النقيصة الكبرى التى يتسم بها كل قاتل.

- وما هى؟

- هى الغرور... ان المجرم لا يخطر له أبدا أن جريمته ستبوء بالفشل.

صاحت باميلا: ولكن الجريمة كانت ظاهرة لكل ذى عينين... وقد ألقى البوليس القبض على دوجلاس جولد على الفور فى الليلة الماضية.

قال بوارو فى تفكير:- نعم... ان دوجلاس جولد شاب غبى.

- بل أغبى مما يتصور المرء... اننى سمعت انهم عثروا على بقايا السم... أى نوع من السم هو.

- سم الستروبنتين... وهو سريع التأثير على القلب.

- سمعت انهم عثروا على بقايا من هذا السم فى جيب صديره.

- هذا صحيح.

- ما أغبى هذا الرجل؟... لعله كان ينوى أن يتخلص منه ولكن الصدمة التى أحس بها عند موت فالنتينى بدلا من زوجها أفقدته عقله وشلت حركته... ياله من مشهد مؤثر جدير بإحدى المسرحيات... العاشق يدس السم فى كأس زوج عشيقته وفيما هو مشغول بشئ آخر تشرب معشوقته السم بدلا من زوجها... لا ريب أن دوجلاس أحس بأكبر الفزع اذ رأى انه قتل المرأة التى يحبها.

وارتجفت الفتاة ثم استطردت تقول:- ثالوثك... ثالوثك الخالد... من كان يظن أنه سينتهى هذه النهاية المروعة.

فقال بوارو:- لا تنسى اننى توقعت ذلك.

تحولت باميلا اليه وقالت:- تقول انك حذرتها... حذرت مسز جولد... لماذا لم تحذره بدوره اذن؟

- هل تعنين لماذا لم أحذر دوجلاس جولد؟

- كلا. انما أقصد الضابط شانترى. كان فى مقدورك أن تقول له

انه فى خطر. ومهما يكن فقد كان هو العقبة الحقيقية، وليس هنا
شك فى أن دوجلاس جولد كان يظن أن زوجته ستمنحه الطلاق فه
امرأة رقيقة الحاشية تحبه كل الحب. ولكن شانترى كان رجلا عنيد
مشاكسا وقد استقرت نيته على ان لا يمنح زوجته حريتها.

هز بوارو كتفيه وقال:

- لم يكن هناك أى جدوى من تحذير شانترى.

قالت باميلا:- هذا جائز... كان فى استطاعته مثلا أن يغلظ ل
القول فيرد عليك ويقول انه يعرف كيف يعنى بنفسه. ومع ذلك فقد
كان من الواجب تحذيره.

قال بوارو: كنت أعرف اننى لو حاولت إقناع فالنتينى بمغادر
الجزيرة لما أخذت كلامى مأخذ الجد... فقد كانت ساذجة غبية وق
قتلها غباؤها.

قالت باميلا: لو انها غادرت الجزيرة لكان فى إمكانه أن يتبعها.

- يتبعها؟... من تقصدين؟

دوجلاس جولد طبعا.

أذن فأنت تعتقدين ان دوجلاس كان حريا بأن يسرع خلفها لو انه
غادرت الجزيرة؟... اوه... كلا يا آنسة. انك واهمة... واهمة تماما..
انك لم تدركى الحقيقة بعد... لو ان فالنتينى غادرت الجزيرة لمض
زوجها معها.

بدت الدهشة على باميلا وقالت:- هذا أمر طبيعى.

- وهكذا ترين ان الجريمة كانت ستقع فى مكان آخر.

- اننى لا أفهمك.

- أقول لك ان الجريمة كانت ستقع فى مكان آخر... أعنى أن مقتل فالنتين شانترى على يد زوجها.

حدقت باميلا فى البوليس السرى وقالت مشدوهة:- هل تحاول أن تقول ان الضابط شانترى... تونى شانترى هو الذى قتل فالنتين؟

- نعم. وقد رأيناه جميعا يفعل ذلك، فقد أحضر دوجلاس كأس النبيذ فأخذه شانترى منه ثم جلس والكأس فى يده. وعندما أتت النساء تحول اهتمامنا جميعا اليهن، وكان السم معه فدسه فى كأس النبيذ ثم أعطى الكأس لزوجته فشربته.

مرت دقيقتان قبل أن تجمع باميلا شتات أفكارها وتقول:- ولكننى لا أفهم شيئا... ان الثالوث... انك قلت لى أنت نفسك...

فقاطعها قائلا:

- نعم... تكلمت عن ثالوث... ولكنك تصورت ثالوثا آخر وانخدعت بالمشاهد التى دبرت تحت عينيك بطريقة بارعة فاعتقدت أن تونى شانترى ودوجلاس جولد يتنافسان على حب فالنتين وأن دوجلاس جولد دست السم لزوجها لأنه رفض أن يطلقها وان القدر تدخل فشربت فالنتين الكأس بدلا من زوجها. ولكن الواقع ان شانترى كان يريد التخلص من زوجته منذ مدة طويلة اذا سئم العيش معها، وكان قد تزوجها طمعا فى مالها. ولما كان يريد الزواج باخرى فقد رسم خطته

للتخلص من زوجته والاحتفاظ بثروتها فى نفس الوقت، وهكذا ترين انه كان لابد له من قتلها.

- يتزوج بامرأة أخرى؟

أجاب بوارو فى تؤدة:

- نعم... أعنى بمارجورى جولد... وهكذا ترين ان الثالوث هو هذا الثالوث ولكنك رأيته بطريقة خاطئة. لم يكن أى من الرجلين يهتم بفالنتين شانترى حقا وقد أيد لك هذا الوهم الخاطئ غرور فالنتين والمهزلة البارعة التى قامت بها مارجورى جولد... انها امرأة ذكية جدا برعت فى تمثيل دور المرأة المسكينة المغلوبة على أمرها. والآن، هل لك أن تقولى لى ما هو دليلك على أن جولد كان مغرما بفالنتين شانترى؟... لو اننى أمعنت التفكير لرأيت انه لم يكن لديك غير اعترافات مسز جولد وهدير شانترى، أليس كذلك؟

أجابت باميلا:- هذا مروع.

واستطرد بوارو فى غير اكتراث:- انهما ذكيان... رسما الخطة على أن يرتكبا جريمتهما... ان مسز جولد هذه شيطانه مريدة كادت تؤدى بزوجها الأحمق وترسله الى المشنقة دون أى وازع من ضمير.

صاحت باميلا:

- ولكن رجال البوليس القوا القبض عليه فى الليلة الماضية.

- آه... هذا صحيح. ولكننى تحدثت مع رجال البوليس بعد ذلك طبعا صحيح اننى لم أر شانترى وهو يضع السم فى كأس زوجته لأن

اهتمامى تحول، كغيرى الى السيارات عندما قدمن. ولكننى عندما تحققت ان فالنتين ماتت راقبت زوجها ولم أحول بصرى عنه. وهكذا رأيته وهو يضع خلسة مظروف السم فى جيب دوجلاس جولد.

وأردف يقول وقد تجهمت أساريره: وانا شاهد مسموع الكلمة. واسمى معروف فما كدت اذكر لمدير البوليس قصتى حتى تغير الموقف.

فسألته باميلا مفتونة:- وبعد؟

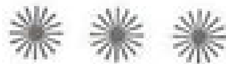
استجوبوا الضابط شانترى عندئذ... وقد أنكر فى بادئ الأمر غير ان كبرياءه لم تلبث ان انهارت وتحطمت أعصابه فاعترف بكل شئ.

- اذن فقد أطلقوا سراح دوجلاس جولد؟ نعم.

- ومارجورى جولد؟

عبس بوارو وأجاب:- أما هذه فقد انذرتها.

وامسك هنيهة ثم أردف: نعم. أنذرتها ونحن فوق جبل النبى. كانت تلك هى الفرصة الوحيدة التى عرضت لى لكى أمنع وقوع الجريمة... كأننى قلت لها صراحة اننى أشتبه فيها. وقد أدركت ما أرمى إليه ولكنها حسبت أنها أذكى منى... قلت لها أن تغادر الجزيرة إذا كانت تقدر حياتها... ولكنها آثرت البقاء.



الجلسة الأخيرة

اجتاز راؤول دوبريك ميدان السينى وهو يدندن بأغنية خفيفة. كان مهندسا شابا فى حوالى الثانية والثلاثين من عمره وسيم الوجه له شارب أسود صغير.

وبلغ شارع كاردونيه ومضى الى البيت رقم ١٧ . ونظر اليه البواب فى غير اكتراث والقى عليه تحية الصباح بوجه عبوس ولكن راؤول رد عليه فى مرح ثم ارتقى الدرج حتى الطابق الثالث. وللمرة الثانية راح يدندن بأغنية فى انتظار فتح الباب. كان يشعر فى ذلك الصباح بالغبطة والانشراح. وفتحت الباب امرأة متقدمة فى السن ما كادت تراه حتى علت وجهها الملئ بالغضون والتجعدات ابتسامة تدل على الارتياح وقالت: صباح الخير يا سيدى.

- صباح الخير يا اليز.

ودلف راؤول الى الممر وهو يخلع قفازيه وقال وهو يتحول إليها:

- أظن ان سيدتك تنتظرنى.

- نعم يا سيدى.

وأغلقت اليز الباب ثم التفتت إليه وقالت:- اذا شاء سيدى ان ينتظر فى الصالون الصغير فسوف توافيه مدام سيمون بعد لحظات... فهى تستحم الآن.

رفع راؤول عينيه اليها على الفور وقال:- أليست على ما يرام؟

صاحت اليز مستنكرة:- على ما يرام!

ومرت أمام راؤول وفتحت باب الصالون فدخل. وتبعته الخادم العجوز واستطردت قائلة:

- حسنا. اننى أتساءل كيف يمكن لهذه المسكينة أن تكون على ما يرام... جلسات وجلسات ودائما جلسات... هذا عمل غير صالح... عمل غير طبيعى... ان الله لا يرضى عن مثل هذا العمل... اذ أردت رأيى صراحة فاننى اعتبر هذا العمل تعاملا مع الشيطان.

ربت راؤول بيده على كتفها ليطمئنها وقال يهدئ من روعها:

- حسبك... حسبك يا اليز... لا داعى لكل هذا الانفعال، ولا تنسبى للشيطان كل ما يتجاوز إدراكك.

هزت رأسها فى شئ من التشكك وقالت:- حسنا... فليقل سيدى ما يشاء، ولكننى لا أحب هذا... لا أحب هذا على الإطلاق. أرأيت سيدتى؟... أنها تزداد شحوبا وهزالا كل يوم... أما الصداع فحدث عنه ولا حرج.

ورفعت ذراعيها الى السماء واستطردت تقول:- آه. كلا. كل هذه

الدسائس مع الأرواح الطيبة فى الجنة والأخرى فى المطهر أو فى...

قاطعها راؤول وهو يتهالك فوق أحد المقاعد:- ان لك فكرة غريبة عن العالم الآخر يا اليز.

شدت المرأة العجوز من قامتها وقالت:- اننى كاثوليكية مؤمنة بالله يا سيدى.

ورسمت علامة الصليب على صدرها ثم سارت الى الباب. ووقفت ويدها على المقبض وقالت فى توسل:

- أرجو الا يستمر كل هذا فيما بعد يا سيدى... أعنى بعد زواجكما.

ابتسم راؤول فى عطف وقال:- أنت امرأة مخلصة طيبة القلب يا اليز، متفانية فى خدمة سيدتك. لا تخافى سينتهى كل هذا بعد أن أتزوج. لن تكون هناك جلسات مع الأرواح لمدام دوبريل.

انبسطت أسارير اليز وقالت على الفور:- أتقول حقا يا سيدى؟

فأجاب وكأنه يحدث نفسه:- نعم. يجب أن ينتهى كل هذا. ان سيمون تمثل موهبة عجيبة وقد استخدمتها بسخاء. ولكنها الآن أتمت مهمتها ثم انها تزداد شحوبا وهزالا يوما بعد يوم كما تقولين يا اليزا. ان حياة الوسيط الروحى متعبة وممضنيه وهى تسبب ضعفا وانشغالا كبيرين. ومع ذلك فان سيدتك هى أعجب وسيط فى باريس... ماذا أقول؟... بل فى فرنسا كلها. إن أناسا كثيرون من العالم أجمع يأتون لرؤيتها لأنهم متأكدون أنها لا تعرف الخداع ولا الأكاذيب.

فصاحت فى ازدراء:- خداع وأكاذيب!... حتى اذا شاءت فهى لن تستطيع الكذب على طفل رضيع. وأمن الشاب على قولها فى حماس قائلا: نعم. انها ملاك و... سوف أبذل كل ما فى مقدورى لإسعادها... ولك أن تصدقينى.

فشدت من قامتها وقالت فى وقار واعتدال:- اننى قضيت سنوات كثيرة فى خدمتها يا سيدي، ومع احترامى وتقديرى الكبيرين لها فاننى أستطيع القول اننى أعبدها. ولو اننى شككت فى انك لا تحبها الحب الذى تستحقه لاقتلعت عينيك من مكانها.

ضحك راؤول وقال:- مرحى يا اليز. انك صديقة مخلصة. والآن وقد أكدت لك أن سيدتك ستتخلى عن تحضير الأرواح الى الأبد فلابد لك أن ترضى بى.

وكان يتوقع من الخادم العجوز ان تقابل هذه المزحة بابتسامة ولكنه دهش شيئا ما عندما رآها ما زالت على جمودها وعندما سمعها تقول فى تردد: ولكن لنفرض يا سيدى أن الأرواح لا ترضى أن تتخلى عنها.

- لا ترضى؟... ماذا تقصدين؟

عادت اليز تقول:- لنفرض ان الأرواح لا ترضى أن تتركها.

- كنت أعتقد انك لا تؤمنين بالأرواح يا اليز.

- صحيح اننى لا أؤمن بها ولكننى مع ذلك...

- حسنا؟..

- يتعذر على ان افصح عما فى رأسى يا سيدى... لقد كنت اعتقد

دائما أن (الوسطاء). الروحانيين كما يسمون أنفسهم ما هم الا مخادعون يستفيدون من آلام السذج الذين فقدوا أعزاءهم ولكن سيدتى ليست من هؤلاء المخادعين... انها امرأة طيبة شريفة و...

وخفضت صوتها واستطردت تقول فى شئ من الاحترام الممزوج بالخوف: هناك أشياء تحدث... ليست خدعا... أشياء تحدث حقا ولهذا السبب ليس صحيحا... انه ضد الطبيعة ولا يرضى به الله ولهذا يجب ان يدفع أحد ما الثمن ذات يوم.

غادر راؤول مقعده ودنا منها وربت بيده على كتفها وقال مبتسما:

- هدئى من روعك يا اليز. سأخبرك الآن بنبأ جديد. ستكون جلسة اليوم آخر هذه الجلسات. بعد اليوم لن تكون هناك جلسات أخرى.

فسألته الخادم العجوز متشككة:- اذن فهناك جلسة اليوم؟

- هى الأخيرة يا اليز... الأخيرة بكل تأكيد.

هزت اليز رأسها فى شئ من الكرب وراحت تقول:- ان سيدتى ليست فى حالة...

ولكنها أمسكت اذ فتح الباب فى هذه اللحظة ودخلت منه امرأة فارعة الطول شقراء اللون تتقد نشاطا وحيوية لها وجه كوجه العذراء التى رسمها بوتيشيللى. وانبسطت أسارير راؤول بمجرد أن رآها. اما اليز فبادرت بالانصراف على الفور.

- سيمون!

وأمسك راؤول باليدين الطويلتين البيضاوين ورفعهما الى شفتيه

الواحدة بعد الاخرى. وتمتمت المرأة تقول فى رقة: راؤول حبيبى!...

وقبل يديها مرة أخرى ثم تفرس فى وجهها لحظة متفحصا وقال:-

- سيمون... انك شاحبة... قالت لى اليز انك تستجمين... لا أخالك مريضة يا حبيبتى.

- كلا. لست مريضة.

وترددت. فأخذها الى الأريكة وجلس الى جوارها وقال:-

- قولى لى ما بك يا حبيبتى.

ابتسمت (الوسيط) ابتسامة خفيفة وقالت مازحة:

- سوف تحسب اننى حمقاء...

- حمقاء؟.. أبدا.

سحبت سيمون يدها من يدى راؤول، وظلت جامدة لحظة أو لحظتين وهى تحدق فى السيجارة. وعندما تكلمت أخيرا كان ذلك فى صوت خافت سريع: اننى خائفة يا راؤول.

- خائفة؟... ومم تخافين؟

- اننى خائفة فحسب.

- ولكن...

تأملها لحظة حائرا واذ رأت نظرته أسرعت تقول:- نعم. اننى أعلم ان هذه حماقة منى ومع ذلك فهذا ما أشعر به على وجه التحديد. اننى خائفة فحسب... لا أدرى مم ولا لماذا أشعر بهذا الخوف ولكن

شعورا يلازمنى ويلاحقنى بأن ثمة شيئا فظيعا مروعا سوف يقع لى.

وردتت سيمون البصر فيما حولها فى شرود فأحاطها راؤول بذراعيه فى رقة وقال:

- لا يجب أن يتملكك الوهم هكذا يا حبيبتى. اننى أعرف ما أنت فيه من ضغط، ذلك الضغط الذى تتعرض له حياة الوسطاء... انك فى حاجة الى الراحة فقط... الى الراحة والهدوء.

- نظرت اليه فى امتنانا وقالت:- نعم يا راؤول. انك على حق. هذا ما أنا فى حاجة اليه حقا... الراحة والهدوء.

- وأطبقت عينيها وهمست تقول فى أذنه:- والسعادة!

ضمها راؤول الى صدره فأخذت نفسا طويلا وهى مطبقة العينين واستطردت تقول: نعم، نعم. عندما أجد نفسى بين ذراعيك أشعر بالاطمئنان. انك تعرف أشياء كثيرة يا راؤول ولكن لا يمكنك أبدا أن تتصور العذاب الذى أعيش فيه.

وأحس الشاب بجسد سيمون يتصلب بين ذراعيه. وفتحت عينيها وقالت وهى تحدق فى لا شئ:

- اننى أجلس فى غرفة مظلمة وانتظر.. وهذا الظلام فظيع يا راؤول لانه ظلام الفراغ والعدم... اتركه يلفنى ويطوينى بارادتى ولا أدرى شيئا مما يحدث لى بعد ذلك ولا أشعر بأى شئ ثم أعود فجأة الى الحياة وفى بطء والم واستيقظ من سبات عميق وأشعر بعد ذلك بإرهاق... إرهاق شديد.

قال راؤول فى رقة:- اننى اعرف.

وبدا كأن جسدها كله سيتداعى وهى تنطق بهذه الكلمات. وأخذ راؤول يديها بين يديه محاولا إخراجها من كابوسها وإرغامها على مشاركته حماسه. وقال: ولكنك رائعة يا سيمون. بل انك فريدة فى نوعك. انت أعظم (وسيط) عرفه العالم.

هزت رأسها عند سماعها هذه الكلمات وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة فعاد راؤول يقول فى توكيد.

- بلى... بلى...

وأخرج خطابين من جيبه وقال:- هذا خطاب من الأستاذ روش.. وهذا خطاب آخر من الدكتور جينز من نانسى، وكل منهما يعرض عليك أن تكونى (وسيطا) له.

- اوه، كلا.

وثبت سيمون من الأريكة فجأة وصاحت:- كلا. لا أريد. لن أفعل هذا. لابد أن ينتهى كل هذا... لابد أن ينتهى الى الأبد.. انك وعدتنى بذلك يا راؤول.

نظر راؤول إليها دهشا فى حين وقفت هى أمامه حائرة تنظر إليه كالحيوان المذعور أمام صائده فنهض وأخذ يدها وقال:

- نعم. انتهى كل هذا حقا... انتهى كل شئ... ولكننى فخور بك يا سيمون، ولهذا السبب وحده حدثتك عن الخطابين.

نظرت اليه غير مصدقة وسألته:- أصحيح ما تقول؟... ألن تطلب

منى أن أقوم بدور (الوسيط) مرة أخرى.

فأجابها راؤول:- كلا، كلا. اللهم الا اذا أردت انت ذلك من وقت لآخر إرضاء لهذين الصديقين العزيزين..

فقاطعته تقول فى انفعال:- كلا، كلا. أبدا. أقول لك ان هناك خطرا على ان انا فعلت ذلك... اننى أحس بذلك... خطر جسيم.

ورفعت جبينها بين راحتيها لحظة ثم عبرت الغرفة الى النافذة وقالت بصوت أكثر هدوءا وهى توليه ظهرها:

- عدنى... لا جلسات بعد اليوم.

أسرع راؤول إليها وأحاط كتفيها بذراعيه وقال فى رقة:

- حبيبتى... أعدك الا تقومى بدور الوسيط بعد اليوم.

وأحس بها ترتجف. وتمتمت تقول:

- اليوم؟... آه... نعم... اننى نسيت مدام اكس.

نظر راؤول الى ساعته ثم قال: ستأتى ما بين لحظة وأخرى.

وبدا له كأن سيمون لم تسمعه لأنها استطردت تقول:

- أنها امرأة غريبة الأطوار يا راؤول.. امرأة غريبة جدا.. هل تعلم أنها... أنها تسبب لى خوفا شديدا.

- سيمون!

كانت هناك رنة لوم فى صوت راؤول. وقالت تبرر قولها:- نعم.. نعم.. اننى أعرف يا راؤول. أن الأم فى نظرك مقدسة ولا ينبغى أن

يداخلنى هذا الشعور من ناحية مدام اكس، لاسيما أنها ما زالت تبكى ابنتها التى ماتت. ولكننى لا أعرف كيف أفسر لك... أنها ألم تلاحظ يديها يا راؤول؟.. يدان ضخمتان قويتان.. كأيدى الرجال. آه:

وأخذتها رجفة وأطبقت عينيها. وتخلى راؤول عنها وقال فى شبه برود: اننى لا أستطيع أن أفهمك حقا يا سيمون. انك بطبيعتك كامرأة لا يجب أن تحسى نحو امرأة أخرى فقدت وحيدتها العزيزة الا كل عطف ورثاء.

فاتت سيمون بحركة تدل على نفاذ الصبر وقالت:

- بل أنت الذى لا تفهم يا صديقى العزيز. أن مثل هذه الأمور لا تفرض. فاننى فى اللحظة التى وقع نظرى عليها لأول مرة أحسست... (وبسطت يديها إلى الأمام كما كانت تبعد خطرا عنها) بالخوف. تذكر اننى ترددت كثيرا قبل القيام بدور الوسيط لها... شئ ما كان يؤكد لى أنها ستجلب لى شرا.

هز راؤول كتفيه وقال فى حدة:

- فى حين أنها فى الواقع قد جلبت لك عكس ما تقولين. فكل جلساتها لاقت نجاحا كبيرا، وروح ابنتها اميلى استجابت لك على الفور، واستحضار الجسد كان مدهشا كان يجب على البروفيسور روش أن يحضر الجلسة الماضية حقا.

قالت سيمون فى صوت خافت: استحضار الجسد!.. أنت تعلم يا راؤول اننى لا أعرف ما يحدث بعد أن تأخذنى الغيبوبة فهل هذه التجسيدات رائعة كما تقول حقا؟

أجاب:- فى الجلسات الأولى كان جسد الطفلة يبرز من خلال سحب كثيفة من الضباب، ولكن فى الجلسة الماضية...

- نعم؟..

استطرد راؤول يقول فى صوت رقيق:

- سيمون... كانت الطفلة الواقفة أمامنا طفلة حقيقية من لحم ودم... وقد لمستها أنا نفسى ولكننى عندما تحققت أن لمستى سببت لك ألما كبيرا لم أشأ أن أدع مسز اكس تلمسها هى الأخرى فقد خشيت أن تفقد جأشها وتسبب لك مزيدا من الألم.

حولت سيمون عينيها مرة أخرى نحو النافذة وقالت:

- لقد كنت متعبة جدا بعد أن خرجت من تلك الجلسة يا راؤول. هل أنت واثق؟.. أمؤمن أنت تماما أن ما تفعله صواب؟... انت تعلم ان اليز تقول اننا نتعامل مع الشيطان.

راح سيمون يضحك ولكن فى غير اقتناع ثم قال فى شئ من الجد:- أنت تعرفين ماذا أعتقد... فى ممارستنا للمجهول لابد من توقع الخطر ولكن القضية نفسها قضية نبيلة لأنها قضية العلم. وهناك فى العالم أجمع شهداء راحوا ضحية العلم... رواد دفعوا حياتهم ضريبة ليمكنوا غيرهم من السير على آثارهم فى أمان. وقد عملت أنت عشر سنوات متوالية وزاد الضغط عليم فى هذه المرة ولكنك الآن انجزت مهمتك وآن لك ان تكونى حرة سريعة.

نظرت اليه وقد انبسطت أساريرها بعض الشئ وعاودها الهدوء ثم

ألقت نظرة سريعة الى الساعة قائلة:

- لقد تأخرت مدام اكس ولعلها لن تأتى.

قال راؤول:- لا أعتقد ذلك.. ان ساعتك تقدم قليلا.

وانهمكت سيمون فى الغرفة تصلح من شأنها فتضع تحفة هنا وأخرى هناك وهى تقول:

- اننى لأتساءل من عساها تكون مدام اكس هذه. من أين أتت ومن أية أسرة؟... من الغريب اننا لا نعرف عنها أى شئ.

هز راؤول كتفيه وقال:- ان اغلب الناس يحاولون بقدر الإمكان إخفاء شخصياتهم عندما يذهبون لاستشارة الوسيط.

أفلت فى هذه اللحظة وعاء صينى من بين أصابع سيمون ووقع على الأرض فتحطم وتناثرت شظاياه. وتحولت الى راؤول فى حدة قائلة: أرأيت؟... اننى لست فى حالتى الطبيعية اليوم يا راؤول. هل... هل تعتبرنى جبانة لو اننى قلت لمدام اكس اننى متوعكة وليس فى مقدورى ان أقوم بجلسة اليوم.

نظر راؤول اليها فى شئ من الدهشة والأسى وقال:

- ولكنك وعدتنى يا سيمون.

ومرة أخرى جعلتها نظرة راؤول المشحونة لوما وعتابا ترتجف:

- اننى فى هذه اللحظة لا أفكر فى المال يا سيمون. ولكن يجب أن تفهمى على كل حال ان المبلغ الذى قدمته هذه المرأة لعقد جلسة أخيرة

مبلغ جسيم.

فقاطعته تقول فى شئ من التحدى: هناك أشياء أكثر أهمية من المال.

فقال يوافقها فى حرارة:- بكل تأكيد. هذا نفس ما أقوله بالذات. تذكرى ان هذه المرأة أم... أم فقدت وحيدتها فاذا لم تكونى مريضة حقا، وإذا لم يكن الأمر الا مجرد نزوة طارئة... فى مقدورك أن ترفضى طلبا لامرأة ثرية ولكن لاحق لك فى رفض مواساة أم ثكلى تريد أن ترى ابنتها للمرة الأخيرة.

بسطت سيمون يديها اليه فى يأس وتأوهت قائلة:

- اوه... انك تعذبنى... ومع ذلك فأنت على حق. سأفعل ما تريد ولكننى أعرف الآن مم أخاف... اننى أخاف من كلمة (أم).

- سيمون!

- توجد قوى بدائية أولية يا راؤول اختفت أغلبها أمام المدنيه والحضارة الا الأمومة فقد بقيت كما هى... عند الحيوان وعند الإنسان سواء... ليست هناك عاطفة فى الدنيا كلها يمكن أن تقارن بحب الأم لولدها. ان الحب الأموى لا يعرف قوانين ولا رحمة أو شفقة فهو يجرؤ على كل شئ ويحطم كل ما يعترض طريقه بدون أى ندم.

وأمسكت لاهثة بعض الشئ ثم تحولت اليه وقالت وعلى شفتيها ابتسامة وادعه: أعلم أننى غريبة الأطوار اليوم يا راؤول.

فقال ينصحها:- اذهبى فتمددى بضع دقائق... استجمى حتى تأتى مدام اكس.

- حسنا.

وابتسمت له مرة أخرى ثم غادرت الغرفة.

وظل راؤول غارقا فى أفكاره بضع لحظات ثم سار نحو الباب ففتحه واجتاز الغرفة الصغيرة ودلف الى غرفة فى الناحية الأخرى كانت عبارة عن صالون أشبه بالصالون الذى غادره فيما عدا أنه فى آخره مخدع صغير تفصله عن باقى الغرفة ستائر سوداء سميكة وكانت لويز منهمكة فى إعداد الغرفة للجلسة فوضعت بجوز المخدع مقعدين كبيرين وطاولة صغيرة وضعت عليها طبلة وبوقا وأقلاما من الرصاصة وبعض الأوراق.

وقالت اليز فى ارتياح ظاهر:

- للمرة الأخيرة... آه يا سيدى. شد ما أتمنى أن ينتهى هذا.

دق جرس الباب فى هذه اللحظة فاستطردت تقول:

- ها قد أقبلت هذه المرأة الضخمة. لماذا لا تذهب كما تذهب كل امرأة متدينة مؤمنة فتصلى على روح ابنتها فى احدى الكنائس وتقدم شمعة للعذراء؟ أتراها تظن أن الله لا يعرف ما هو الأوفق لنا؟

وقال راؤول فى لهجة حازمة: اذهبى فافتحى الباب.

رمته بنظرة غاضبة ولكنها أطاعته. وبعد لحظات عادت وأفسحت الطريق للزائرة قائلة: سأخبر سيدتى بقدومك.

وتقدم راؤول يحيى المرأة واستعاد الى ذهنه كلمات سيمون: هى امرأة مهيبة ترفل فى ثياب الحداد.

كانت امرأة ضخمة غارقة فى السواد بصورة مبالغ فيها حقا، وقالت فى صوت عميق.

- أظن اننى تأخرت.

فقال راؤول مبتسما: أوه... دقائق قلائل يا سيدتى. ان مدام سيمون تستحم. من دواعى أسفى أن أقول انها ليست على ما يرام اليوم... انها شديدة الانفعال والتأثر.

تقبضت يد المرأة فجأة فوق يد راؤول وقالت فى انزعاج.

- والجلسة؟

- اطمئنى يا سيدتى. سوف تتم كالمعتاد.

تنهدت مدام اكس فى ارتياح وغاصت فى أحد المقاعد وهى تنضو عنها غلالتها السوداء السميكة التى أخذت ترفرف حولها وتمتمت تقول: آه يا سيدى. لا يمكنك أن تتصور أو أن تدرك مدى السعاده والغبطة اللتين أحس بهما من هذه الجلسات. ابنتى. ابنتى الصغيرة اميليا. أراها وأسمعها، ومن يدرى، لعلنى أستطيع أن أمد يدى وألمسها.

فأسرع راؤول يقول فى صوت قاطع:

- مدام اكس. كيف أفسر لك؟... لا يجب بأية صورة ولا بأى حال من الأحوال أن تقدمى على شئ من غير أذنى والا وقع خطر كبير.

- خطر كبير... لى أنا.

فأجاب: كلا يا سيدتى. بل للوسيط. يجب أن تعلمى أن الظواهر

التى تقع أمامنا يفسرها العلم بطريقة ما... سأحاول أن أوضح لك ذلك بطريقة بسيطة من غير أن ألجأ الى استعمال الاصطلاحات الفنية. ان الروح لكى تتجسد يجب أن تستخدم المادة الطبيعية الحقيقية للوسيط نفسه. وأنت قد رأيت السائل وهو يتصاعد من بين شفتى الوسيط... هذا السائل لا يلبث ان يتكثف ويتخذ الصورة الطبيعية لجسد الميت. ونحن نعتقد أن هذا السائل هو مادة (الوسيط) نفسه، ونرجو أن نتمكن من إثبات ذلك فى يوم ما بالتجارب الدقيقة... ولكن الصعوبة التى نواجهها هو الخطر الذى يتعرض له الوسيط والآلام التى يحس بها عند لمس الظاهرة.

أصغت مدام اكس الى الشاب فى اهتمام كبير ثم تمتمت تقول:

- ان كل هذا على جانب كبير من الأهمية يا سيدى ولكن قل لى... الن نرى ذلك اليوم الذى تنتقل فيه المادة وتتخلص من صاحبها (الوسيط).

- ولكن هذه نظرية جنونية يا سيدتى.

ولكنها أصرت قائلة:-

- ولكن أليس هذا ممكنا بعد كل الذى ذكرته لى؟

- هذا مستحيل قطعا فى الوقت الحالى.

- ولكن الا يمكن أن يتم هذا فى المستقبل القريب؟

دخلت سيمون الصالون فى هذه اللحظة فخلصته من الرد. وكانت تبدو كالمغلوبة على أمرها. وقد ظهر امتقاع وجهها بصورة ملحوظة

ولكنها كانت قد تمالكت جأشها فتقدمت من مدام اكس وضغطت على يدها مرحبة. غير ان راؤول لاحظ الرجفة اليسيرة التى سرت فى أوصالها بمجرد أن لمست يد مدام اكس.

وقالت هذه الأخيرة.

- ساءنى جدا أن علمت أنك متوعكة.

فقالت سيمون فى حدة:

- اوه... ليس بى شيئا... هل تريدين أن نبدأ.

ودلفت الى المخدع وجلست على المقعد. وفجأة أحس راؤول بخوف مبهم بدوره فصاح:

- انك لست على ما يرام يا سيمون ومن الأوفق أن تؤجل هذه الجلسة الى يوم آخر، وانى واثق ان مدام اكس سوف تقدر موقفك.

هبت مدام اكس واقفة وصاحت محنقة:

- سيدى.

- بلى... بلى... أعتقد أن من الأوفق الا تتم هذه الجلسة اليوم... اننى واثق من ذلك.

- ولكن مدام سيمون وعدتنى بجلسة أخرى اليوم.

وقالت سيمون فى رقة.

- هذا صحيح، واننى مستعدة للوفاء بوعدى.

- أرجو ذلك يا سيدتى.

وعادت سيمون فقالت فى جفاء:

- اننى أفى بوعودى دائما يا سيدتى.

ثم تحولت الى الشاب واستطردت فى رقة:

- لا تخش شيئا يا راؤول... مهما يكن من أمر فهذه هى الجلسة الأخيرة... وأحمد الله على ذلك... لن تكون هناك جلسات أخرى.

وتلبية لإشارة منها أسدل راؤول الستائر السميكة السوداء التى تفصل المخدع عن باقى الصالون ثم أسدل ستائر بحيث أصبحت الغرفة فى شبة ظلمة. وأشار الى مدام اكس بأن تجلس. وتأهب لكى يجلس هو الآخر ولكنها قالت فى تردد:

- معذرة يا سيدى... ولكن... اننى واثقة من نزاهتك ومن نزاهة مدام سيمون كذلك.. ومع ذلك، ولكى يكون لشهادتى قيمتها رأيت أن أحضر معى هذا.

وأخرجت من حقيبتها حبلا متينا فصاح راؤول محتنقا:

- سيدتى، هذه! إهانة!

- بل هى مجرد تحفظ.

- بل إهانة.

قالت مدام اكس فى برود:-

- اننى لا أفهم سببا لاعتراضك يا سيدتى. اذا لم يكن هناك غش فليس هناك ما تخشاه.

ابتسم راؤول فى ازدراء وقال:

- يمكننى أن أؤكد لك اننى لا أخشى شيئا يا سيدتى، واننى اسمح لك أن توثقى قيادى إذا كان فى هذا ما يسرك.

لم تحدث هذه الكلمات الأثر الذى كان يتوقعه على مدام اكس لأنها تمتمت فى برود:

- أشكرك يا سيدى.

واقتربت منه والحبل فى يدها ولكن سيمون صاحت فجأة من خلف الستار:

- كلا... كلا يا راؤول... لا تدعها تفعل.

فضحكت مدام اكس فى سخرية وقالت:

- هل تخافين يا سيدتى؟

- نعم. اننى خائفة؟

فصاح راؤول:

- احرصى على ما تقولين يا سيمون... يبدو أن مدام اكس تعتقد اننا دجالون.

وقالت مدام اكس فى إصرار:

- اننى بحاجة الى توكيد.

وبدأت توثقه فى قوة وأحكام. وعندما فرغت قال متهكما:

- اسمحى لى أن أطرى طريقتك فى عقد الأشرطة يا سيدتى. لعلك راضية الآن؟

لم تجب مدام اكس وانما راحت تدور بالغرفة تبرق على الجدران ثم أغلقت الباب بالمفتاح ونزعته من القفل وعادت فجلست فوق المقعد وهى تقول وفى صوتها رنة غريبة: اننى مستعدة الآن.

ومررت الدقائق. ومن خلال الستائر المسدلة تناهى الى الأسماع صوت تنفس سيمون وهو يزداد ثقلا تدريجيا ثم انقطع هذا الصوت تماما لتحل محله سلسلة من التأوهات. وساد صمت عميق لم يدم غير ثوان ثم سمع قرع على الطبلة وارتفع البوق فى الفضاء ثم سقط على الأرض وأعقب ذلك كله ضحكة شيطانية وانفرجت ستائر المخدع شيئا فشيئا وبدا وجه الوسيط وهى جالسة ورأسها متدلية فوق صدرها. وفجأة أخذت مدام اكس تتنفس بسرعة فقد ارتفع شريط من الدخان من فم الوسيط أخذ يتكثف ويتشكل شيئا فشيئا حتى تجسد فى صورة طفلة صغيرة. وصاحت المرأة:

- اميلى.... ابنتى اميلى!

حدق راؤول فى الطفلة التى تجسدت أمامه غير مصدق فلم يسبق أبدا أن حدث مثل هذا التحول الناجح... كانت أمامه طفلة صغيرة... طفلة من لحم ودم.

ونطقت الطفلة قائلة: ماما!...

وكان صوتها رقيقا كأصوات الأطفال وصاحت مدام اكس ثانية:

- ابنتى... ابنتى.

ونهضت من مقعدها فصاح راؤول فى انزعاج:

- سيدتى... فكرى فى الوسيط.

ولكن مدام اكس أجابت فى صوت مختنق:

- يجب أن ألمس ابنتى.

وتقدمت خطوة الى الأمام فصاح راؤول فى جنون:

- سيدتى... تمالكى نفسك بحق السماء.

- ابنتى... يجب أن أتحقق منها.

- سيدتى... أتوسل إليك أن تجلسى.

وراح يحاول الخلاص من وثاقه فى يأس. ولكن مدام اكس كانت قد أحكمت وثاقه فصاح مرة أخرى:

- اجلسى بالله يا سيدتى... ارحمى الوسيط.

ولم تسمعه مدام اكس. كانت سحنتها قد تغيرت وطفح وجهها بالبشر والفرح. ومدت يدها فلمست الطفلة الواقفة بجوار الستار. وتوجعت الوسيط بشكل مروع.

وصاح راؤول:

- رحماك يا الهى!... هذا مخيف... الوسيط.

وتحولت مدام اكس وهى تضحك ضحكة جنونية وصاحت.

- وفيم يهمنى أمر (الوسيط)... اننى أريد ابنتى.

- انك مجنونة.

- قلت لك أنى أريد ابنتى، فهى لى أنا... لى أنا... من لحمى... ابنتى وقد عادت الى من بين الموتى... انها تعيش وتتنفس.

فتح راؤول فمه ولكن الكلمات ماتت فى حلقه. كانت هذه المرأة وحشا... كانت أنانية لا ضمير لها. وانفجرت شفتا الطفلة وتمتمت للمرة الثالثة: ماما.

وصاحت مدام اكس: تعالى يا ابنتى العزيزة.

وبحركة مفاجئة أخذت الطفلة بين يديها، وما كادت تفعل حتى ارتفعت من خلف الستار صيحة هائلة تنطق باليأس.

وصاح راؤول: سيمون... سيمون...

ورأى كما لو كان فى حلم من الأحلام مدام اكس تمر أمامه والمفتاح يدور فى القفل وأقداما تهبط السلم مسرعة.

وظلت تلك الصيحة الهائلة الناطقة باليأس يتردد صداها فى المكان... صرخة لم يسمع راؤول مثلها أبدا انتهت أخيرا الى حشرجة مخيفة أعقبها صوت سقوط جسم على الأرض.

وراح راؤول يحاول الخلاص من وثاقه كالمجنون. وفى محاولته اليائسة تغلب على المستحيل فانقطع الحبل وبينما هو واقف يلهث جاءت اليز مسرعة وهى تصرخ قائلة:

- سيدتى!

وصاح راؤول هو الآخر:

- سيمون.

واندفع الاثنان خلف الستائر. ولكن راؤول لم يلبث ان ارتد وهو يكاد يقع وتمتم يقول:

- يا الهى!... انها بقعة حمراء... حمراء.

وارتفع من خلفه صوت اليز تقول فى انزعاج:

- ماتت سيدتى أذن... قضى الأمر. ولكن قل لى يا سيدى... ماذا حدث؟ ولماذا ضمرت سيدتى هكذا... ولماذا أصبحت فى نصف حجمها الطبيعى... ما الذى حدث؟

وقال راؤول: لا أدرى.

ثم ارتفع صوت صيحة هائلة وهو يقول:

- لا أدرى. لا أدرى.. ولكننى أعتقد.. أعتقد اننى جننت.. سيمون.. سيمون!.



استغاثة

قال مستر دينسميد فى ارتياح:- آه!

وارتد خطوة الى الوراء لكى ينظر الى المائدة المستديرة. كان ضوء النار يتوهج على المفرش الأبيض الكبير وعلى السكاكين والشوك وغيرها من الأدوات الأخرى.

وقالت مسز دينسميد فى تردد:- هل... هل كل شئ جاهز؟ كانت امرأة قصيرة ذابلة صفراء الوجه، شعرها النادر ممشط الى الخلف. وكانت تبدو شديدة الانفعال.

وأجابها زوجها فى ضراوة مرحة:- كل شئ جاهز.

كان رجلها ضخما متهدل الكتفين له وجه عريض أحمر وعينان صغيرتان كعينى الخنزير تلمعان تحت حاجبين كثيفين وفك كبير لا تنبت فيه شعرة واحدة.

وسألته زوجته فى صوت خافت:- أفى الليمونادة؟

ولكنه هز رأسه وأجاب:- كلا. بل فى الشاى، فان هذا أفضل، انظرى الى الطقس، ان الدنيا تمطر والريح تصفر وفنجان شاى أفضل شئ مع العشاء فى ليلة كهذه.

وغمز بعينه وراح يتأمل المائدة ثم قال:- طبق من البيض الجيد ولحم بارد وجبن. هذا ما يجب أن يتكون منه العشاء الليلة. فاذهبى وجهزى كل شئ. ان شارلوت فى المطبخ وتنتظر أن تساعدك.

نهضت مسز دينسميد وجمعت صوف الغزل فى عناية كبيرة وتمتمت:

- أنها أصبحت جميلة جدا.

- آه. صورة طبق الأصل من أمها... ولكن اذهبى الآن وكفى مضيعه للوقت.

ثم راح يتمشى فى الغرفة وهو يدندن. ثم اقترب بعد ذلك من النافذة ونظر الى الخارج وتمتم:- يا له من طقس فظيع. من المستبعد أن يأتى أى زائر الليلة.

وخرج من الغرفة. وبعد عشر دقائق دخلت زوجته وفى يدها طبق من البيض المقلى وخلفها ابنتاها تحملان ما بقى من الطعام. وأقبل مستر دينسميد وابنه جونى فى المؤخرة. وجلس الأول على رأس المائدة وتلا صلاة المائدة ثم أردف:

- وليبارك الرب أول من اخترع المعلبات. فماذا كنا نفعل فى مثل هذا المكان المنعزل لو لم نكن نستطيع أن نفتح علبة منها من وقت لآخر... عندما ينسى الجزار أن يرسل الينا طلباتنا.

وراح يقطع اللحم البارد. وقالت مجدالين متبرمة:- اننى لاتسائل من الذى خطر له أن يبنى هذا البيت فى مثل هذا المكان المنعزل... اننا

لا نرى احدا أبدا.

قال ابوها:- هذا صحيح... ابدا.

وقالت شارلوت:- لا افهم لماذا اشتريته يا أبى.

- حقا يا صغيرتى؟... كانت لدى أسبابى الخاصة... نعم...

ونظر الى زوجته خلسة وهو يتكلم. ولكن هذه الأخيرة قطبت حاجبيها وعادت شارلوت تقول:

- ثم أنه مسكون... لا أريد أن أنام وحدى هنا مهما كان السبب.

قال أبوها:- ما هذه الحماقة!... أنك لم تر شيئا ما.

- هذا صحيح، ولكن...

- ولكن ماذا؟

لم تجب شارلوت ولكنها ارتجفت، فقد اندفع سيل جارف وارتطم بالواح النافذة، ووقعت الملعقة من يد مسز دينسميد على الصينية فسألها زوجها:

- أتكونين عصبية؟... ان الليلة رديئة وهذا كل شئ. لا تنزعجى. اننا فى أمان بجوار النار. ولا يوجد بالخارج من يمكن أن يزعجنا وانها لتكون معجزة لو أن أحدا أقبل.

وأردف يقول فى ارتياح غريب:- كلا... لا توجد معجزات.

وما كاد يفرغ من قوله حتى طرق الباب فجأة فتمتم مشدوها:- من هذا؟

وأطلقت مسز دينسميد أنة خافتة، وضمت شالها حول كتفيها وأحمر وجه مجدالين وانحنت الى الأمام وقالت:

- وقعت المعجزة... من الأوفق أن تذهب وتفتح الباب.

قبل ذلك بنحو عشرين دقيقة كان مورايمر كليفلاند واقفا تحت المطر ينظر الى سيارته. كان سيئ الحظ حقا فقد انفجرت عجلتان فى عشر دقائق، وهو الآن فى مكان يبعد عن العمران المستنقعات المنعزلة والليل قد هبط ولم يكن لديه أى أمل فى أن يجد مكانا يحتمى فيه. وقد اخطأ حين أخذ هذا الطريق القصير بدلا من الاستمرار فى الطريق العام، لأنه وحده الآن فى طريق غير مطروق تقريبا، ومن غير أى أمل فى أن تتقدم سيارته شبرا واحدا، ولا يعرف اذا كانت هناك أية قرية على مقربة. ولكنه لم يلبث أن رأى بصيصا مبهما من النور فوق التل الذى أمامه ثم احتواه الضباب من جديد. وبعد تردد قصير ترك سيارته ومضى الى التل.

ولم يلبث أن خرج من الضباب ورأى أن النور ينبعث من نافذة كوخ صغير قد يجد فيه ملاذا. وحث خطاه مطرق الرأس وهو يتصارع مع الريح والمطر اللذين بدا له أنهما يريدان اعاقته عن التقدم.

كان كليفلاند يتمتع ببعض الشهرة على الرغم من أن القليلين يعرفون اسمه وأعماله. كان خبيرا فى علم السحر والتبخيخ. وقد وضع كتابا عن العقل الباطن وقد بلغ حساسية كبيرة فى هذه الموهبة الطبيعية. وعندما بلغ الكوخ وطرق الباب تملكه احساس غريب كما لو أن قواه النفسية قد ازدادت شدة واحتداما.

وأدهشته تمتمة الأصوات فى الداخل، وعندما طرق الباب ساد الصمت ثم سمع صوت مقعد يدفع من مكانه وفتح الباب فجأة ورأى أمامه صبيا فى الخامسة عشرة من عمره. ونظر كليفلاند من فوق كتفى الصبى ورأى نفسه أمام لوحه أشبه بتلك اللوحات الهولاندية: منضدة مستديرة فوقها أطباق على ضوء الشموع وضوء نار الموقد، والأب، وهو رجل ضخم يجلس فى ناحية، فى حين تجلس فى الناحية الأخرى امرأة قصيرة ذات شعر أشيب تنظر اليه فى شئ من الهلع، وفتاة ذات عينين مذعورتين تمسك فى يدها فنجانا تهم برفعه الى شفتيها.

ورأى كليفلاند على الفور أنها جميلة جدا... بل أنها كانت صورة من الجمال قليلة الشيوع، ذات شعر ذهبى أحمر وعينين واسعتين رماديتين تشبه بفمها وذقنها احدى تلك المادونات الى برع فى رسمها الايطاليون البدائيون.

وساد الصمت لحظة ثم دخل كليفلاند الغرفة وشرح حالته. وعندما فرغ خيم صمت غريب. ثم نهض الأب فى شئ من التردد يكاد يكون غير ملحوظ وقال:

- ادخل يا مستر... أظنك قلت كليفلاند؟

أجاب مورتيمر وهو يبتسم:- نعم. هذا اسمى.

- ان الطقس ردئ اليوم بحيث لا يخطر لأحد أن يترك كلبا فى الخارج، أليس كذلك؟... تعال واجلس بجوار النار... ألا يمكن أن تغلق الباب يا جونى؟... هل تبقى مكانك هذا طوال الليل.

تقدم كليفلاند وجلس فوق طاولة خشبية بجوار الموقد فى حين أغلق الصبى الباب وقال صاحب البيت فى صوت اتسم بالرقة فجأة:

- اسمى دينسميد. وهذه زوجتى... وابنتى: مجدالين وشارلوت.

رأى كليفلاند لأول مرة وجه الفتاة التى توليه ظهرها ووجدها جميلة كأختها ولكن بصورة أخرى مختلفة، فقد كانت سمراء جدا ذات وجه شاحب كالمرمر وانف أقنى وفم صارم. كانت فى مجموعها متزنة متبرمة. وعندما قدمها أبوها أحنت رأسها وحدجت رأسها وحدجت كليفلاند بنظرة شديدة الاتساع كما لو كانت تقدره وتسبر غوره.

وقال دينسميد :- أتريد أن تشرب شيئا يا سيدى؟

أجاب مورتيمر:- شكرا لك. يسرنى أن أشرب فنجانا من الشاى تردد دينسميد لحظة ثم أخذ الفناجين الواحد بعد الآخر وأفرغها كلها فى البراد وقال فجأة:

- ان هذا الشاى قد برد. أعدى لنا غيره يا أماه.

نهضت مسز دينسميد وخرجت وبيدها البراد. واحس مورتيمر بأنه سرها ان تبتعد.

ولم يلبث البراد أن ظهر ثانية. وقدموا للضيف الطارئ مع الشاى لحما باردا.

راح دينسميد يتكلم بدون توقف، وكان لبقا ظريفا مغرورا. وأعطى للغريب فكرة وجيزة عنهم فقال أنه مقاول اعتزل أخيرا بعد أن حقق دخلا يجعلهم يعيشون فى بحبوحة، وأنه على الرغم من أنهم لم يسبق

لهم الاقامة فى الريف فقد وقع اختياره هو وزوجته على هذه البقعة واشترى هذا الكوخ رغم انه يبعد بنحو اثنى عشر كيلو مترا عن أى مكان مأهول ونحو ثلاثين كيلومترا عن أقرب مدينة. وقال أن الكوخ يروق له ولزوجته وأن كان لا يرق لابنته.

واستمر فى حديثه وهو يثقل على مورتيمر بثرثرته. ولم يكن هذا بالأمر المستغرب، ولكن كليفلاند لمس من أول وهلة نوعا من التوتر ينبعث من أحد أفراد الأسرة وان لم يدر من هو. ثم استخف رأيه هذا وأعتقد أن جهازه العصبى يخونه، فان هؤلاء القوم أدهشهم قدومه هكذا فجأة. واستفهم عن المكان الذى سيقضى فيه الليل واجابه دينسميد على الفور: يجب أن تبقى معنا يا سيدى فانك لن تجد مكانا تلجأ اليه فى هذه الناحية. يمكننا أن نعطيك غرفة. وعلى الرغم من أن بيجامتى واسعة عليك فانها أفضل من لا شئ. وستكون ثيابك جافة فى الصباح.

- أنت كريم جدا يا سيدى.

أجابه دينسميد:- أبدا. ان الطقس ردئ جدا الليلة بحيث لا يخطر لأحد أن يترك كلبا فى الخارج كما سبق أن قلت لك. هيا يا مجدالين، اصعدى أنت وأختك شارلوت لاعداد الغرفة.

خرجت الفتاتان. وبعد لحظة سمعها مورتيمر تمشيان فى الغرفة التى فوقهم وقال:

- ان ابنتيك جميلتان ولا أدرى كيف تطيب لهما الاقامة فى مثل هذا المكان المنعزل.

أجاب دينسميد فى كبرياء أبوى: أنهما ليستا دميمتين، أليس كذلك؟

أنها لا تشبهان أمهما طبعا ولا تشبهانى أنا الآخر لاننا لا نتمتع بقدر كبير من الجمال ولكننا متعلقان جدا، أحدنا بالآخر، أليس كذلك يا ماجي؟

ابتسمت مسز دينسميد ابتسامة خفيفة. وكانت قد عادت تشتغل بحبك الصوف وراحت ابرتاها ترتطمان بسرعة.

وبعد قليل عادت الاختان وصرحتا بأن الغرفة أعدت. وابدى مورتيمر شكره للمرة الثانية وقال أنه صاعد لكى يستريح.

وقالت مسز دينسميد:

- هل وضعتما بعض الزجاجات الساخنة فى الفراش؟

- نعم يا أماه... زجاجتين!

وقال أبوهما:- حسنا.

وعادت أمهما تقول:- أصعدا وتأكدا أن ضيفنا لا ينقصه شئ.

وتقدمت مجدالين وهى ترفع الشمعدان فى يدها. وتبعتها شارلوت. وكانت غرفة صغيرة ظريفة ذات سقف منخفض، وكان الفراش يبدو مريحا وكان هناك ابريق ماء ساخن فوق الطست وبيجامة كبيرة فوق مقعد بجوار الفراش.

وسارت مجدالين الى النافذة وتأكدت من أنها مقفلة، والقت شارلوت نظرة أخيرة الى طاولة الزينة ثم مضت كل منهما الى الباب.

- طابت ليلتك يا سيدى. هل أنت واثق أنه لا ينقصك أى شئ؟

- كل الثقة. شكرا لكما. يؤسفنى اننى سببت لكم كل هذا الازعاج.

خرجت الفتاتان وأغلقتا الباب خلفهما. وبقى مورتيمر كليفلاند وحده ونضا عنه ثيابه فى بطء وتفكير، وبعد أن ارتدى بيجامة مستر دينسميد الوردية اللون جمع ثيابه ووضعها فى الدهليز كما نصحه مضيفه بذلك.

وتناهى الى سمعه من الدور الأرضى صوت مستر دينسميد الخافت... يا لهذا الرجل من ثرثار كبير ويا لغرابة أمره!... ولكن، كان يتصاعد، والحق يقال، من هذه الأسرة كلها شئ غريب... ما لم يكن هذا من وحى خياله هو. ودخل الغرفة وأغلق الباب وبقى واقفا لحظة بجوار الباب وهو غارق فى أفكاره. وأجفل فجأة فقد كانت الطاولة الصغيرة التى بجوار الفراش تغطيها طبقة من الغبار، وعلى هذه الطبقة كتب بعضهم ثلاثة حروف أبجدية وهى علامة الاستغاثة واشارة الخطر.

وأجفل كما لو كان لا يستطيع تصديق عينيه، فقد كان فى وجود هذه الاشارة تعزيزا لمخاوفه المبهمة وتأكد أن هناك شيئا غريبا فى هذا البيت.

اشارة الخطر!... استغاثة!... ولكن من الذى كتبها على الغبار؟... أهى يد مجدالين أم يد شارلوت؟... تذكر كليفلاند أن كلا من الفتاتين بقيت مدة فى هذا المكان قبل أن تنصرف. فمن منهما مست الطاولة خلسة لكى تكتب هذه الاشارة؟

واستعاد الوجهين الى ذهنه. كان وجه مجدالين مغلقا أما وجه

شارلوت فكان يعبر عن الذعر والفزع بعينيها المتسعتين. كان فى نظرة هذه الأخيرة وميض غريب. وسار الى الباب وفتحه. ولم يسمع صوت مستر دينسميد الجهورى، فقد كان البيت هادئا. وقال مورتيمر يحدث نفسه (لا أستطيع أن أفعل شيئا الليلة... ساتى غدا.)

استيقظ كليفلاند مبكرا وهبط الى الحديقة. كانت الصبيحة ندية والشمس ساطعة. وكان شخص آخر قد نهض مبكرا كذلك، ففى آخر الحديقة رأى شارلوت معتمدة بظهرها على السياج تنظر الى التلال. وازدادت نبضات قلبه وهو يمضى اليها لأنه كان متأكدا منذ البداية بأنها هى التى كتبت له اشارة الخطر. وعندما دنا منها التفتت اليه وحيته تحية الصباح. وكانت نظرتها صريحة وبريئة لا تنم عن أنها تخفى أى شئ.

وقال مبتسما:- اليوم جميل. ان الطقس الآن مختلف تماما عن الأمس.

- هذا أكيد.

وكسر غصنا من شجرة قريبة واستعمله كعصا وبدأ يخط بطرفها شيئا فوق الرمال فكتب أولا حرف S ثم حرف O ثم حرف S ثان وهو يحدق فى الفتاة. ولكنه لم ير فى ملامحها ما يدل على أنها فهمت شيئا فأسرع يقول:

- هل تعرفين معنى هذه الحروف؟

قطبت شارلوت حاجبيها قليلا وقالت:- أليست هى اشارة الخطر التى ترسلها البواخر عندما تشرف على الغرق؟

اوما مورتيمر بالايجاب وقال فى هدوء:

- كتب شخص ما هذه الاشارة أمس فوق الطاولة بجوار الفراش وخطر لى أنه ربما يكون أنت.

نظرت اليه بعينين متسعتين وقالت:- أنا... أوه، كلا.

اخطأ اذن وأحس بخيبة أمل كبيرة ازاء ذلك لأن مثل هذا الأمر لم يحدث له الا فيما ندر. وأصر قائلا: هل أنت واثقة؟

- أوه... نعم.

واستدار وسارا فى بطء نحو البيت، وبدت شارلوت كأن هناك ما يشغلها وراحت ترد كيفما اتفق على بعض الملاحظات التى وجهها رفيقتها اليها. وصاحت فجأة تقول فى صوت خافت تشوبه رنة من القلق:

- من الغريب أنك القيت على هذا السؤال فيما يتعلق بالحروف الثلاثة. أننى لم أكتبها طبعا، ولكن كان فى مقدورى أن أفعل ذلك.

توقف كليفلاند وتفرس فيها فأسرعت تقول:- أعلم أن هذا سخيف... ولكن تملكتنى خوف... خوف شديد. وعندما أتيت أنت أمس خيل لى أنك تأتينى برد.

سألها على الفور:- ومم تخافين؟

- لا أدرى.

- لا تدرين؟

- أظن أننى أخاف من البيت نفسه. لأن خوفى لم يزدد الا منذ

قدومنا هنا.. كل الذين يحيطون بى يبدون كأنهم تغيروا... أبى وأمى ومجدالين... تغيروا جدا.

لم يجب مورتيمر على الفور. واستطردت شارلوت: هل تعرف أنه يقال أن هذا البيت مسكون؟

قال وقد استيقظ اهتمامه على الفور:- وكيف ذلك؟

- قتل رجل زوجته فيه منذ سنوات عديدة، ولم نعرف ذلك الا بعد مجيئنا هنا. ويقول أبى أن من السخف أن نفكر فى الأشباح ولكننى... لست واثقة من ذلك.

راح مورتيمر يفكر سريعا وقال يسأل فى صوت هادئ:- هل وقعت تلك الجريمة فى الغرفة التى رقدت فيها الليلة؟

أجابته شارلوت:- لا أدرى.

قال كليفلاند كما لو كان يحدث نفسه:- أننى أتساءل... نعم، من الجائز ذلك.

نظرت الفتاة اليه دون أن تفهم فى حين استطرد:- ألم يخطر لك أبدا أنك تملكين موهبة الوسيط؟

حدقت فيه مشدوهة فعقب يقول فى رفق:- أظن أنك أنت التى كتبت اشارة الخطر على غير وعى منك لأنها جريمة تلوث الجو. أنك نقلت مشاعر وأحاسيس المرأة القتيل. ولا شك أنها كتبت منذ سنوات اشارة الخطر على هذه الطاولة بالذات وتصرفت أنت أمس كما تصرفت هى.

انبسطت أسارير شارلوت وقال:- أننى أفهم الآن. هل تظن أن فى هذا تفسيرا؟

ناداها بعض من فى البيت فى هذه اللحظة فعادت بمفردها تاركة مورتيمر يتمشى فى ممرات الحديقة. وتساءل اذا كان الرد الذى قدمه للفتاة يرضيه واذا كانت الحقائق التى يعرفها قد اتضحت، واذا كان التوتر الذى أحس به وهو يدخل الغرفة أمس ينبعث من هذه الحقائق؟

كان هذا جائزا، ومع ذلك بقى لديه انطباع غريب بأن قدومه المفاجئ قد أفزع أهل البيت. وقال يحدث نفسه: (لا يجب أن أنساق وراء تفسير نفسانى بسيط فهو يمكن أن يكون صحيحا فيما يتعلق بشارلوت ولكنه لا يمكن أن يكون كذلك فيما يتعلق بالآخرين فان مجيئى أزعجهم كلهم فيما عدا جونى. مهما تكن طبيعة السر فان جونى ليس ضالعا فيه.

وفى هذه اللحظة خرج الفتى من البيت واقترب من الضيف وقال له فى ارتباك: أن طعام الافطار جاهز... فهلا دخلت؟

ولاحظ مورتيمر أن أصابع الفتى شديدة التلوث. ورأى جونى ذلك فضحك وقال: أننى أعالج دائما مودا كيماوية. وأبى يحنقه ذلك لأنه يريد أن أغدو مهندسا معماريا فى حين أن الكيمياء وأبحاث المعامل هى التى تستهوينى.

وظهر مستر دينسميد فى النافذة. وكان ضاحكا. وحين وقع بصر مورتيمر عليه استيقظت كل شكوكه من جديد. وكانت مسز دينسميد قد جلست الى المائدة المعدة وحيته تحية الصباح بصوتها الذى لا طابع

له. وخامر كليفلاند احساس جديد بأنها خائفه منه لسبب ما.

وكانت مجدالين آخر من دخل فألقت اليه بتحية خفيفة وجلست أمامه وسألته فجأة: هل استمتعت بالنوم؟ وهل كان الفراش مريحا؟

ونظرت اليه باهتمام. وعندما أجابها بالايجاب خيل اليه أنه لمح فى وجهها ما ينم عن الخيبة... أى رد كانت تتوقعه منه اذن؟

وتحول مورتيمر الى مضيفه وقال:- يبدو لى أن ابنك يهتم بالمواد الكيماوية.

وصدر صوت جاف فقد وقع فنجان الشاى من يد مسز دينسميد. وقال زوجها: ما هذا يا ماجى؟

وأحس مورتيمر بأن الرجل يحذر زوجته. وتحول هذا الأخير الى ضيفه وراح يتكلم عن فوائد البناء والأضرار التى تحدث اذا اعتقد الأبناء أنهم أعلى مقاما من وسطهم.

وبعد أن فرغوا من طعام الافطار خرج كليفلاند الى الحديقة لكى يدخن كان من الواضح أنه لابد أن يترك هذا البيت وشيكا. كان من اليسير أن يطلب الاستضافة ليلة أخرى ولكن كان من العسير أن يبطئ دون سبب ثم أنه لم ير سببا يمكن أن يتذرع به. ولم يكن يريد أن ينصرف، وفيما هو يفكر فى الأمر انعطف الى ممر يؤدى الى الناحية الأخرى من البيت. وكان لحذائه نعل من الكريب لا يصدر عنه أى صوت. وكان يمر أمام نافذة المطبخ عندما سمع صوت دينسميد. وأثارت الكلمات التى سمعها اهتمامه على الفور فقد كان دينسميد يقول (أنه مبلغ جسيم، أليس كذلك؟) وردت عليه زوجته ببضع كلمات

فى صوت خافت لم يستطع مورتيمر أن يتبينها ولكنه سمع زوجها يقول: (لقد قال المحامى أنه يبلغ نحو ستين ألف جنيه).

ولم يكن من عادة كليفلاند أن يتسمع عند الأبواب فابتعد وهو يفكر... هذه الاشارة الى مبلغ جسيم بدت كأنها تبين الموقف وتجعله يبدو أشد وضوحا... وأشد شؤما.

خرجت مجدالين من البيت فى هذه اللحظة ولكن أباها ناداها. ولم يلبث دينسميد أن لحق بضيفه وصاح فى مرح:

- يوم جميل!... أرجو أن لا تكون سيارتك قد أصابها أى عطب.

قال كليفلاند يحدث نفسه: (انه يريد أن يعرف أين اذهب). ولكنه شكر دينسميد لحسن ضيافته فقال هذا الأخير:

- العفو... ليس هذا شئ يذكر.

وخرجت مجدالين وشارلوت من البيت معا وسارتا وكل منهما تأبط ذراع الأخرى الى مقعد خشبى. وكان فى اللون الأسمر واللون الأشقر تباين ظريف. ولم يشعر كليفلاند الا وهو يقول:

- ان ابنتيك لا يشبهان بعضهما اطلاقا.

وكان هذا الأخير يهم باشعال غليونه فأتى بحركة فجأة وأفلت منه عود الثقاب وقال: أهذا رأيك؟... هذا صحيح على كل حال. وومض وميض من الادراك فى ذهن مورتيمر واستطرد يقول فى صوت هادئ:

- ثم أن أحديهما ليست ابنتك.

نظر دينسميد اليه مترددا ثم قال وقد استقر على رأى:- أنك ذكى جدا يا سيدى. الواقع أن أحداهما فتاة لقيطة تبنيناها وهى وليدة وربيناها كما لو كانت ابنتنا. وهى نفسها لا تعرف ذلك. ولكن يجب أن نخبرها قريبا.

وتنهد. وقال مورتيمر فى هدوء:- لا شك أنها مسألة ميراث.

رماه دينسميد بنظرة شك ثم بدا أنه يرى أن من الأفضل أن يتوخى الصراحة فقال فى شبه عداء: من الغريب أن تقول ذلك يا سيدى.

أجاب مورتيمر وهو يبتسم:- تبادل خواطر.

- هذه هى الحقيقة يا سيدى. وقد تبنيناها لنقدم صنيعا لأمها نظير مبلغ من المال لأننى فى ذلك الوقت لم أكن قد اتسعت فى عملى بعد. ولكننى قرأت اعلانا فى الجرائد منذ بضعة شهور واحسست أن الفتاة التى يبحثون عنها ربما تكون مجدالين فذهبت للقاء المحامى وتبادلنا نقاشا طويلا. كان متشككا ولكننا لم نلبث أن سوينا كل شئ. وسأذهب بالفتاة العزيزة الى لندن فى الأسبوع المقبل. وهى لا تعرف شيئا حتى الآن. كان أبوها يهوديا ثريا جدا ولم يكن لديه أى سبب فى أن يشك فى قصة دينسميد لأن فيها تفسيرا لسبب سمرة مجدالين ونظرتها المترفعة. ومع ذلك فقد خطر له على الرغم من أن القصة قد تكون صحيحة الا أنه كان فيها بعض النقاط المستترة. ولكنه لم يشأ أن يولد الشك عند محدثه. وكان لابد أن يطمئنه على العكس من ذلك فقال: هذه حالة ذات أهمية كبيرة يا سيدى، وأننى أهنئ الآنسة مجدالين بصفتها وريثة غنية وجميلة أمامها مستقبل سعيد باسم.

أجاب دينسميد:- طبعا. ثم أنها فتاة ممتازة.

وكان يتكلم فى حرارة وحماس كبيرين.

قال مورتيمر:- يجب أن أنصرف الآن. واشكرك مرة أخرى على حسن ضيافتك.

وعاد الى البيت برفقة مضيفه لكى يودع مسز دينسميد. وكانت تقف أمام النافذة توليهما ظهرها فلم تسمعهما عندما دخلا. وصاح زوجها يقول فى مرح: أقبل مستر كليفلاند لكى يودعنا.

أجفلت المرأة ووقع من يدها شئ فانحنى مورتيمر ليلتقطه. كان عبارة عن صورة صغيرة قديمة لشارلوت.

وكرر كليفلاند شكره لمسز دينسميد، ولحظ من جديد امارات الذعر والفزع على محياها والنظرات التى راحت ترميه بها خلسة. ولم تكن الفتاتان موجودتين، ورأى مورتمير أن من الحكمة ان لا يسأل عنهما ثم انه كانت لديه فكرة لم يلبث أن تبين حقيقتها.

كان قد ابتعد عن الكوخ بنحو أربعمائة متر وهو فى طريقه الى المكان الذى ترك فيه سيارته عندما انزاحت بعض اغصان الأشجار التى تحف بالطريق وظهرت مجدالين أمامه. وقالت:

- يجب أن اتحدث اليك.

أجاب مورتيمر:- كنت أنتظرك. انت التى كتبت اشارة الاستغاثة على المائدة مساء أمس. أليس كذلك؟

اومأت بالايجاب فاستطرد:- لماذا؟

تحولت الفتاة عنه وراحت تشد أوراق شجرة صغيرة وأجابت:

- لا أدرى... لا أدرى حقا.

قال كليفلاند:- بل تكلمى.

أطلقت تنهيدة عميقة وقالت:- اننى فتاة عملية. لست من هؤلاء اللاتى يتوهمن أشياء غريبة، ومع ذلك فقد فهمت أنك تؤمن بالأشباح والأرواح. واذا قلت لك أن هناك شيئا غريبا فى البيت فاننى أعنى أن هناك شيئا بالذات. ليس الأمر مجرد صدى من أصداء الماضى وقد ازداد خطورة منذ أن قدمنا هنا. أن أبى تغير وأمى تغيرت وكذلك شارلوت.

سألها مورتيمر:- وجونى؟

تفرست فيه فى استحسان وقالت: كلا. ان جونى هو الوحيد الذى لم تصبه العدوى.. حتى ساعة الشاى أمس كان هادئا جدا.

- وأنت؟

- أما أنا فكنت خائفة شديدة الخوف دون أن أدرى لذلك سببا.. وكان أبى غريبا.. ليست هناك كلمة أخرى. أنه تكلم عن المعجزات وتوسلت أنا الى الله أن تقع معجزة وعندئذ طرقت انت الباب.

وسكتت فجأة وتفرست فى كليفلاند ثم عادت تقول فى تحد:

- أظن أنك تحسبنى مجنونة؟

- أبدا. بل أراك على العكس سليمة العقل. وكل أمرئ سليم العقل

يتكهن بالخطر عندما يدنو منه.

أجابت مجدالين:- أنك لا تفهم... لم أكن خائفة على نفسى.

- على من اذن؟

هزت رأسها فى شئ من الدهشة وتمتمت:- لا أدرى.

ثم استطردت تقول: كتبت اشارة الاستغاثة مدفوعة باحساس بأن هناك خطرا فى الجو، وكنت أعتقد، وهو اعتقاد سخيف من غير شك، بأنهم لن يدعونى أتحدث اليك. لا أدرى ما الذى كنت أريد أن أطلبه منك ومازلت لا أدرى ذلك حتى الآن.

قال مورتيمر:- لا أهمية لهذا. سأتصرف.

- ماذا تستطيع أن تفعل؟

ابتسم وقال:- سأفكر.

نظرت اليه فى قلق ولكنه استطرد يقول:- نعم. يمكن أن نفعل الكثير بالتفكير... لا يمكن أن تتصورى أمس قبيل الطعام.

فقطبت مجدالين حاجبيها وقالت:- لا أظن ذلك. أو بالحرى سمعت أبى يقول لأمى أن شارلوت تشبهها شبها كبيرا ثم ضحك بطريقة غريبة. ولكننى لا أجد فى هذا شيئا غير عادى.

قال مورتيمر فى بطء:- كلا، فيما عدا أن شارلوت لا تشبه أمك.

ولزم الصمت لحظة. ورفع عينيه ورأى أن الفتاة بادية الجزع فقال:

- عودى الى البيت يا ابنتى ولا تزعجى نفسك. دعينى أتصرف.

ومضت الى الكوخ فى حين تابع مورتيمر طريقه ثم تمدد فوق العشب وأطبق عينيه واستغرق فى تفكير عميق.

جونى... جونى.... كان يعود دائما الى هذا الفتى البرئ كل البراءة من جو الشك والدسائس الذى يحيط به رغم أنه كان محورها. وتذكرت صوت وقوع الفنجان من يد مسز دنسميد؟... لماذا اضطربت هكذا؟... بسبب الاشارة العادية التى أبداها عن الأبحاث الكيماوية التى يقوم بها ابنها؟ لم يهتم بمستر دينسميد فى ذلك الوقت ولكنه يراه الآن فى وضوح وهو يهم برفع فنجانه الى فمه.

وأعاده هذا الخاطر الى شارلوت كما رآها عندما انفتح الباب مساء أمس. كانت تنظر اليه من فوق حافة فنجانها. ثم عادت الى ذهنه صورة أخرى.. صورة دينسميد وهو يفرغ كل الفناجين ويقول: (ان هذا الشاى برد.) ومع ذلك فقد كان البخار لا يزال يتصاعد منه مما يدل على أنه لم يكن قد برد. وتذكر مقالا قرأه قبل ذلك بقليل فى احدى الجرائد عن اسرة تسمم أفرادها بأجمعهم بسبب اهمال طفل ترك الزرنيخ فى النملية، وقد وقع السم على الخبز. ولا ريب أن مستر دينسميد قرأ هذا المقال هو الآخر. وبدت المعضلة تتضح. وبعد نصف ساعة نهض.

خيم الليل مرة أخرى على الكوخ. وكان فوق المائدة بعض البيض المسلوق وعلبة من المحفوظات. وجاءت مسز دينسميد من المطبخ وفى يدها البراد الكبير.

وجلس أفراد الأسرة حول المائدة.

وقالت مسز دينسميد وهى تلقى نظرة الى النافذة ان الجو متغير اليوم ويختلف عن جو الأمس.

وقال زوجها: نعم. ان الليل هادئ ونستطيع أن نسمع دبوسا اذا وقع على الأرض... صبى لنا الشاى.

اطاعته مسز دينسميد ثم وزعت الفناجين. ولكن بينما كانت تضع البراد فوق المائدة أطلقت صيحة خافتة وألقت يدها على قلبها. وتحول زوجها ونظر الى حيث تنظر مرتاعة فرأى مورتيمر كليفلاند واقفا بعتبة الباب.

وتقدم هذا الأخير فى مودة ظاهرة وقال:- أرجو أن لا أكون قد افزعتكم. كان لابد لى من العودة لكى أبحث عن شئ.

قال دينسميد وقد احمر وجهه وتوترت عروقه حتى بدت كالحبال:

- تبحث عن شئ؟.. وددت لو أن أعرف ما هو.

أجاب مورتيمر: قليل من الشاى.

وأخرج من جيبه أنبوبة اختبار وأخذ أحد الفناجين وأفرغ ما به فى الأنبوبة. ولهث دينسميد وقال وقد تغير لون وجهه من اللون الأحمر الى اللون الأصفر: ماذا تفعل؟

وأطلقت زوجته صيحة تدل على الفزع.

- أظن أنك تقرأ الصحف يا سيدى. بل اننى واثق من ذلك. ويذكرون فيها أحيانا نبأ عن تسمم أفراد الأسرة بأجمعها... وبعضهم يبرأون أما البعض الآخر...

(وفى حالتك أنت بالذات سيموت أحد أفراد أسرتك، وسيخطر للمتحققين فى بادئ الأمر أن علبة الأكل المحفوظة هى السبب. ولو كان الطبيب متشككا بطبعه فانه سيرى كيس الزرنيخ فى النملية. وسيرى أن الشاى موضوع فوق رف بالنملية وأن بالرف الذى فوقه ثقب، وسيعتقد عندئذ أن الزرنيخ تسرب من الثقب ولوث الشاى صدفة واتفاقا. وكل ما يمكن أن يفعله المحققون هو أن يرموا ابنك بالاهمال ولا شئ أكثر من ذلك.

قال دينسميد لاهثا:- اننى... اننى لا أفهم.

أجاب مورتيمر وهو يأخذ فنجانا آخر ويفرغ ما فيه فى أنبوبة ثانية:- بل أظن، أنك تفهمنى.

ولصق بطاقة حمراء على الأنبوبة الأولى وأخرى صفراء على الأنبوبة الثانية ثم قال:

- ان الأنبوبة ذات البطاقة الحمراء تحتوى على شاى مصدره فنجان ابنتك شارلوت أما الأخرى فمصدره فنجان ابنتك مجدالين. وأنا على استعداد لأن أقسم أننى سأجد فى الأنبوبة الأولى من الزرنيخ أضعاف ما يوجد فى الأنبوبة الثانية.

تمتم دينسميد:- هل أنت مجنون؟

- كلا، طبعا. أنك قلت لى اليوم ان مجدالين ليست ابنتك وقد كذبت على لأنها ابنتك أما شارلوت فهى الابنة المتبناة. وهى تشبه أمها بحيث أننى عندما رأيت الصورة المصغرة لهذه الأخيرة حسبتها صورة شارلوت. وقد اردت أنت أن ترث ابنتك الثروة، ولما كان يستحيل عليك

اخفاء شارلوت، ولما كنت تخشى أن يدرك أحد ممن عرفوا أمها الحقيقية فقد خطر لك أن تضع كمية من الزرنيخ فى فنجانها.

أطلقت مسز دينسميد ضحكة حادة وانتابتها نوبة هستيرية وصاحت: شاى.. هكذا قال.. شاى بدلا من الليمونادة.

صاح زوجها غاضبا:- صه!

راح مورتيمر شارلوت ينظر اليه بعينين جاحظتين ثم أحس بيد تلمس ذراعه وأخذته مجدالين على حدة وقالت: أنك لن...

القى كليفلاند يده فوق كتفها وقال: أى ابنتى. أنك لا تؤمنين بالماضى ولكننى أؤمن به. وقد فهمت أى جو يسود هذا البيت. ولو أن أباك. أقول لو أن أباك لم يأت اليه لما خطرت له هذه الخطة. سأحتفظ بهاتين الأنبوبتين حفاظا على حياة شارلوت الآن وفى المستقبل.

ولكننى لن أفعل شيئا آخر عرفانا بجميل اليد التى كتبت اشارة الاستغاثة.

ثم أسرع بالانصراف.

نجمة الصباح

أقام مستر بونتر حفلة شاى شائقة على ظهر يخته دعا اليها بعض أصدقائه ومعاونه وهم ليون ستين وسير جورج والليدى ماراواى وسيد امريكى يعرف باسم صامويل ليذرن ايف ومستر روستنجتون وايفان ليوان.

وكان ايفان ليوان يشعر بميل كبير نحو الليدى ماراواى. وكانت هذه الأخيرة تبادله ميله. وكانت ايف ابنة مستر صومويل ليذرن كما لو كانت لا تزال طفلة فى السابعة عشرة من عمرها.

وأوى المدعووون الى مخادعهم فى تلك الليلة وقد صح منهم العزم على تناول طعام الغداء فى اليوم التالى فى مطعم رويال جورج، وهو مطعم فاخر يختلف اليه وجهاء المدينة التى رسا فيها اليخت.

وقصد المدعوون المطعم فى اليوم التالى فعلا وأخذوا مجالسهم.

وقالت ايف ليذرن فجأة:

- مستر بونتر، هل أحضرت معك الماسة التى عرضتها علينا أمس؟

أجاب مستر بونتر باسما:- نعم.

- أنك أسأت التصرف باحضارها معك فقد يسرقها منك أحد.

- ليس فى استطاعة مخلوق أن يسرقها منى أيتها الآنسة الفاتنة.

- على كل حال يجب أن يكون الانسان حذرا فى أيامنا هذه.

ثم اردفت ضاحكة:- ففى مقدورى أنا أن أسرقها.

- ليس فى مقدور أحد أن يسرقها منى.

قالت ايف:- أننى اتحداك اذن وسوف اسرقها منك. لقد قضيت طوال الليلة الماضية وأنا أفكر فيها وفى الطريقة التى أتمكن بها من سرقتها.

- وما هى هذه الطريقة؟

ضحكت ايف وألقت بشعرها الى الخلف وهى ترد:

- هذا سرى ولن أبوح لك به.

- اننى أراهنك بستة أزواج من القفازات على أنك لن تفلحى فى سرقتها.

- حسنا. أننى أقبل الرهان... وماذا تريد أنت؟

ابتسم مستر بونتر وأجاب:- سوف اقنع بعلبة من التبغ.

- اتفقنا اذن. والآن عليك أن تفعل ما أشير به. أخرج الماسة وأعرضها علينا واحدا واحدا كما فعلت أمس.

وأمسكت ايف اذ فتح الباب ودخل الخادم يحمل أطباق الطعام. ولما غادر الغرفة قال مستر بونتر يوجه اليها الحديث:

- تذكرى أيتها الفاتنة الصغيرة انك اذا أفلحت فى سرقة الماسة فسوف استدعى رجال البوليس.

- لا بأس. ولكنك لن تكون بحاجة الى استدعائهم. فسوف يكون فى مقدور الليدى ماراواى ومسز روستنجتون أن يفتشانى.

قال مستر بونتر موافقا:- هذا حسن.

ثم أردف يقول فى زهو وخيلاء:- أن أحدا لا يمكن أن يسرق (نجمة الصباح) منى.. فهى تساوى ثلاثين ألف جنيه.

هتفت ايف:- ثلاثون الف جنيه!.. كأنك تغرينى على سرقتها حقا.

وصاحت الليدى ماراواى فى لوم وعتاب:- وهل يحسن أن تحمل معك ماسة ثمينة كهذه؟... ثلاثون ألف جنيه.

وارتجفت شفتاها وهى تتكلم. وقالت مسز روستنجتون:

- أنه مبلغ كبير يغرى اللصوص على المغامرة.

فتدخل سير جورج وقال:- ولكن اللص الذى يسرقها لن يفيد شيئا من سرقتها... أنه لن يتمكن من بيعها فان (نجمة الصباح) معروفة.

وقالت ايف مخاطبة مستر بونتر:- أخرج الماسة وأعرضها علينا

كما فعلت أمس.

وضع مستر بونتر يده فى جيبه وهو يبتسم ثم أخرجها بشئ استقر فى راحته.

كان هذا الشئ عبارة عن ماسة كبيرة الحجم تتلألأ وترسل بريقها فى انحاء الغرفة. وقال:

- لعله يسركم أيها السادة أن تشاهدوا هذه الجوهرة... هى الماسة المشهورة المعروفة باسم (نجمة الصباح) احتفظ بها فى جيبى دائما كتعويذة تقينى شر الناس ومصائبهم.

وناولها لليدى ماراواى فأخذتها وجعلت تقلبها فى يدها وهى تصيح دهشة وأعجابا ثم ناولتها لمستر ليوش الذى قال (ما أجملها) وهو يناولها بدوره لمستر ليذرن.

وأقبل الجرسون فى هذه اللحظة فأسرع ليذرن باخفاء الماسة. ولما انصرف الرجل أخرجها من جيبه ونظر اليها فى اعجاب هو الآخر ثم ناولها لايف مباشرة.

وصاحت ايف فى صوت يتهدج انفعال:- ما أجملها!

ولكنها لم تلبث أن صرخت فى جزع قائلة:- لقد سقطت منى.

ونهضت من مكانها ودفعت المقعد الذى كانت تجلس فوقه وجثت على ركبتيها وراحت تبحث عن الماسة. وكان سير جورج جالسا الى يسارها فانحنى هو الآخر... ووقع كوب فوق الأرض وسط الارتباك الذى ساد الغرفة على أثر وقوع الماسة. ونهض ستيف وليوش ومسز

روستنجتون وعاونوا ايف فى البحث وانضمت اليهم ليدى ماراواى أخيرا.

أما مستر بوينتر لزم مكانه وهو يبتسم. وقالت ايف أخيرا:

- أوه. هذا مروع... أين اختفت؟... انتى لا أجدها فى أى مكان.

ولم يلبث أن نهض الجميع، وأحدا بعد الأخر. وقال سير جورج مبتسما: لقد اختفت الماسة.

أومأ مستر بوينتر برأسه وقال:- لقد أجدت دورك يا ايف. والمهم الآن هو أن نعرف أين أخفيتها؟... أو لعلها مازالت معك؟

فتظاهرت ايف بالجزع وقالت:- فتشنى.

وكان هناك ستار كبير فأشار مستر بوينتر لمسز روستنجتون والليدى ماراواى قائلا:

- هل تتكرمان بتفتيشها؟

وابتسمت الليدى ماراواى. ونهضت هى ومسز روستنجتون. وقال مستر بوينتر لا يف ضاحكا:

- لا تخافى يا بنية.

واختفت النسوة الثلاث خلف الستار.

* * *

ومضت بضع دقائق ثم خرجت السيدات الثلاث وقالت مسز روستنجتون:

- لم نجد للماسة أثرا.

وقالت الليدى ماراواى:- يمكنك أن تصدقنى.. أن الماسة ليست معها.

رمى مستر بوينتر ايف بنظرة يتطاير منها الشرر وقال:- هل ابتلعتها يا ايف؟... ان فى ذلك خطرا كبيرا عليك.

وتدخل ليون شينى عندئذ فقال فى هدوء:- أننى كنت ناظرا اليها ولم أرها تضع شيئا فى فمها.

وتكلمت أيف فقالت:- وهل تظننى من الحماقة بحيث ازدرد حجرا كبيرا كهذا؟

فنهض بوينتر قائلا:- أبقى مكانك ولا تتحركى.

ونقل المائدة من مكانها بمساعدة مدعويه وفتش الغرفة شبرا شبرا. واستأثر باهتمامه المقعد الذى كانت ايف تجلس عليه، غير أن تفتيشه ذهب هباء. وضاعت محاولاته فى سبيل العثور على الماسة عبثا. وبعد خمس دقائق انتصب واقفا وقد ارتسمت امارات الغضب على وجهه. وراح ينفض بنطلونه وهو يقول:

- ماذا فعلت بالماسة؟... أنها لم تخرج من الغرفة فأين أخفيتها؟

فسألته ايف قائلة:- أتعرف أنك خسرت الرهان؟... وهل تأتينى بالقفازات التى وعدتنى بها؟

- أجل أيتها الفتاة الصغيرة الماكرة.

وسألت مسز روستجتون فى فضول:- أين أخفيتها يا بنيتى؟

ابتسمت ايف ابتسامة كبيرة وقالت:- سأريكم... ان الأمر بسيط جدا.

وسارت الى المائدة فتناولت من فوقها حقيبة يدها قائلة:- اننى وضعتها هنا تحت بصركم جميعا.

ولكن سرعان ما غاصت الابتسامة من وجهها وصاحت وقد تغيرت ملامحها:- أوه.

وتدخل أبوها لأول مرة فسألها قائلا:- ما الخبر يا بنية؟

فأجابت فى صوت خافت:- لقد اختفت... اختفت.

ودنا مستر بوينتر منها وقال:- ماذا حدث؟

تحولت ايف اليه وقالت جازعة:- ان لحقيبتى هذه فصا كبيرا سقط منى أمس. وبينما أفكر فى الماسة خطر لى أن أضعها مكان الفص المفقود فلا يفطن اليها أحدا. وهذا ما فعلت بالذات بينما كنت أتظاهر بأننى أتفرج عليها. ثم وضعت الحقيبة فوق المائدة وتظاهرت بأن الماسة سقطت منى. وكانت هذه خطة بارعة فلم يلحظ أحدكم شيئا.

قال مستر شين:- هذا عجيب!

وصاح بوينتر محنقا:- وما وجه العجب؟

واختطف الحقيبة وفحص مكان الفص المفقود ثم قال:- ربما تدحرجت فوق الأرض. يجدر بنا أن نبحث عنها مرة أخرى.

واستأنف المضيف ومدعوه التفتيش مرة ثانية. وخيم على الغرفة شئ من الارتباك والقلق.

ولما أعياهم البحث نهض مستر ستين قائلا: -انها ليست فى هذه الغرفة.

فرد عليه سير جورج محتجا:- ولكن أحدا لم يخرج.

وساد صمت خفيف مزعج. واقترب ايفان من النافذة وألقى بالخارج ورقة مكورة التقطها من الأرض وانخرطت ايف فى البكاء فقال مستر بوينتر فى ارتباك:

- لا تبكى يا بنية.

ولكن ايف ازدادت نحيبا وقالت وهى تنشج: أنا السبب فى ضياعها أنا السبب ولكننى لم أكن أقصد هذا.

وقال مستر ستين:- لا تبكى يا مس ايف. أن الماسة سوف تظهر فهى لم تخرج من هذه الغرفة.

وأعيد البحث مرة أخرى وفتشت الغرفة بدقة ولكن من غير جدوى. وعرض سير جورج على بوينتر أن يفتشه. وحذا باقى المدعوين حذوه. ولكن على الرغم من كل ذلك فان نجمة الصباح لم تظهر واختفت تماما.

وتبادل المدعوون نظرات الدهشة والاستغراب.

نظر هركيول بوارو الى ايفان ليون وسأله:

– حسنا. وماذا تبغى الآن؟

أجابه ايفان:– أريد أن أعرف حقيقة اختفاء الماسة.

فكر بوارو هنيهة ثم قال: ولكن معذرة.. أنها ليست ماستك. ومع ذلك عهدت الى أن أبحث عنها فهل يمكننى أن أعرف سبب كل هذا الاهتمام الذى تبديه؟

– أن مستر بوينتر مرتاب فى اننى أنا الذى سرقتها. ولو أنه لم يفصح بذلك. وقد قصدتك لتبحث عن السارق الحقيقى، اذا كانت سرقت حقا لتظهر له براءتى.

سأله بوارو:– هل أنت واثق أنك ذكرت لى كل شئ؟... أأنت مؤمن أنك لم تنس شيئا.

فكر ايفان قليلا ثم قال:– كلا. لا أظن أننى نسيت شيئا. لقد وضعتها هذه الفتاة الأمريكية الحمقاء موضع الفص من حقيبتها. ولما ارادت أن تستعيدها وجدتها قد اختفت. وقد قام مستر بوينتر بتفتيش كل واحد منا تفتيشا دقيقا..ثم أننا فتشنا مستر بوينتر نفسه، فقد أصر هو على ذلك ومع ذلك لم نعثر لها على أثر مع أن أحدا منا لم يغادر الغرفة.

سأله بوارو: الجرسون؟

هز ايفان رأسه وأجاب:– أنه غادر الغرفة قبل أن يخرج مستر ليذرن الماسة من جيبه. وقد أوصد بوينتر الباب عقب انصرافه.

– وما هو السبب الذى جعل مستر بوينتر يشتبه فيك؟

– هو هذه الورقة اللعينة التى التقطها من الأرض وألقيت بها من النافذة. لقد حسب الجميع فيما بعد.

وأمسك قليلا ثم استطرد:– حسبوا أن الماسة بداخلها وأننى ألقيت بها الى شريك ينتظر بالخارج... وأننى أخشى أن تشاركهم أنت نفسك هذا الاعتقاد.

وما هو؟

ولكن بوارو لم يجبه وانما قال:– أرجو أن تصف لى كل واحد من المدعوين على حده.

أعاد ايفان وصف المدعوين مرة أخرى على بوارو. وراح هذا الأخير يدون بعض الملاحظات فى مذكرته. ولما فرغ ايفان قال البوليس السرى الشهير.

– هذا حسن. أنك ذكرت لى أن كوبا وقع على الأرض وتحطم... أليس كذلك؟

حدق ايفان فيه دهشا وقال:– نعم.

– هذا بديع. كوب من المدعوين.

– أظنه كوب تلك الفتاة الحمقاء ايف.

– آه! ومن كان يجلس بجوارها، فى الناحية التى سقط منها الكوب؟

– سير جورج.

- ألم تر أحدا منهما يدفع الكوب بيده؟

- كلا. لماذا؟

- أوه!... هذا سؤال عرضى لا غير.

ونهض بوارو وهو يقول:- طاب يومك يا مستر ليون. أرجو أن تأتى لزيارتى بعد ثلاثة أيام. أظن أنه سيكون فى استطاعتى عندئذ أن أوضح لك كيف اختفت تلك الماسة.

- هل تسخر منى يا مستر بوارو؟

- معاذ الله يا مستر ايفان.. تعال لزيارتى فى منتصف الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة المقبل... شكرا لك.

وفى يوم الجمعة، وفى الوقت المحدد ذهب ليوان الى بوارو يحدوه الأمل فقابله المخبر الكبير بابتسامة رقيقة قائلا:

- كيف حالك يا مستر ليوان؟... تفضل بالجلوس... هل تدخن؟

هز ايفان رأسه ثم سأل:- حسنا.

أجابه بوارو:- لقد انتهى الأمر وألقى رجال البوليس القبض على العصابة.

- العصابة؟... أية عصابة؟

عصابة أما فالى. لقد تذكرتها بمجرد أن سمعت قصتك وأيقنت أن هذه السرقة من تدبيرها.

- ولكن من هى عصابة أما فالى؟

- أنها مكونة من ثلاثة أفراد... رجل اسمه بيترو وابنه وزوجة ابنه. وهذه الأخيرة تدعى ماريا. ومع أن بيترو ايطالى الجنسية الى أنه يستخدم الطريقة الأمريكية فى السرقة، وطريقته سهلة لا يفطن اليها أحد فهو يتخذ اسما ولقبا يجعلانه بعيدا عن مواطن الشبهات ويتصادقان مع الضحية التى يريد سرقتها. وماريا تساعده مساعدة فعالة متظاهرة بأنها ابنته وأنها لا تزال فتاة فى طور المراهقة لا تتجاوز السابعة عشرة.

هتف ليوان: لعلك لا تعنى تلك الفتاة ايف؟

- بل هى التى أعنيها. وهى التى سرقت الماسة وساهمت فى اخفائها. فقد التحق بيتر بوظيفة جرسون بفندق رويال جورج. وكان ذلك اليوم يوم عطلة، وكان الفندق بحاجة الى عدد كبير من الخدم فاستطاع الالتحاق به بسهولة. وقد أوقعت ايف مستر بوينتر فى حبائلها بطريقتها الساذجة فأخرج الماسة وعرضها على المدعوين. وأقبل الجرسون فى أثناء ذلك. ولما خرج خرجت الماسة معه فقد وضعها ليذرن داخل أحد الأطباق التى رفعها الجرسون.

- ولكننى رأيتها بعد ذلك.

- كلا. أنك لم ترها هى بالذات وانما رأيت فص حقيبة ايف. وقد تظاهرت الفتاة بأن الماسة وقعت منها ورفعت كوبها بمرفقها معه الفص دون أن يفطن أحد الى ما فعلت. وتحطم الكوب والفص فى وقت واحد واختفت الماسة ذلك الاختفاء العجيب. ولم يدر أحد شيئا عن الدور الذى قام به ليذرن ولا الدور الذى قامت به ايف.

هز ليوان رأسه فى دهشة ثم قال:- تقول انك عرفت العصابة من الوصف الذى أدليت اليك به، فهل استخدمت هذه الطريقة قبل ذلك؟

- لم تستخدم هذه الطريقة بالذات، وانما استخدمت طرقا أخرى مشابهة.

نهض ليوان قائلا:- أنت... أنت مدهش يا مستر بوارو... أنت نابغة.

قال بوارو فى تواضع كاذب:- ما أنا الا بشر مثلك.

* * *

وضعت ليلى مرجريف قفازها فوق ركبتيها فى عناية كبيرة وانفعال ظاهر ثم القت نظرة سريعة الى الرجل الجالس أمامها فى المقعد الكبير.

كانت قد سمعت عن هركيول بوارو، المخبر السرى الشهير ولكنها تراه الآن لأول مرة بلحمه وشحمه.

كانت هيئته الهزلية التى تكاد تبعث على الضحك لا تتفق أبدا مع الفكرة التى كانت قد كونتها عنه. كيف يقوم هذا الرجل القصير العجيب، برأسه التى تشبه البيضة وبشاربيه الكبيرين، كيف يقوم بهذه الأفعال المدهشة التى ينسبونها إليه؟.. أن اللعبة التى يمارسها الآن بالذات، وهو يصغى اليها أثارت دهشتها لغرابتها الصبيانية. فقد كان يجمع مكعبات صغيرة من الخشب مختلفة الألوان ويرصها بعضها فوق البعض. وكان يبدو أنه يهتم بالنتيجة التى يحصل عليها أكثر من

اهتمامه بالقصة التى ترويها له.

وسكتت فجأة فرفع رأسه فى حدة وقال:

- أرجو أن تستمرى يا آنسة. لا تحسبى أن ذهنى شارد فاننى، على العكس، أصغى اليك فى اهتمام كبير.

وعاد الى مبانيه فى حين استطردت هى قصتها، وكانت عبارة عن مأساة مذهلة، وقد سردتها له فى دقة بالغة وبصوت كان من الهدوء بحيث بدا أنه لا يمت الى البشر. واختتمت حديثها قائلة:

- أرجو أن أكون قد عرضت عليك الأمر بكل وضوح.

أومأ بوارو برأسه ونثر المكعبات الخشبية على المنضدة ثم اعتدل فى مقعده وضم يديه بأطراف أصابعه وقال ملخصا:

- قتل سير روبن استويل منذ عشرة أيام، وألقى البوليس، يوم الأربعاء الماضى، أى منذ يومين القبض على ابن اخته تشارلس ليفرسون. والأدلة التى تدينه هى، وأرجو أن توقفينى عندما أخطئ: منذ عشرة أيام، أى فى ليلة الجريمة عاد مستر ليفرسون الى البيت فى وقت متأخر وفتح الباب بمفتاحه الخاص. وكان سير روبن لا يزال يعمل وحده بمفتاحه الخاص. وكان سير روبن لا يزال يعمل وحده فى الغرفة التى يدعوها بمحرابه وهى غرفة البرج. وكان جالسا الى مكتبه يكتب. وسمع رئيس الخدم، وتقع غرفته تحت غرفة البرج مباشرة، سمع ليفرسون يتشاجر مع خاله، كما سمع صوتا مكتوما كصوت وقوع مقعد تلته صرخة مكتومة انتهى بها الشجار.

واحس رئيس الخدم بالقلق والاضطراب، وهم بأن يصعد ليرى ما حدث ولكن مستر ليفرسون غادر غرفة البرج بعد ثوان من ذلك وهو يصفر فى مرح. واذ رأى رئيس الخدم ذلك لم يعلق أهمية على ما حدث. ولكن فى صباح اليوم التالى وجدت احدى الخادمات سير روبن صريعا بجوار مكتبه. وقد حدث الموت بآلة حادة ضرب بها على رأسه.

وأظن أننى فهمت أن رئيس الخدم لم يذكر شيئا لرجال البوليس فى بادئ الأمر. وأعتقد أن هذا أمر طبيعى يا آنسة، الا تعتقدين ذلك؟

أجفلت ليلى مرجريف وقالت:

- معذرة!

- أننا نبحث عن شئ انسانى فى مثل هذه الأحوال وحين سمعتك تذكرين هذه المسألة بكل هدوء واعتدال خامرنى احساس بأن أشخاص هذه المأساة دمى يحركها الانسان كما يريد. ومن عادتى أن أبحث عن الطبيعة البشرية. وقد قلت لنفسى أن رئيس الخدم هذا ما اسمه؟

- بارسونز.

- نعم. قلت لنفسى أن بارسونز هذا له كل مميزات طبقته. أى أنه يخشى على وجه الخصوص البوليس ورجال البوليس ولا يطلعهم الا على أقل ما يمكن. وأنه سيحاول أن لا يذكر شيئا من شأنه أن يضر أحدا من أفراد الأسرة.. شيعزو الجريمة الى لص اقتحم البيت ليلا. والواقع أنها فكرة لا بأس بها وسيتشبث بها بكل ما أوتى من قوة.. أرأيت الى أى حد يمكن أن يذهب اخلاص الخدم!

كان بوارو مسرورا. واضطجع فى مقعده الى الخلف واستطرد:

- وفى أثناء ذلك، أدلى أهل البيت، من نساء ورجال بأقوالهم عن الجريمة، ومن بينهم مستر ليفرسون طبعا. وهو يقول أنه عاد متأخرا وأوى الى فراشه على الفور من غير أن يذهب لرؤية خاله.

- هذا صحيح.

واستأنف بوارو الحديث فقال فى تفكير:

- ولم يخطر لأحد أن يشك فى أقواله هذه فيما عدا بارسونز طبعا. وأقبل المفتش ميللر، من سكوتلانديارد عندئذ، ولى به سابق معرفة، فقد التقيت به مرة أو مرتين، وهو رجل دقيق ذكى لا يترك صغيرة ولا كبيرة وقد رأى هذا الرجل الدقيق على الفور ما غاب عن مفتش البوليس المحلى، أى أن بارسونز لم يكن فى حالته الطبيعية وانه يعرف من غير شك شيئا لم يدلى به أثناء التحقيق فأرغمه على الإدلاء به على الفور. وفى هذه الأثناء كان قد ثبت بكل جلاء أنه ما من أحد غريب قد اقتحم البيت وأنه يجب البحث عن القاتل بين أهل البيت أنفسهم. واستخدم المفتش التهديد مع بارسونز فتملك هذا الأخير الذعر ولكنه لم يلبث أن أحس بارتياح كبير عندما انتزعوا منه سره.

كان قد بذل جهده لتجنب الفضيحة ولكن لكل شئ حدود وقد أصغى المفتش ميللر الى قصته ثم القى بضعة أسئلة وقام بالتحريات الخاصة وبنى اتهامه على أساس متين.

فقد عثر المحققون على بصمات أصابع بشرية فى غرفة البرج وعلى ركن من الخزانة. وكانت هى بصمات ليفرسون. وروت احدى

الخادمات للمفتش ميللر بأنها أفرغت فى صباح اليوم التالى للجريمة اناء مملوءا بالماء المصبوغ بالدم من غرفة مستر ليفرسون وذكرت انه قال لها مبررا لذلك أنه أصيب بجرح فى اصبعه. ولكن هذا الجرح كان بسيطا فى حين أن كم القميص الذى كان يرتديه فى تلك الليلة كان قد غسل، وقد عثروا بداخل الكم على آثار دم واتضح أنه كان بحاجة الى بعض المال. وكان المفروض أنه سيرث مبلغا كبيرا عند موت خاله. وكل هذه أدلة حاسمة ضده يا آنسة. ولكنك أقبلت مع ذلك تنشدين معونتى.

هزت ليلى كتفيها وقالت:

- ان الليدى استويل هى التى أرسلتنى اليك يا مستر بوارو.

- أما كنت تأتين من تلقاء نفسك لو أنها لم ترسلك الى؟

حدق البلجيكى الصغير فيها ولكنها لزمت الصمت فقال:

- أنك لم تردى على سؤالى.

مسحت ليلى بأصبعها على قفازها وقالت:

- من العسير على أن أرد فاننى أحرص على أن اكون مخلصة لليدى استويل، فما أنا الا وصيفة تتقاضى راتبا، وقد عاملتنى دائما كما لو كنت ابنة لها أو كما لو كنت ابنة اختها... أعنى اكثر من موظفة. كانت كريمة معى دائما. ولا أريد أن أبدو كما لو كنت أفتقد طريقتها فى التصرف.. أو أن أوعز اليك برأى قد يمنعك من الاضطلاع بهذه القضية.

قال المخبر السرى فى ارتياح شديد واقتناع تام:

- أن هركيول بوارو لا يمكن أن يتأثر بالآراء الكاذبة. أظن أننى فهمت أنك تستغربين تصرفات الليدى استويل أليس كذلك؟

- يجب أن أقول..

- تكلمى دون خوف يا آنسة.

- اننى أجد كل هذا سخيفا.

- أهذا هو رأيك؟

- لا أريد أن أقول شيئا ضد الليدى استويل.

قال بوارو:

- أننى أفهم.. أننى أفهم.؟

ودعا الفتاة بعينيه الى أن تتكلم فقالت:

- أنها مخلوقة ممتازة حقا.. وكريمة جدا. ولكنها ليست.. ماذا أقول؟.. أنها ليست على درجة كبيرة من الثقافة، وأظنك تعلم أنها كانت ممثلة قبل أن يتزوجها سير روبن. وهى مشبعة بكل أنواع التخمينات والظنون، وعندما تبدى رأيا فلا يجب مناقشتها فيه، بل أنها لا تحب أن تصغى الى أية نصيحة. ولم يكن المفتش لبقا فى معاملته لها، وقد أساءها تصرفه وهى تؤكد أنه غبى اذ شك فى ليفرسون وأن رجال البوليس أغبياء فى العادة وأن تشارلس ليفرسون لا يمكن أن يكون هو القاتل.

- ولكن ليس لديها ما تبرر به قولها هذا؟

- أبدا. وقد قلت لها أنه لا فائدة من المجيئ اليك بمثل هذا اليقين ما لم يكن هناك ما يبرره.

- هل قلت لها ذلك؟.. هذا أمر هام.

وبنظرة سريعة سجل بوارو صورة محدثته... التايير الأسود الأنيق والثياب الداخلية الرقيقة التى تظهر من فتحة العنق والقبعة الصغيرة الجميلة السوداء، ولحظ أناقتها ووجهها الجميل وذقنها الحادة شيئا ما وعينيها الزرقاوين وأهدابها المفرطة الطول. ودون وعى منه أحس أن موقفه منها قد تغير وأن اهتمامه بهذه المرأة الشابة قد ضاعف من اهتمامه بالقضية التى أتته بها. وقال:

- أننى أميل الى الاعتقاد بأن الليدى استويل سريعة التأثير وأنها ليست متزنة تماما.

أومأت ليلى مرجريف بالايجاب وقالت:- هو ذلك. أنها كريمة جدا كما قلت لك. ولكن من المستحيل مناقشتها أو حملها على تغيير رأيها على الاطلاق.

قال بوارو:- لعلها هى نفسها تشتبه فى شخص يستبعد الاشتباه فيه.

صاحت ليلى:- هو ذلك. أنها لا تحتمل سكرتير سير روبن وتدعى أنها تعرف أنه هو القاتل على الرغم من أنه اتضح بطريقة قاطعة أن أوين تريفوزيس المسكين لا يمكن أن يكون قد ارتكب هذه الجريمة.

- أليس لها أى حق فى اتهامه؟

قالت ليلى فى ازدراء:- أبدا. ولكن الالهام وحده هو كل شئ بالنسبة لها.

سألها بوارو مبتسما:- وأنت يا آنسة؟... ألا تؤمنين بالالهام؟

- بل اننى أعتبره حماقة.

اعتدل بوارو فى جلسته وقال:- يا للنساء! يسرهن أن يتصورون أن الالهام سلاح خاص أنعم الله عليهن به، ولكنه يخدعهن تسع مرات من عشر.

قالت ليلى: أعرف ذلك. أننى وضعت لك الليدى استويل، ومن المستحيل تماما أن تلزمها جادة الحق.

- ولهذا السبب، ولأنك عاقلة ورزينة اقبلت الى كما قلت لك ودبرت أمرك لكى تطلعينى على الموقف.

ورفعت رأسها اليه فجأة وقد أدهشتها لهجته وقالت معتذرة:- طبعا. فاننى أعرف أن وقتك ثمين.

- أنك تتملقيننى يا آنسة. ومع ذلك فان لدى قضايا كثيرة على جانب كبير من الأهمية فى الواقع.

قالت وهى تنهض:- هذا ما كنت أخشاه. سأقول لليدى استويل...

ولكن بوارو لم ينهض، وانما اعتدل فى جلسته وحدق فى الفتاة قائلا:- أنك تتعجلين الانصراف يا آنسة. ابقى دقيقة أخرى.

اصطبغ وجه ليلى وجلست كارهة. وعاد بوارو يقول:- أنت نشيطة وحازمة وأرجو أن تلتمسى لى عذرا فأنا رجل مسن، أفكر وأتصرف فى بطء. أنك اخطأت فى نواياى، فلم اقل أبدا أننى لن أذهب الى الليدى استويل.

- ستأتى اذن؟

ألقت سؤالها هذا فى فتور وهى محدقة فى السجادة ولم تلحظ أن بوارو قد راح يفحصها فى اهتمام شديد. وقال:

- قولى لليدى استويل أننى تحت تصرفها التام، وأننى سأصل بعد ظهر اليوم الى فيللا (استراحتى)... هذا هو اسم الفيللا، أليس كذلك؟

ونهض، ونهضت ليلى بدورها وهى تقول:- سأقول لها ذلك. هذا كرم منك يا مستر بوارو. ومع ذلك فاننى أخشى أن تجرك الى مغامرة وهمية.

- هذا محتمل جدا، ولكن من يدرى.

وشيع زائرته حتى الباب مجاملا ثم عاد فى خطوات وئيدة الى مكتبه وجلس وقد ظهر فوق جبينه خط عريض. وبقى غارقا فى أفكاره. وفتح الباب أخيرا ونادى خادمه قائلا:

- جورج... أرجو أن تعد لى حقيبتى الصغيرة فاننى ذاهب بعد ظهر اليوم الى الريف.

قال جورج وكان رجل انجليزيا، طويل القامة نحيل الجسم جامد الأسارير. وخاطبه بوارو وهو يضطجع فى مقعده المستطيل ويشعل

سيجارة فقال:

- هل تعرف يا جورج أن الفتاة من أكثر المخلوقات أهمية، خاصة اذا كنت تتمتع بالذكاء، فهى تطلب منك أن تفعل شيئا ولكنها تناشدك فى نفس الوقت أن لا تفعله. وهذه فى حد ذاتها عملية تحتاج الى كياسة. أن هذه الفتاة حاذقة... حاذقة جدا ولكن هركيول بوارو أكثر منها حذقا وذكاء.

- سمعتك تقول هذا قبل اليوم يا سيدى.

استطرد بوارو:- أنها لا تهتم بالسكرتير، وتنظر الى اتهام الليدى استويل له فى ازدراء ولكنها فى نفس الوقت لا تريد أن يتدخل أحد فى هذه القضية.. حسنا. سأتدخل أنا، سأوقظ كل القطط النائمة، فهناك مأساة انسانية تقع فى فيللا (استراحتى) وهى مأساة تثير اهتمامى. أن تلك الفتاة ذكية ولكنها لا تتمتع بما يكفى من ذكاء.. أننى أتساءل ما عساى سأجد هناك.

وأعقب هذا السؤال صمت عميق. وانتهز جورج هذه المناسبة لكى يقول فى لهجة عادية:

- هل يجب أن أضع الاسموكنج فى الحقيبة؟

تأمله بوارو فى حزن وقال:- أنك يقظ دائما يا جورج وشديد التركيز على عملك. ولكنك كريم جدا معى.

وقف قطار الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين فى محطة أتوبيس كروس وهبط منه مستر بوارو وهو بادى الأناقة، مفتول

الشاربين وناول تذكرته للموظف الواقف على باب المحطة. وحياه سائق مفرط الطول قائلا:

- مستر هركيول بوارو؟

أجابه البلجيكى القصير وقد انبسطت أساريره:- هذا اسمى.

- تفضل يا سيدى. ان السيارة فى الجانب الآخر.

لم تستغرق السيارة، وهى من طراز رولز رويس أكثر من ثلاث دقائق فى قطع المسافة من المحطة الى فيللا (استراحتى) وأسرع رئيس الخدم ففتح باب السيارة بمجرد وقوفها.

ألقى بوارو نظرة سريعة على البيت قبل أن يدخل. لم يكن القصر جميلا ولكنه كان يدل على الصلابة ورغد العيش.

وتقدم خطوتين فى البهو. وأسرع رئيس الخدم فأخذ منه معطفه وقبعته ثم قال فى لهجة مهذبة:

- ان الليدى استويل تنتظرك يا سيدى.

تبع بوارو رئيس الخدم، بارسونز الرائع من غير شك. وصعد خلفه سلما تكسوه سجادة ناعمة الملمس وعرجا الى طرقة صغيرة فى الطابق الأول أفضت بهما الى غرفة فتح رئيس الخدم بابها قائلا:

- مستر هركيول بوارو.

كانت الغرفة التى دخلها صغيرة مشحونة بقطع الاثاث والتحف. وأقبلت اليه امرأة ترتدى السواد وقالت وهى تبسط يدها اليه:

- مستر بوارو!

وتأملت أناقته المفرطة لحظة، ومن غير أن تهتم برأسه الغريبة التى انحنت فوق يدها ولا بالاحترام الكبير الذى أظهره صاحت تقول بعد أن شدت على يده فى قوة:

- أن ثقتى كبيرة بالرجال القصار القامة فهم أذكى الناس.

قال بوارو فى صوت خافت:- أظن أن المفتش ميللر طويل القامة.

قالت الليدى استويل:- أنه غبى مغرور. اجلس هنا على مقربة منى يا مستر بوارو.

وأشارت الى الأريكة واستطردت تقول:- ان ليلى بذلت كل جهدها لكى تحول بينى وبين أن الجأ اليك. ولكن المرأة حين تبلغ سنى تعرف ما يجب عليها أن تفعل.

قال بوارو:- ليس دائما.

جلست الليدى استويل بين الوسائد جلسة مريحة جدا ثم استدارت لكى تواجهه وقالت:

- ان ليلى فتاة ظريفة جدا ولكنها تعتقد دائما أنها تعرف كل شئ. وقد علمتنى التجربة أن هذا النوع من الأشخاص يخطئ كثيرا، وأنا لست ذكية يا مستر بوارو. ولم أكن ذكية أبدا، ولكننى على صواب دائما فى الأمور التى يخطئ فيها غيرى على الرغم من أنهم أقل غباء منى. أننى أؤمن بأن هناك غريزة عليا ترشدنا فهل تريد منى الآن أن أقول لك من هو القاتل؟... نعم أم لا؟... فان المرأة تعرف يا مستر بوارو.

- ومس مرجريف؟... هل تعرف هى الأخرى؟ أسرعت الليدى استويل تسأله: ماذا قالت لك؟

- نقلت الى الحقائق.

- الحقائق؟... أوه، ان الحقائق ضد تشارلس طبعا. ولكننى أقول لك يا مستر بوارو أنه ليس القاتل. أننى أعرف أنه ليس القاتل.

وكانت قد أنحنت الى الأمام ونطقت بكلماتها هذه فى اقناع بدا لفرط حماسها مثيرا. وقال بوارو:

- أنك واقعية جدا يا ليدى استويل.

- تريفوزيس هو الذى قتل زوجى، وأننى واثقة من ذلك يا مستر بوارو.

- لماذا؟

- لماذا قتله؟... أو لعلك تعنى لماذا أنا واثقة من ذلك؟.. كل ما أستطيع أن أقول هو أننى أعرف ذلك وأن من الغريب أن أعرف مثل هذه الأشياء، واعتقادى هذا مباشر ولن أرجع عنه أبدا.

- هل يستفيد مستر تريفوزيس من موت سير روبن؟

وجاء الرد سريعا اذ قالت: ان سير روبن لم يوص له بسنت واحد، وهذا يدل على أنه لم يكن يشعر من نحوه بأى رد وأنه لم يكن يثق فيه.

- وهل قضى وقتا طويلا فى خدمة سير روبن؟

- نحو تسع سنوات.

قال بوارو فى رفق:- أنها مدة طويلة... طويلة جدا فى خدمة شخص واحد. ولا ريب أن مستر تريفوزيس كان يعرف مخدومه حق المعرفة.

نظرت ليدى استويل اليه مليا ثم قالت:- لا أفهم ماذا تعنى ولا أرى لهذا أية علاقة بالجريمة.

- كنت أتتبع فكرة... فكرة خاصة قد لا تثير أى اهتمام ولكنها غريبة فيما يتعلق بمؤثرات الوظيفة.

كانت الليدى استويل لا تزال تنظر اليه فى اهتمام وسألته فى شئ من الشك:- أنت ذكى جدا يا مستر بوارو، أليس كذلك؟... ان الجميع يقولون ذلك.

راح بوارو يضحك ثم قال:- قد يأتى يوم توجهين لى فيه أنت نفسك هذا الاطراء يا سيدتى. ولكن لنعد الى الدافع. حدثينى عن الأشخاص الذين كانوا موجودين هنا ليلة الجريمة.

- كان هناك تشارلس بالطبع.

- أظن أن مستر ليفرسون ابن أخت زوجك ولا يمت اليك بصلة القربى.

- هذا صحيح. ان تشارلس هو الابن الوحيد لاخت روبن، وكانت قد تزوجت رجلا ثريا فرنسيا. ولكن حدثت أزمة فى المدينة كما يقع ذلك أحيانا. ومات أبو تشارلس وماتت أمه بعد ذلك فأقبل الفتى للاقامة معنا. وكان فى الثالثة والعشرين من عمره فى ذلك الوقت.

وكان يريد أن يغدو محاميا ولكن روبن الحقه بالعمل عنده.

- هل كان مستر ليفرسون مجدا فى عمله؟

قالت الليدى استويل وهى تهز رأسها فى استحسان:

- أننى أحب الناس الذين يفهمون سريعا. كلا. وكانت هذه هى النقطة السوداء فيما يتعلق به. كلا لم يكن مجدا، وكان يختلف كثيرا مع خاله بسبب الحماقات التى كان يرتكبها. ولم يكن روبن المسكين متساهلا، وقد قلت له مرارا أنه ينسى ما هو الشباب... ولكنه كان مختلفا جدا فى شبابه يا مستر بوارو.

وتنهدت الليدى استويل تنهيدة عميقة عند هذه الذكرى، فقال بوارو:- ان الإنسان يتغير، وهذه قاعدة لا يسلم منها أحد.

- ومع ذلك فهو لم يغلظ فى معاملته لى أبدا، أو على الأقل حين كان يحدث هذا فسرعان ما كان يأخذه الندم ويطلب منى أن أغفر له. مسكين روبن!

- هل كان صعب الارضاء؟

قالت الليدى استويل بلهجة المروض الذى يعرف كيف يسوس الوحوش الكاسرة:- كنت أعرف كيف أتصرف معه. ولكنه كان يحتد على الخدم أحيانا، وكنت أشعر بالحرج عندئذ لأن هناك طرقا كثيرة للغضب، ولم تكن طريقة روبن بالطريقة المثلى.

- هل يمكنك أن تذكرى لى كيف تصرف سير روبن فى ثروته بالليدى استويل؟

- أنه أوصى بها مناصفة بينى وبين تشارلس.

تمتم بوارو:- آه! أرجو أن تذكرى لى من هم الأشخاص الذين يقيمون بالقصر بصورة دائمة. هناك أنت أولا ثم مستر أوين تريفوزيس السكرتير ومستر تشارلس ليفرسون، ابن أخت سير روبن وليلى مرجريف. ربما أمكنك أن تذكرى لى بعض المعلومات عن هذه الفتاة؟

- هل تريد معلومات عن ليلى؟

- نعم. أهى معك منذ وقت طويل؟

- منذ سنة تقريبا. التحقت بالعمل لدى فتيات كثيرات للقيام بوظيفة سكرتيرة ووصيفة ولكنهن لسبب ما أثرن ضجة كلهن. ولكن ليلى ليست كالأخريات... أنها لبقة وذكية ثم أنها جميلة جدا. وأحب أن تكون بجوارى فتاة جميلة يا مستر بوارو. وأنا امرأة غريبة أشعر بالمودة أو بالنفور على الفور، وما أن رأيت هذه الفتاة حتى قلت لنفسى: هذه هى الفتاة التى تناسبنى.

- هل أوصى بها بعض الأصدقاء يا سيدتى؟

- يخيل لى أنها ردت على اعلان نشرته فى احدى الصحف. نعم... هو ذلك.

- هل تعرفين شيئا عن أسرتها أو عن سوابقها؟

- أظن أن أهلها يقيمون فى الهند ولا أعرف عنهم الكثير. ولكننى أدركت على الفور أنها تنتمى الى وسط كريم. وأنا نفسى لست من

سيدات المجتمع، اذا جاز لى هذا القول، وأننى أعرف ذلك ويعرفه الخدم كذلك. ولكننى لست من أصل وضيع وأستطيع أن أقدر قيمة الآخرين. وما كان فى وسع أحد أن يعاملنى بأحسن مما عاملتنى ليلى به وأننى أعتبرها كابنة لى، وأؤكد لك ذلك يا مستر بوارو.

عدل بوارو بيده اليمنى بضعة أشياء بجواره فوق المنضدة ثم قال:- هل كان سير روين يشاركك هذا الرأى؟

وكان لا يزال يحدق فى التحف ولكنه لحظ مع ذلك التردد السريع الذى بدا على الليدى استويل، وقالت:

- ان الأمر يختلف مع الرجال... كانا متفاهمين طبعا... متفاهمين جدا.

قال بوارو وهو يخفى ابتسامته:- اشكرك يا سيدتى. وفيما عدا الخدم، هل هناك شخص آخر؟

- آه. نعم. هناك فيكتور.

- فيكتور؟

- نعم. فيكتور استويل، أخو زوجى، وكان شريكا له.

- هل كان يقيم معكم؟

- كلا. كان قد أتى لكى يقيم معنا بضعة أيام بعد أن قضى سنوات عديدة فى أفريقيا الغربية.

قال بوارو فى صوت خافت:- فى أفريقيا الغربية؟

كان قد أدرك أنه يستطيع الركون الى الليدى استويل لكى تطور أى موضوع شريطة أن يترك لها الوقت لذلك. واستطردت:

- يقولون أنها بلد عجيب يؤثر تأثيرا مشئوما على الرجال فهم يفرطون فى الشراب ولا يعرفون ما يفعلون. وآل استويل ليسوا على أخلاق حميدة ولكن طباع فيكتور منذ أن عاد من هناك تجاوزت كل الحدود. وهذا أمر فاضح، وقد خفت منه أنا نفسى أكثر من مرة.

قال بوارو فى رقة:- أننى اتساءل اذا كان قد أخاف مس مرجريف.

ودون بضع كلمات فى دفتر صغير وضعه فى جيبه بعد ذلك بعناية كبيرة ثم قال:- أننى أشكرك يا ليدى استويل. اذا سمحت لى الآن فاننى أريد أن أستجوب بارسونز.

سألته ليدى استويل وهى تمد يدها نحو الجرس:

- هل تريد أن تراه هنا؟

- كلا، كلا. سأتحدث اليه تحت.

- اذا كنت تظن أن هذا أفضل...

وكان واضحا أن الليدى استويل شعرت بخيبة أمل كبيرة لعدم استطاعتها المساهمة فى استجواب بوارو لبارسونز. وقال بوارو فى شئ من الغموض:

- هذا ضرورى.

وتركها فريسة لانفعال كبير.

ووجد بارسونز فى غرفة الخدم يقوم بتلميع الأوانى الفضية فبدأ الحديث قائلا:- أننى أدين لك بتفسير وهو أننى مخبر سرى.

قال بارسونز:- نعم يا سيدى.. هذا ما فهمناه.

وكانت لهجته تدل على الاحترام والتحفظ فى نفس الوقت. واستطرد بوارو يقول:- أن الليدى استويل استدعتنى. أنها ليست هادئة ولا راضية.

قال بارسونز:- سمعت سيدتى تقول ذلك أكثر من مرة يا سيدى.

واستأنف بوارو الحديث قائلا:- ولكنى أذكر لك أشياء لا ريب أنك تعرفها. ولا داعى لاضاعة وقتنا فى مثل هذه النقاط. اذهب بى الى غرفتك اذا شئت وهناك تستطيع أن تذكر لى كل ما سمعته ليلة ارتكاب الجريمة بالذات.

وكانت غرفة رئيس الخدم فى الطابق الأرضى، نوافذها مزودة بالقطبان الحديدية، وفى ركن منها يقع الباب الذى يفضى الى القبو. وأشار بارسونز الى الفراش قائلا:

- كنت قد رقدت فى الساعة الحادية عشرة، وصعدت مس مرجريف الى غرفتها، وكانت الليدى استويل مع سير روبن فى غرفة البرج.

- هل كانت الليدى استويل مع سير روبن؟.. استمر.

- وتقع غرفة البرج فوق غرفتى هذه بالذات، وعندما يدور الحديث اسمع الأصوات من غرفتى هذه ولكن بدون تمييز ما يقال. ويبدو أن النوم غلبنى فى نحو الحادية عشرة والنصف. وكان الليل قد

انتصف عندما صحوت على صوت باب يغلق فى عنف فأدركت أن مستر ليفرسون قد عاد. ثم سمعت صوت خطوات تمشى فوق رأسى ولم ألبث أن تبينت صوت مستر ليفرسون وهو يتحدث الى خاله.

(وقد خطر لى فى تلك اللحظة أن مستر تشارلس كان... لا أقول أنه كان ثملا. كلا. وانما كان منفعلا جدا وكان يخيل الى أحداث جلبة. كان يصيح بصوت عال جدا وهو يخاطب سير روبن، وكنت أتبين كلمة من وقت لآخر ولكننى لم أفهم شيئا مما كان يدور وفجأة سمعت صرخة حادة وصوتا مكتوما كوقوع شئ أو جسم ثقيل ثم خيم الصمت عقب ذلك وراح مستر ليفرسون يقول فى صوت عال: يا الهى! يا الهى!

لم يكن بارسونز مستعدا فى بادئ الأمر لكى يسرد قصته ولكن انتهى به الأمر الى أنه أحس بسرور كبير فى سردها. كان يرى نفسه تحت ملامح راوية حاذق. وشجعه بوارو قائلا:

- لا ريب أنك أحسست بانفعال كبير.

- آه. وأى انفعال يا سيدى. وليس ذلك لأننى علقت على الأمر أهمية كبرى ولكن خطر لى على كل حال أن شيئا ما قد وقع وأننى قد أستطيع أن أصعد لاستكشاف الأمر. فنهضت لكى أضيئ النور ولكننى اصطدمت بمقعد. وأخيرا فتحت بابى وذهبت ففتحت الباب الآخر الذى يؤدى الى ممر ضيق حيث سلم الخدم. وكنت واقفا فى أسفل البرج عندما سمعت صوت مستر ليفرسون. كان واقفا فوق، وكان يتكلم بلهجة طبيعية مرحة وكان يقول: الحمد لله. لم يقع أى سوء. طابت ليلتك... وسمعته يمضى بعد ذلك الى غرفته وهو يصفر. وعندئذ

عدت الى فراشى وقلت لنفسى: لا ريب أن شيئا ما قد وقع وهذا كل ما حدث.. وهل كان فى وسعى أن أشك بأن مستر ليفرسون قتل سير روبن وأنه انصرف بعد ذلك وهو يقول (طابت ليلتك).

- هل أنت واثق أن الصوت الذى سمعته كان صوت مستر ليفرسون؟

نظر بارسونز الى البلجيكى القصير نظرة كلها رثاء. وأدرك هذا الأخير أنه لم يكن لدى بارسونز، سواء كان على خطأ أو على صواب أى شك فى هذه الناحية، وقال رئيس الخدم:

- هل تريد أن تلقى على أية أسئلة أخرى يا سيدى؟

- هناك شئ أريد أن أعرفه... هل تحب مستر ليفرسون؟

- أ... التمس معذرتك يا سيدى.

- أنه سؤال بسيط... هل تحب مستر ليفرسون؟

بدا بارسونز مذعورا فى بادئ الأمر ولكن لم يلبث أن بان عليه الضيق وبدا يقول:- أن رأى الخدم العام يا سيدى...

- أجبنى بهذه الطريقة اذا أردت.

- أننا جميعا نعتبر مستر ليفرسون كريما ولكنه ليس على قدر كبير من الذكاء.

- هذا هو الرأى الذى كونته أنا نفسى عن مستر ليفرسون يا بارسونز، مع أنه لم يسبق لى أن رأيته.

- آه... أهذا صحيح يا سيدى؟

- وما هو رأى الخدم فى السكرتير؟

- أنه رجل هادئ جدا، صبور جدا... يبذل كل ما يستطيع لكى لا يزعج أحدا.

قال بوارو:- حقا؟

سعل رئيس الخدم وقال:- أن الليدى استويل تميل الى الاسراع فى اصدار رأيها يا سيدى.

- نتيجة لذلك فان مستر ليفرسون هو القاتل فى رأى الخدم.

- لا أحد منا يريد أن يصدق أنه هو... أننا... أخيرا... أننا لا نصدق أنه ارتكب هذه الجريمة يا سيدى.

قال بوارو:- ومع ذلك فيبدو لى أن طبعه يميل الى الحدة شيئا ما.

دنا بارسونز من بوارو وقال:- اذا سألتنى من فى البيت أكثر حدة...

رفع بوارو يده وقال:- ما كنت لألقى مثل هذا السؤال... وانما كنت أسألك من فى البيت أكثر هدوءا وأحسن طبعا.

نظر بارسونز اليه وقد فغر فاه.

وكان بوارو قد أضاع معه ما يكفى من الوقت فتركه فى غرفته بعد أن حياه تحية رقيقة ثم صعد الى البهو الكبير. ووقف لحظة لكى يفكر. وأثار سمعه ضجة خافتة فطرح عليه أفكاره ومشى على طرفى قدميه حتى بلغ بابا مفتوحا فى آخر البهو ووقف على عتبته ونظر

داخل الغرفة. كانت غرفة مكتبة صغيرة جلس فى ركن منها، بعيدا عن الباب شاب شاحب الوجه نحيل الجسم أمام مكتب كبير وراح يكتب بدون انقطاع. وكانت له ذقن حادة ويلبس نظارة انيقه.

وراقبه بوارو لحظة ثم أعلن عن وجوده بأن تثاءب فى قوة فأمسك الشاب عن عمله ورفع رأسه. ولم يبد عليه أى اضطراب وانما ظهر عليه شئ من الحيرة وهو يرى بوارو. وقال هذا الأخير:

- هل أنت مستر تريفوزيس؟... أننى ادعى بوارو.. هركيول بوارو.. لعلك سمعت عنى.

قال الشاب:- أوه... طبعا!

راقبه بوارو فى اهتمام... كان أوين تريفوزيس فى نحو الثالثة والعشرين، وأدرك المخبر السرى على الفور لماذا لا يحمل الخدم اتهام الليدى استويل اليه محمل الجد فقد كان مثال الشاب الكامل الرصين المتواضع الوديع الذى يسئ الجميع معاملته وهم واثقون أنه لا يمكن أن يحمل لهم أية ضغينة أو أى حقد.

- هى الليدى استويل هى التى استدعتك؟... قالت انها ستفعل ذلك. هل أستطيع أن أسدى اليك أية خدمة؟

- هل حدثتك الليدى استويل عن ظنونها؟

قال تريفوزيس وهو يبتسم ابتسامة باهتة:- أما عن هذا فاننى أظن أنها تشتبه فى أنا بالذات، وهو أمر سخيف ولكن هذا هو الواقع. أنها لم توجه الحديث الى تقريبا. منذ أن مات سير روبن، وتلتصق

بالحائط عندما التقى بها فى البيت.

كان طبيعيا جدا وكان يبدو أن فى كلماته من المرح أكثر معا فيها من موجدة، وقال بوارو فى صراحة مشجعة:

- فيما بيننا فانها ذكرت لى نفس الشئ ولم أناقشها. فاننى اتخذت قاعدة عامة وهى أن لا أناقش أبدا الأشخاص الذين يؤمنون بآرائهم ففى هذا مضيعة للوقت كما تعلم.

- أنك على حق.

- أننى أقول لها (نعم يا سيدتى، تماما يا سيدتى)... (هو ذلك يا سيدتى)... وهى كلمات لا معنى لها ولكنها مهدئة جدا. اننى سأقوم بتحرياتى طبعا، ويبدو أن من المحال تقريبا أن يكون شخص آخر غير ليفرسون قد ارتكب الجريمة... ولكن سبق أن وقع المحال مع ذلك.

قال السكرتير:- أننى أفهم موقفك وأرجو أن تفهم اننى تحت تصرفك التام.

قال بوارو:- حسنا. ان كلا منا يفهم الآخر ولكن أذكر لى أحداث تلك الليلة، ولنبدأ بالعشاء.

- كما أظنك تعرف لم يتناول ليفرسون عشاءه فى البيت فى تلك الليلة، فقد وقعت مشادة بينه وبين خاله وتناول عشاءه فى النادى... والحق أن طباع سير روبن كانت لا تحتمل.

قال بوارو يستحثه على الكلام: كان رجلا قاسيا اذن.

أخذ تريفوزيس يضحك ثم قال:- أوه، أنه كان فظيعا. أننى عملت

معه تسع سنوات وعرفت كل خصاله. أنه رجل صعب الارضاء جدا يا مستر بوارو. كان يمتلكه غضب شديد كالأطفال فى بعض الأحيان ويسب كل الذين يقتربون منه دون تمييز. وانتهى بى الأمر الى اننى تعودت ذلك ولم أعد أهتم بما يقول والواقع أنه لم يكن خبيثا، وكان يبدو فى بعض الأوقات غبيا الى حد فظيع. وكل ما كان ينبغى عندئذ هو أن لا أرد عليه.

- وهل كان الآخرون يعاملونه بمثل هذه اللباقة؟

- كانت الليدى استويل تحب المشاحنات العائلية، ولم تكن تخاف زوجها أبدا، وكانت تقف فى وجهه وترد عليه بالمثل ثم لا يلبثا أن يتصالحا. وكان سير روبن يحبها كثيرا.

- هل تشاحنا فى تلك الليلة؟

نظر تريفوزيس الى محدثه وتردد قبل أن يرد:- اظن ذلك. لماذا تسألنى هذا؟

- هى فكرة طرأت لى فحسب.

قال السكرتير:- الواقع أننى لا أدرى. ولكن بدا كل شئ كما لو كان يجب أن يفضى بهما الى شجار.

تخلى بوارو عن هذا الموضوع وقال:- من الذى حضر العشاء فى تلك الليلة؟

- أنا ومس مرجريف ومستر فيكتور.

- وكيف انتهت الليلة؟

ذهبنا الى الصالون ولم يرافقنا سير روبن، ولكنه جاء بعد بضع دقائق وأخذ يوبخنى بسبب فقرة فى خطاب نسيت أمرها الآن. وصعدت معه الى غرفة البرج وأصلحت الأمر. ثم جاء فيكتور وقال أنه يريد أن يرى أخاه على حدة لأمر ما فهبطت الى الصالون ولحقت بالآخرين. ولم تمض ربع ساعة حتى سمعنا جرس سير روبن يرن دون انقطاع وجاء بارسونز ليقول لى أن سير روبن يريدنى حالا. وبينما كنت أهم بدخول غرفة البرج خرج منها مستر فيكتور مندفعا فاصطدم بى وكاد يطرحنى أرضا. وكان مضطربا جدا. وهو رجل عنيف جدا ولا أعتقد أنه رآنى.

- ألم يقل لك سير روبن شيئا بخصوصه؟

- بلى. قال لى أن فيكتور مجنون، وأنه سيقتل أحدا ذات يوم وهو فى ثورة غضبه.

- حقا! ألديك فكرة عن السبب فى اضطرابه؟

- كلا.

أدار بوارو رأسه فى بطء ونظر الى السكرتير، وخامره احساس بأن تريفوزيس ربما قال أكثر ما يريد ولهذا قال يشجعه:

- وبعد ذلك؟... استمر من فضلك.

- اشتغلت مع سير روبن نحو ساعة ونصف. وفى الساعة الحادية عشرة جاءت الليدى استويل وقال سير روبن اننى استطيع أن أنصرف.

- وهل انصرفت؟

- نعم.

- هل تعرف كم من الوقت بقيت الليدى استويل مع زوجها؟

- كلا. فان غرفتها فى الطابق الأول وغرفتى فى الطابق الثانى فلم يتسن لى أن أسمعها وهى تعود الى غرفتها.

قال بوارو:- آه!

ثم نهض فجأة وقال:- اذهب بى الى غرفة البرج.

مر السكرتير أمامه. وصعدا الى الطابق الأول عن طريق السلم الكبير وسارا فى ممر يقع فى نهايته باب سميك يؤدى الى بسطة سلم الخدم وأفضى بهما ممر صغير الى باب آخر عبراه فاذا بهما فى غرفة البرج حيث وقعت الجريمة.

كانت غرفة كبيرة سقفها أعلا من جميع أسقف الغرف الأخرى بمرتين، وقد علقت بجدرانها أسلحة مختلفة كانت عبارة عن سهام ورماح وخناجر وهراوات غليظة، ووضعت فوق قطع الأثاث أشياء أخرى غريبة جاءت كلها من افريقيا، وبجوار النافذة مكتب كبير اقترب منه بوارو على الفور قائلا:

- هل وجدت جثة سير روبن هنا؟

أومأ تريفوزيس بالايجاب وعاد بوارو يقول:- أظن أنه أصيب بضربة من الخلف.

هز بوارو رأسه للمرة الثانية وأجاب:- ضربه القاتل باحدى هذه الهراوات، وهى ثقيلة جدا، وقد كان الموت سريعا.

- وهذا يؤكد لنا أن القاتل لم يتعمد جريمته. ولا ريب أن مشاحنة حادة وقعت بينه وبين سير روبن فأمسك بأول سلاح وقع تحت يده.

- نعم. وهذا دليل قولى ضد ليفرسون.

- وهل وجدوا الجثة فوق المكتب؟

- كلا. فقد وقعت على الأرض.

قال بوارو:- آه.. هذا غريب.

وسأله تريفوزيس:- ولماذا؟

قال بوارو وهو يشير بأصبعه الى بقعة مستديرة شاذة فوق المكتب اللامع:- بسبب هذه.. وهى بقعة دم يا صاحبى.

قال تريفوزيس:- لعلها لطخة. وربما تلوث بها المكتب فيما بعد عند نقل الجثة.

قال البلجيكى القصير: هذا جائز.. هذا جائز.. أليس لهذه الغرفة باب آخر غير الذى دخلنا منه؟

- هنا. أنظر.. هناك سلم.

سحب تريفوزيس ستارة من المخمل تخفى أقرب ركن الى الباب. ورأى بوارو سلما حلزونيا يؤدى الى غرفة عليا. وقال تريفوزيس:

- شيد أحد الفلكيين هذا البرج، والسلم يؤدى الى غرفة مستديرة أقام فيها محرابه. وقد أعدها سير روبن لسكناه، وكان يرقد فيها فى بعض الأحيان عندما كان يعمل الى وقت متأخر من الليل.

صعد بوارو درجات السلم على الفور. وكانت الغرفة مستديرة بها سرير ميدان ومقعد ومنضدة للزينة. وتحقق من أنه لا يوجد بها أى منفذ آخر ثم هبط الى الغرفة حيث ينتظره تريفوزيس وقال يسأله:

- هل سمعت مستر ليفرسون عند عودته؟

أجاب السكرتير:- كلا. كنت أغط فى نوم عميق عندئذ.

وراح بوارو يدور فى الغرفة فى بطء وأخيرا قال:- حسنا. أظن انه لا يوجد هناك شئ آخر.. الا.. هل تتكرم فترفع الستائر؟

أطاع تريفوزيس على الفور فرفع الستائر المخملية السوداء التى أمام النافذة. وأضاء بوارو المصباح الذى يتوسط سقف الغرفة وقال يسأل:

- هل يوجد مصباح خاص بالمكتب؟

أضاء السكرتير مصباحا قويا مزودا بأباجورة من الخزف والصينى الأخضر موضوعة فوق المكتب.. وأطفأ بوارو مصباح السقف ثم أضاءه مرارا وقال أخيرا:

- حسن. اننى فرغت الآن. أشكرك يا مستر تريفوزيس.

قال السكرتير:- العفو.. العشاء فى الساعة السابعة والنصف.

مضى بوارو الى الغرفة التى اعدت له وهو يفكر.. وهناك وجد جورج الجامد الأسارير والذى يتعذر سبره. وكان يفرغ حقيبة سيده، فقال له:

- أى يا عزيزى جورج، أتعشم تماما أن ألتقى أثناء العشاء بسيد معين يثير حيرتى كثيرا. رجل عائد من البلاد الاستوائية ذو طبع حاد عنيف كما قيل لى، حدثتنى بارسونز عنه ولم تشر اليه مس مرجريف فى حديثها لى. كان الفقيد سير روبن استويل حاد الطبع يا جورج، واذا فرضنا أن رجلا مثله يجد نفسه مع رجل آخر أشد نزقا منه فانه يمكننا أن نخشى وقوع انفجار عندئذ.

- ليس بالضرورة يا سيدى.

- ماذا؟

- كلا يا سيدى. كانت لى عمة اسمها جيمينا، وكان لسانها لاذعا يقطر سما.. كانت امرأة شرسة تعذب اختها المسكينة التى تعيش معها بطريقة مخجلة الى حد أنها تسببت فى موتها بخبثها وشراستها. حسنا. كانت حالتها تتبدل اذا وجدت من يقف فى وجهها فتصبح رقيقة كالحمل. كان الشئ الوحيد الذى لا تحتمله هو السرقة.

قال بوارو:- آه. هذا أمر يدعو الى التأمل.

سعى جورج كما لو كان يعتذر وقال: هل هناك ما أستطيع أن أساعدك فيه يا سيدى؟

- بالتأكيد. أريد أن أعرف لون الثوب الذى كانت مس مرجريف ترتديه ليلة الجريمة، ومن هى الخادمة التى تقوم بخدمتنا؟

استمع جورج الى هذه التعليمات بجموده العادى وقال:- حسن يا سيدى. سأعطيك هذه المعلومات غدا صباحا.

نهض بوارو ونظر الى النار قائلا فى صوت خافت:- أنك تنفعنى كثيرا يا جورج.. وأعلم أننى سأتذكر عمتك جيمينا.

* * *

لم يلتق بوارو بفيكتور استويل فى تلك الليلة فقد احتجزت بعض الأعمال هذا الأخير فى لندن، واعتذر عن عدم مجيئه تليفونيا. وقال بوارو يسأل الليدى استويل:

- هل يهتم بالأعمال التى تركها زوجك؟

أجابت الليدى استويل:- ان فيكتور واحد من الشركاء، وقد ذهب الى افريقيا لدراسة بعض الامتيازات الخاصة بالمناجم، أليس كذلك يا ليلى؟

- نعم يا سيدتى.

- وأعتقد أنها مناجم للذهب. أو لعلها مناجم نحاس أو قصدير. لا ريب أنك تعرفين ذلك يا ليلى، فأنك كنت تلقين على سير روبن أسئلة كثيرة فى هذا الصدد. أوه، حذار يا صغيرتى العزيزة -ستوقعين هذه الغازة.

قالت الفتاة:- أن الجو خانق هنا مع النار. هل أستطيع أن أفتح النافذة لحظة؟

اكتفت الليدى استويل بأن أجابت قائلة:- اذا أردت يا بنيتى.

نظر بوارو الى الفتاة وهى تفتح النافذة وتنحنى لكى تستنشق هواء الحديقة العليل. وعندما عادت الى مقعدها سألها فى رفق:

- هل تهتمين بالمناجم يا آنسة؟

- أوه، كلا. ليس كثيرا. كنت أسمع ما يقول سير روبن ولكننى لم اكن أفهم شيئا كثيرا.

قالت الليدى استويل:- ولكنك كنت تحسنين التظاهر بالاهتمام بحديثه، وقد أعتقد روبن المسكين أنه كان لديك سبب خاص يدفعك الى القاء كل هذه الأسئلة.

لم يفارق المخبر بعينيه النار التى كان يحدق فيها ومع ذلك لم يفته الاحمرار الذى غشى وجه ليلى مرجريف فجأة. وغير مجرى الحديث بلباقة. وعندما حانت ساعة الانصراف اقترب من الليدى استويل وخاطبها قائلا:

- أريد أن أقول لك كلمه يا سيدتى.

وعلى الفور غادرت ليلى مرجريف الغرفة، ونظرت الليدى استويل الى المخبر فقال:

- سيدتى: أنك آخر من رأى سير روبن على قيد الحياة.

أومأت بالايجاب اغرورقت عيناها بالدموع ورفعت اليهما منديلا مجللا بالسواد فقال:

- لا تبكى يا سيدتى. أرجوك.

- جميل أن تقول هذا يا مستر بوارو ولكننى لا أستطيع أن أغالب نفسى.

- انني غبي كبير اذ أسبب لك كل هذا الألم.

- ولكنك لا تسبب لي أي ألم على الاطلاق. استمر ماذا أردت أن تقول لي؟

- كانت الساعة حوالي الحادية عشرة عندما دخلت غرفة البرج وصرف سير روبن مستر تريفوزيس، أليس كذلك؟

- نعم. اظن ذلك.

- كانت الساعة الثانية عشرة الا الربع تماما عندما دخلت غرفتي، واتذكر انني نظرت الى الساعة عندئذ.

- هل ترضين يا ليدي استويل أن تقول لي عن أي شئ تحدثت مع زوجك؟

تأوهت قائلة:- أننا.. أننا تشاجرنا.

سألها بوارو في رفق:- لأي سبب؟

- بسبب أشياء كثيرة.. بدأ ذلك بليلي.. فقد كرهها روبن من غير سبب وادعى أنه باغتها وهي تفتش في أوراقه وأراد أن يطردها. فقلت له حينئذ انها فتاة ظريفة وانني لا أريد أن أطردها. وعندئذ راح يصرخ ولم أسكت أنا الأخرى. قلت له رأيي فيه والواقع يا مستر بوارو انني لم أكن أعني أي شئ مما قلته عندئذ. قال لي أنه انتشلني من الوحل لكي يتزوجني وقلت له.. ولكن ما معنى كل هذا الآن؟.. انني لن اغتفر لنفسي ذلك أبدا. ولكنني كنت أعتقد دائما أن المشاحنات العائلية تصفي الجو، ولو انني شككت في أنه سيلقى مصرعه قتلا في تلك

الليلة.. يا للعزيز المسكين روبن!

أصغى بوارو الى هذا القول في شفقة وحنو كبيرين وقال: انني آلمتك يا سيدتي فاستميحك صفحا. لنحاول أن نكون عمليين الآن وصريحين. هل أنت مقتنعة بأن مستر تريفوزيس هو الذي قتل زوجك؟

اعتدلت الليدي ستويل في جلستها وقالت: أن غريزة المرأة لا تخدعها أبدا يا مستر بوارو.

قال بوارو:- طبعا. ولكن متى فعل ذلك اذن؟

- متى؟.. طبعا بعد أن غادرت أنا غرفة البرج.

- أنك غادرت سير روبن في الساعة الثانية عشرة الا الربع، وعاد مستر ليفرسون في الساعة الثانية عشرة الا خمس دقائق، فهل تعتقدين أن السكرتير، الذي كان في غرفته، عاد خلال هذه الدقائق العشر وقتله؟

- هذا ممكن بالطبع.

قال بوارو:- هناك أشياء كثيرة ممكنة. ممكن أن يقع هذا خلال عشر دقائق. نعم، ولكن هل وقع هذا حقا؟

قالت الليدي استويل:- انه يقول أنه كان في فراشه يغط في النوم ولكن من الذي يستطيع أن يعرف اذا كان هذا حقا؟

ذكر لها بوارو أن أحدا لم ير تريفوزيس يسير في تلك الساعة فقالت في انتصار:- لم يره أحد طبعا، فقد كان الجميع قد لجأوا الى غرفهم وناموا.

قال بوارو محدثا نفسه:- اننى لفى عجب من ذلك.

ثم قال فى صوت مسموع:- حسنا يا ليدى استويل. أتمنى لك ليلة طيبة.

* * *

وضع جورج بجوار فراش سيده صينية فوقها فنجان من القهوة لا يزال الدخان يتصاعد منه وقال:

- كانت مس مرجريف ترتدى ثوبا من الحرير الموسلين الأخضر ليلة الجريمة يا سيدى.

- أشكرك يا جورج، أرى أننى أستطيع الاعتماد عليك.

- والخادمة التى تقوم بخدمة مس مرجريف تدعى جلاديس.

- أشكرك يا جورج أنت كنز لا يقدر.

- شكرا يا سيدى.

قال بوارو وهو ينظر من النافذة:- أن الطقس جميل. ومن الجائز انه لن يخرج أحد من البيت فى هذه الساعة المبكرة وأظن أننا نستطيع أن نفتش غرفة البرج وأن نقوم بتجربة دون أن نخشى مفاجأة أحد.

- هل أنت بحاجة الى يا سيدى؟

قال بوارو:- أنها تجربة بسيطة لن تؤلم.

كانت الستائر ما زالت مسدلة عندما دخلا غرفة البرج. ومضى جورج لكى يرفعها ولكن بوارو منعه قائلا:

- دعها كما هى. لا تضئ الا مصباح المكتب.

وعاد يقول بعد أن اطاعه جورج:- والآن اجلس أمام المكتب كما لو كنت تريد أن تكتب. حسنا. أما أنا فاننى أمسك بالهراوة واتسلل خلفك هكذا، وأضربك على أم رأسك.

قال جورج:- نعم يا سيدى.

- آه. وتوقف عن الكتابة عندما أضربك. وأنا أعلم أننى لا استطيع أن أقوم بنفس الحركات بكل دقة ولا أستطيع أن أضرب بالقوة التى ضرب بها القاتل سير روبن. وعندما نصل الى هذه النقطة فيجب أن نتظاهر. سأضربك على رأسك فتتهاوى باسطا ذراعيك الى الأمام وقد إرتخى جسدك. دعنى أريك.. كلا. لا تتراخى هكذا.

وتنهد بوارو وقال:- أنت ممتاز فى كى البنطلون يا جورج ولكن ليس لديك أية ذرة من الخيال. سأجلس مكانك.

وجلس بوارو بدوره أمام المكتب وقال:- اننى أكتب ولا أفكر فى أى شئ آخر. وتأتى أنت خلفى خلسة وتضربنى بالهرواة على رأسى فيقع القلم من يدى وأنهار الى الأمام. ولكن ليس بعيدا جدا لأن المقعد منخفض ثم ان يدى تمنعنى فوق ذلك. والآن امض الى الباب وقف به وقل لى ما الذى تراه؟

- أننى آراك جالسا الى المكتب يا سيدى.

- جالسا الى المكتب؟

- من المتعذر أن أرى جيدا فانا بعيد والأباجورة كبيرة. اذا

استطعت أن أضئ مصباح السقف.

وبسط جورج يده نحو مفتاح النور ولكن بوارو صاح به:- كلا كلا. سنكتفى بهذا. أنا هنا منحن فوق المكتب وأنت واقف بجوار الباب. والآن تقدم يا جورج. تقدم وضع يدك على كتفى.

أطاعه جورج. وقال بوارو: والآن اعتمد على قليلا كما لو كنت تريد أن تتماسك نفسك. هكذا.

وترك بوارو نفسه يقع على جبينه فى الوضع الذى أراده وقال:- اننى أتهاوى.. هكذا! نعم، لا ريب أن هذا هو ما حدث. والآن يجب أن أفعل شيئا أكثر اهمية. من الضرورى أن أتناول افطارا دسما.

وضحك الرجل القصير وقد سرته دعابته وقال:- لا يجب أن يهمل المرء معدته أبدا يا جورج.

وهبط بوارو وهو لا يزال يضحك. كان مسرورا من مجريات الأمور. وبعد أن تناول افطاره تعرف بجلاديس، الخادمة التى تقوم بخدمة الآنسة ليلى مرجريف. وأثار اهتمامه كثيرا ما روته له عن الجريمة.

كانت تعطف كثيرا على تشارلس على الرغم من أنها لم تكن تشك فى جرمه. وقالت:

- أنه شاب مسكين وأنه لأمر قاس بالنسبة له خاصة وأنه يمكننا أن نقول أنه لم يكن متمالك لأعصابه فى ذلك الوقت.

- لا ريب أنه كان متفقا ومتفاهما مع الآنسة مرجريف. فهما

الشبان الوحيدين فى البيت.

قالت جلاديس وهى تهز رأسها: كانت مس ليلى متحفظة دائما معه. أفهمته بوضوح أنها لا تريد أية متاعب.

- هل كانت تروق له كثيرا؟

- أوه، طبعا. كما تروق لغيره، وليس فى هذا أى سوء يا سيدي. أما مستر فيكتور استويل فمتيم بها.

وضحكت جلاديس فى شئ من الغباء فقال:

- آه. حقا؟

وعادت جلاديس تضحك ثم قالت:- أنه عشقها على الفور، ويجب أن نعترف أن مس ليلى جميلة جدا كزهرة الزنبق. أليس هذا رأيك يا سيدى؟ انها ممشوقة القوام ذات شعر أشقر جميل.

قال بوارو فى لهجة حالمة:- يجب أن ترتدى فى المساء ثوبا أخضر فاتحا. هناك ظل أخضر معين.

قاطعته جلاديس تقول على الفور: ان لديها ثوبا أخضر يا سيدي ولكنها لا تستطيع ارتداءه الآن لأنها فى فترة الحداد. ولكنها كانت ترتديه فى الليلة التى مات فيها سير روبن.

عاد يقول:- لابد لها من لون أخضر فاتح بالذات.

- أنه ثوب أخضر فاتح يا سيدى. انتظرنى لحظة. سأريك اياه فقد خرجت مس ليلى مع الكلاب.

كان بوارو يعرف ذلك، وهو لم يذهب لرؤية جلاديس الا بعد أن رأى ليلى تخرج. وخرجت جلاديس كالسهم ولم تلبث أن عادت وفى يدها ثوب معلق على شماعة. وصاح بوارو وهو يرفع يديه فى اعجاب:

- جميل. أعطينى اياه لحظة لكى أراه فى النور.

وأخذ الثوب الجميل من يديها ومضى به الى جوار النافذة. وانحنى لكى يراه جيدا ثم أمسك به على طول ذراعه وهو يقول:

- أنه جميل حقا.. أشكرك لأنك أرتينى اياه.

- العفو يا سيدى. أننا نعرف جميعا أن الفرنسيين يهتمون بثياب النساء.

قال بوارو:- أنك ظريفة جدا.

وتابعها بعينيه وهى تبتعد راكضة ومعها الثوب ثم نظر الى يديه وابتسم. كان يمسك فى يده اليمنى مقصا صغيرا وفى اليد اليسرى قطعة من الموسلين الأخضر قطعها بعناية وقال:- والآن، لنكن بطوليين.

وعاد الى غرفته ونادى جورج قائلا:- أى عزيزى جورج.. ستجد على منضدة الزينة دبوسا ذهبيا لربطة العنق.

- نعم يا سيدى.

- وعلى الحوض قنينة صغيرة بها ايثير. ضع طرف الدبوس فى الايثير.

اطاعه جورج. وكان قد انقطع منذ وقت طويل عن الاستغراب فيما

يتعلق بنزوات سيده وقال:- ها هو يا سيدى.

- حسن جدا. اقترب. سأبسط لك أصبعى فاغرز فيه طرف الدبوس.

- معذرة يا سيدى.. هل تريد أن أشكك؟

امسك جورج بأصبع سيده وأطبق بوارو عينيه وأدار سيده رأسه. وغرز الخادم الدبوس وأطلق بوارو صرخة صغيرة وقال:

- أننى أشكرك يا جورج. هذا عظيم.

وأخرج من جيبه قطعة من الحرير الموسلين الأخضر وجفف بها أصبعه الدامى ثم قال وهو ينظر الى النتيجة:

- ان العملية نجحت تماما يا جورج... ألست فضوليا؟... هذا رائع.

وقال جورج، وكان قد ألقى نظرة من النافذة الى الخارج:- معذرة يا سيدى. لقد أقبل رجل فى سيارة كبيرة.

قال بوارو:- آه. آه... مستر فيكتور استويل السريع الغضب من غير شك. سأهبط لكى أتعرف به.

ونهض على الفور. وكان مقدرا له أن يسمع صوت مستر فيكتور استويل قبل أن يراه فقد ارتفعت فى البهو صيحات غاضبة وسمعه يقول:

- ألا ترى ماذا فعلت أيها الغبى؟. ان فى هذا الصندوق زجاجا...

ولكن، أين أنت يا بارسونز؟... ضع هذا هنا أيها الغبى.

هبط بوارو الدرج فى بطء. واذ بلغ أسفل السلم رأى فيكتور استويل وكان عملاقا ضخما فحياه فى لهجة مهذبة. ونظر العملاق اليه وصاح به.

- من أنت بحق الشيطان؟

وحياه بوارو مرة أخرى وقال:- انني أدعى هركيول بوارو.

صاح الآخر:- يا الهى!... اذن فقد أفلحت نانسى فى استدعائك؟

ووضع يده على كتف بوارو ودفعه نحو غرفة المكتبة وهو يتأمله من أعلى رأسه الى أخمص قدميه.

- اذن فأنت ذلك الشخص الذى يروون عنه كل هذه الأعاجيب؟... أرجو أن تلتمس لى عذرا للهجتى منذ لحظة، فان ذلك السائق الذى يعمل معى غبى، وبارسونز هذا الخبيث يثير أعصابى دائما وأنا لا أستطيع احتمال الأغبياء.

وأردف يقول فى لهجة ودية:- وأنت لا تنتمى، لحسن الحظ، الى هذه الطبقة يا مستر بوارو.

قال بوارو فى هدوء:- بعض الذين اعتقدوا ذلك ندموا على غلطتهم.

- أفلحت نانسى اذن فى المجئ بك هنا. انها ملأت رأسها بآراء جنونية بخصوص سكرتير روبن. وآراؤها هذه لا تستند على أساس فان تريفوزيس رخو كالخرقة وأظن أنه لا يتناول شيئا على الاطلاق

غير اللبن. ثم أنه من أعداء الشراب. وأنك لتضيع وقتك فى الاهتمام به. ألا تظن ذلك؟

قال بوارو فى هدوء:- عندما يجد الانسان الفرصة لدراسة الطبيعة البشرية فانه لا يضيع وقته أبدا.

- الطبيعة البشرية؟... آه، نعم.

نظر فيكتور اليه ثم تهالك على مقعد وسأل:- هل أستطيع أن افعل شيئا من أجلك؟

- نعم. يمكنك أن تقول لى لأى سبب تشاجرت مع أخيك ليلة مصرعه.

هز فيكتور استويل رأسه وقال:- لا دخل لهذا بالجريمة.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- لم يكن لهذا دخل بتشارلس ليفرسون.

- ان الليدى استويل واثقة أنه لا دخل لتشارلس ليفرسون بالجريمة.

- أوه... أن نانسى.

- ويعتقد بارسونز كل الاعتقاد بأن تشارلس ليفرسون عاد فى وقت متأخر فى تلك الليلة ولكنه لم يره. تذكر أن أحدا لم يره.

قال استويل:- أنت مخطئ فى هذا، فانتى رأيته.

- أنت رأيته؟

– أن هذا بسيط. كان روبن قد أزعج تشارلس، واعترف أنه كان له الحق فى ذلك، ثم تحول الى بعد ذلك فوجهت اليه بعض الانتقادات اللاذعة وانحزت الى صف الشاب لا لشئ الا لمضايقة روبن. وأردت أن أرى تشارلس فى تلك الليلة لكى أخبره بما حدث فصعدت الى غرفتى ولم أنم وتركت باب غرفتى مفتوحا وانتظرت وأنا أدخن بعض السجائر. وغرفتى تقع فى الطابق الثانى بجوار غرفة تشارلس.

– أرجو أن تلتمس لى عذرا لمقاطعتى اياك.. ان مستر تريفوزيس يقيم فى الدور الثانى هو الآخر؟

قال استويل:– نعم. وتقع غرفته بعد غرفتى مباشرة.

– بجوار السلم؟

– كلا. بل من الناحية الأخرى.

اضاء وجه بوارو بريق غريب ولكن الآخر لم يلحظ شيئا واستطرد يقول:– وكما قلت لك كنت انتظر تشارلس وسمعت الباب العمومى يصطفق فى عنف قبل منتصف الليل بخمس دقائق، ولكننى لم أر تشارلس الا بعد عشر دقائق على الأقل. وعندما بلغ بسطة الطابق الثانى أدركت على الفور أنه لا جدوى من محاولة الحديث معه فى تلك الليلة.

ورفع فيكتور استويل مرفقه بطريقة ذات معنى وقال بوارو:– اننى أفهم.

– لم يكن باستطاعة الشاب المسكين أن يمشى مستقيما ... لم يكن

مظهره لائقا. وقد عزوت ذلك عندئذ لحالته ولكننى أدرك الآن أنه كان قد فرغ من ارتكاب جريمته لتوه.

سأله بوارو على الفور:– ألم تسمع أى صوت صادر من غرفة البرج؟

– كلا. ولكن تذكر اننى كنت فى الناحية الأخرى من البيت. والجداران سميكة جدا ولا أظن أننى كنت أستطيع أن أسمع أى شئ من غرفة البرج حتى ولو كان ذلك طلقة نارية. وقد سألت تشارلس اذا كان بحاجة الى مساعدة لكى أذهب به الى الفراش ولكنه أجابنى بأنه يستطيع أن يتصرف وحده ودخل غرفته وصفق الباب خلفه. وعندئذ نضوت عنى ثيابى وأويت الى فراشى.

تأمل بوارو السجادة بطريقة حالمة وقال أخيرا:– هل تدرك أهمية هذا البيان؟

– نعم على الأقل... ولكن ماذا تعنى؟...

– طبقا لأقوالك هذه مضت عشر دقائق بين اللحظة التى صفق فيها ليفرسون الباب العمومى واللحظة التى بلغ فيها الطابق الثانى. وأظن أننى أعلم أنه قال هو نفسه أنه صعد الى غرفته مباشرة... ولكن هناك شيئا آخر.. ان الاتهام الذى ادلت به الليدى استويل غريب، واعترف بهذا. وعلى كل حال فلم يقع حتى الآن ما يدحض هذا الاتهام، ولكن بيانك ينفى التهمة عن السكرتير.

– وكيف هذا؟

- تقول الليدى استويل أنها غادرت زوجها فى الساعة الثانية عشرة الا الربع، فى حين ان السكرتير صعد الى غرفته فى الساعة الحادية عشرة. واللحظة الوحيدة التى استطاع فيها ارتكاب جريمته تقع بين الساعة الثانية عشرة الا الربع وبين عودة مستر ليفرسون. واذا كان الأمر كما تقول فانك كنت تنتظر أمام بابك المفتوح ولم يستطع تريفوزيس أن يخرج من غرفته من غير أن تراه.

قال فيكتور استويل:- هذا صحيح.

- أليس هناك سلم آخر؟

- كلا. كان لابد له من أن يمر بغرفتى لكى يهبط الى غرفة البرج، وهو لم يفعل ذلك، وأنا واثق مما أقول. ولكن مهما يكن من أمر فاننى أستطيع أن أقول لك أنك خجول جدا.

- نعم، نعم، أننى أفهم كل هذا... أما زلت ترفض أن تذكر لى سبب مشاجرتك مع سير روبن؟

اضطرم وجه فيكتور استويل قال بوارو فى صوت خافت: أننى أعرف كيف التهم السر عندما يتعلق الأمر بامرأة.

هب استويل واقفا وقال:- عجبا؟... كيف تعرف؟... وما الذى توعز اليه.

قال بوارو: أننى أفكر فى مس ليلى مرجريف.

بقى فيكتور استويل واقفا مترددا لحظة طويلة ثم استعاد لونه الطبيعى وجلس قائلا:- أنك شديد المكر معى يا مستر بوارو. صحيح

أننا تشاجرنا، أنا وروبن بخصوص ليلى. لقد انصب غضبه عليها ولا أدرى ما الذى اكتشفه فيما يتعلق بها. ولكن لا ريب أنه اكتشف أن الشهادات التى تزودت بها زائفة. وبعد ذلك تجاوز كل الحدود وأدعى أنها تخرج ليلا للقاء الرجال. يا الهى!... اننى لم أسكت على اتهامه وقلت له أن أقوى منه لقوا حتفهم لأقل من قوله هذا... وأسكته كلماتى على الفور فانه كان يخاف منى عندما يتملكنى الغضب.

قال بوارو فى رقة:- لا يدهشنى هذا.

وقال فيكتور استويل بلهجة مختلفة:- أننى أقدر ليلى كثيرا. أنها فتاة ممتازة من كل النواحى.

لم يجب بوارو. كان ينظر أمامه قدما وقد بدا ضائعا فى أفكاره. وخرج منها باجفالة وقال:

- أظن أننى بحاجة الى أن أنشط ساقى... يوجد هنا فندق طبعا، اليس كذلك؟

قال استويل:- بل فندقان... فندق الجولف ويقع على مقربة من أرض الجولف وفندق التاج وهو بجوار المحطة.

- أشكرك. أشعر بحاجتى الى المشى فترة حقا.

ومضى بوارو الى فندق الجولف أولا. وكانت له طريقة عجيبة فى تنفيذ رغباته، فبعد أن دخل الفندق بثلاث دقائق تمكن من مقابلة مس لانجدون، المديرة مقابلة خاصة وقال:

- يؤسفنى أننى أزعجتك يا آنسة. ولكننى كما لا شك تعلمين

مخبر سرى.

كان يؤثر البساطة على كل شئ آخر، وفى هذه الحالة بالذات بدت فعالية طريقته على الفور فقد قالت المديرة وهى تنظر اليه فى غير اقتناع:- مخبر سرى؟

قال:- أننى لا أنتمى الى بوليس سكوتلانديارد، والواقع أننى، ولعلك أدركت ذلك لست انجليزيا. أننى أقوم بتحقيق خاص فى مقتل سير روبن استويل.

- ماذا تقول؟... ما أعجب هذا!

ونظرت مس لانجدون اليه بعينين مستديرتين متسعتين فقال بوارو فى سرور:- نعم. اننى لا أستطيع طبعا أن اكشف الأمر الا لشخص كتوم مثلك وأظن يا آنسة أنك تستطيعين مساعدتى. هل يمكنك أن تذكرى لى اسم شخص كان يقيم هنا ليلة الجريمة وتغيب فى تلك الليلة بالذات؟... شخص لم يعد الا بعد الساعة الثانية عشرة بنصف ساعة؟

ازدادت عينا مس لانجدون اتساعا وقالت لاهثة:

- لعلك لا تظن.

- ان الجانى أقام لديك؟... كلا. ولكن لدى من الأسباب ما يحملنى على الاعتقاد بأن أحد الذين كانوا يقيمون لديك ذهب ليتجول على مقربة من (استراحتى) فى تلك الليلة. واذا صح هذا فلعله استطاع أن يرى أشياء لا معنى لها بالنسبة له ولكنها قد تفيدنى كثيرا.

هزت المديرة رأسها فى حكمة واتخذت سمة الشخص الحذر الذى

يعلم كل الارتباطات المنطقية للتحقيق وقالت:

- اننى أفهم تماما... دعنى أفكر... من كان يقيم لدينا عندئذ؟

وقطبت حاجبيها واستعادت فى ذاكرتها اسماء الزبائن الذين أقاموا لديها فى ذلك الوقت قائلة:

- الكابتن سوان ومستر الكينز والقومندان بلانت ومستر منسون العجوز. كلا يا سيدى. لا أظن أن أحدا من هؤلاء قد خرج فى تلك الليلة.

- لو أن بعضهم قد خرج فهل كنت تلحظين ذلك.

- بالطبع. لأن هذا يحدث نادرا. ان هؤلاء الأشخاص يخرجون لتناول العشاء ويتغيبون ساعة أو ساعتين ولكنهم لا يخرجون بعد ذلك لأنه لا يوجد مكان يذهبون اليه، فلا يوجد من الملاهى فى ابوتس كروس غير الجولف.

قال بوارو:- هذا صحيح. اذن لم يخرج أحد من الفندق فى تلك الليلة بقدر ما تتذكرين؟

- ذهب الكابتن انجلاند وزوجته لتناول العشاء فى الخارج.

هز بوارو رأسه وقال:- ليس هذا نوع الخروج الذى ابحث عنه. سأذهب لأتحرى فى الفندق الآخر... أظن أن اسمه فندق التاج؟

- أوه، فندق التاج!... أنك على حق، فان أى شخص يمكنه أن يخرج منه لكى يقوم بجولة على قدميه.

كان واضحا أنها لا تنظر الى رواد

فندق التاج نظرة تقدير واحترام. وخرج بوارو فى لباقة ووقار.

* * *

وبعد عشر دقائق كان يكرر نفس المنظر مع مس كول، مديرة فندق التاج، وهو أقل فخامة وأرخص من الفندق السابق، ويقع على مقربة من المحطة.

- هناك سيد بقى فى الخارج الى وقت متأخر من تلك الليلة، وأذكر أنه عاد نحو الساعة الثانية عشرة والنصف. وكانت هذه عادة لديه فقد كان يحب أن يتنزه فى منتصف الليل. وأن قد فعل ذلك مرة أو مرتين من قبل. ما اسمه يا ترى؟... أننى لا أتذكر اسمه فى الوقت الحاضر.

وفتحت سجلا كبيرا وراحت تقلب صفحاته وهى تقول:- ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ آه... ها هو... تايلور... الكابتن همفرى تايلور.

- هل سبق أن نزل بفندقكم قبل ذلك؟... هل تعرفينه جيدا؟

- كان قد أقبل مرة قبل ذلك بخمسة عشر يوما وأتذكر أنه خرج فى تلك الليلة.

- هل أقبل لكى يلعب الجولف؟

- أظن ذلك. وهذا ما يجذب أكثر روادنا.

- أنا أيضا أظن ذلك.

وأردف يقول وهو ينصرف:- حسنا يا آنسة... أننى أشكرك كثيرا.

طاب يومك.

وعاد المخبر الى (استراحتى) وهو مشغول البال، ونظر أكثر من مرة الى شئ صغير كان يخرجه من جيبه. وتمتم يحدث نفسه.

- يجب أن استقر على رأى وأن أعجل بالعمل. وانتهز أول فرصة.

وكان أول ما فعله عند عودته أن سأل بارسونز أين يمكنه أن يجد مس مرجريف. وأخبره رئيس الخدم بأنها فى المكتب الصغير تقوم بترتيب مراسلات الليدى استويل. ووجد المكتب الصغير بدون مشقة. وكانت ليلى مرجريف جالسة تكتب بجوار النافذة وكانت وحدها. وأغلق بوارو الباب خلفه فى عناية تامة واقترب من الفتاة:

- هل لك أن تمنحينى بضع دقائق من وقتك يا آنسة؟

- بكل سرور.

اقصت ليلى الأوراق التى أمامها وتحولت اليه قائلة:- ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟

- أظن أننى فهمت يا آنسة أن الليدى استويل حين ذهبت للقاء زوجها ليلة مصرعه مضيت أنت الى فراشك مباشرة. فهل هذا صحيح؟

- نعم.

- ألم تهبطى بعد ذلك صدفة؟

- كلا.

- يخيل لى يا مسز أنك قلت أنك لم تذهبى فى تلك الليلة، فى أية

لحظة الى غرفة البرج؟

- لا أتذكر أننى قلت هذا. ومع ذلك فهذه هى الحقيقة. لم أضع قدمى فيها.

رفع بوارو حاجبيه وقال:- هذا غريب!

- ماذا تعنى؟

- أعنى أن هذا غريب جدا. كيف تفسرين هذا اذن.

وأخرج من جيبه قطعة صغيرة من الحرير الموسلين الأخضر ملوثة بالدم وبسطها أمام ليلى لكى تراها جيدا.

ظلت ملامحها جامدة ولكن المخبر أدرك من غير أن يسمعها أنها تتنفس بطريقة أسرع. وقالت:

- أننى لا أفهم يا مستر بوارو.

قال:- اذا لم أخطئ يا آنسة فانك كنت ترتدين ثوبا من الحرير الموسلين الأخضر فى تلك الليلة. وهذه القطعة من ذلك الثوب.

سألته الفتاة على الفور:- وهل وجدتها فى غرفة البرج؟... فى أى مكان؟

نظر بوارو الى السقف وقال:- يكفى أن أقول فى الوقت الحاضر أننى وجدتها فى غرفة البرج.

ارتسمت فى عينيها نظرة ذعر لأول مرة وأوشكت أن تتكلم، ولكنها تمالكت نفسها. وراقب بوارو يديها البيضاوين والرقيقتين المتوترتين

فوق حافة المكتب وقالت كما لو كانت تفكر فى صوت مسموع:

- أننى أتساءل اذا كنت قد ذهبت الى غرفة البرج فى تلك الليلة... اننى أكاد أكون واثقة أننى لم أذهب اليها. واذا كانت هذه القطعة موجودة هناك منذ تلك الليلة فان من الغريب أن البوليس لم يكتشفها على الفور.

- ان البوليس لا يفكر فى أشياء كثيرة كما يفعل هركيول بوارو.

استطردت ليلى تقول فى نفس اللهجة:- ربما ذهبت اليها لحظة قبل العشاء. أو ربما كان ذلك فى اليوم الأسبق. كنت ارتدى نفس الثوب. نعم. أننى واثقة أن ذلك كان فى اليوم الأسبق.

قال بوارو:- لا أعتقد ذلك.

- لماذا؟

لم يبد أكثر من اشارة نفى فبدأت تقول:- هل تعنى؟...

وانحنت الى الأمام وحدقت بعينيها فيه وقد شحب لونها كالموتى فقال:- لم تلاحظى أن هذه القطعة ملوثة يا آنسة... لا شك هناك فى أن هذه البقعة من الدم البشرى.

- ماذا تقول؟

- أقول يا آنسة أنك ذهبت الى غرفة البرج بعد ارتكاب الجريمة وليس قبلها، وأظن أن من الخير لك أن تذكرى لى الحقيقة كلها اذا أردت تجنب متاعب أكثر خطورة.

وكان قد نهض وهو بادى القسوة وانتصب بكل قامته القصيرة وأشار اليها بأصبعه مهددا فقالت:

- كيف اكتشفت؟..

- هذا لا يهم يا آنسة. ان هركيول بوارو يعرف دائما. أعرف أن هناك من يدعى الكابتن نايلور وأنك خرجت فى تلك الليلة لرؤيته.

وفجأة انهارت ليلى وأخذت رأسها بين يديها وراحت تذرف الدموع بغزارة. وتغير موقف بوارو على الفور فقال وهو يربت على كتفها:

- كلا، كلا يا آنسة. لا تبكى. لا يمكن لأحد أن يخدع هركيول بوارو. وحين تفهمين ذلك فستنتهى كل متاعبك. والآن أسردى على قصتك كلها.

- ليس الأمر كما تظن أبدا. أن أخى همفرى لم يلمسه.

قال بوارو:- أخوك؟ هو أخوك اذن؟ اذا أردت أن تتخلص من الشكوك فيجب أن تذكرى لى كل شئ الآن وبدون أى تحفظ.

جلست ليلى ودفعت عن جبينها الشعر الذى سقط عليه، وبعد لحظة راحت تتكلم فى صوت خافت واضح فقالت:

- سأذكر لك الحقيقة يا مستر بوارو، وأرى الآن أن من السخف أن لا أفعل. ان اسمى الحقيقى هو ليلى تايلور، وهمفرى أخى الوحيد. وعندما كان فى افريقيا منذ سنوات اكتشف منجما من الذهب. بل أظن أنه يجب أن أقول أنه اكتشف ذهبا. ولا أستطيع أن أسرد هذا الجزء لأننى لا أفهم شيئا من التفاصيل الفنية ولكن يمكن أن نلخص

الأمر هكذا.

كان يبدو أن المنجم سيحقق نجاحا كبيرا. وعاد همفرى ومعه خطابات الى سير روبن استويل على أمل أن يهتم بهذا المشروع، وأنا لا أفهم شيئا فى حقوق الفرد ولكننى أعرف أن سير روبن أرسل خبيرا ولكنه لم يكتب له تقريرا. وبعد ذلك قال لأخى أن تقديره تماما. وعاد أخى الى افريقيا مع بعثة ذهبت داخل البلاد لم تلبث أن فقدت. وقد افترض أن البعثة هلكت وهلك أخى معها.

وبعد ذلك بقليل تكونت شركة لاستثمار مناجم ذهب بمبالا. وعندما عاد أخى الى انجلترا خطر له على الفور أن هذه المناجم هى نفس المناجم التى اكتشفها هو. وفى الظاهر لم يكن لسير روبن أية علاقة بهذه الشركة التى قامت باستثمار المناجم المذكورة بوسائلها الخاصة. ولكن لم يرض هذا همفرى فقد بقى مقتنعا بأن سير روبن خدعه عمدا.

وجعلته هذه العملية كثير المرارة وتعيسا. وأنا وهو وحيدان فى العالم، ولما كان من الضرورى أن أكسب قوت يومى فقد خطر لى أن التحق بالعمل لدى الليدى استويل، وكانت تبحث عن سكرتيرة. أردت أن أعرف اذا كانت هناك علاقة بين سير روبن وبين شركة المناجم بمال أم لا. ولأسباب من السهل ادراكها اتخذت اسما غير اسمى وأعترف صراحة اننى استخدمت شهادات زائفة.

كانت المتقدمات لهذه الوظيفة كثيرات أكثر جدارة وخبرة منى.. ولهذا كتبت رسالة باسم دوقة برتشير، وكنت أعرف أنها قد ارتحلت

الى امريكا، وكنت أعتقد أن توصية من دوقة ستحدث أثرها عند الليدى استويل وكنت على صواب فى ذلك فقد الحقتنى بالعمل فورا.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت مخلوقة حقيرة بغيضة... أصبحت جاسوسة. ولم أوفق حتى وقت قريب، فان سير روبن لم يكن بالرجل الذى يكشف عن أسرار أعماله، ولكن فيكتور استويل عاد من افريقيا وهو أقل حذرا فى أقواله وبدأت أعتقد أن همفرى لم يخطئ، وقد أقبل هنا قبل ارتكاب الجريمة بخمسة عشر يوما وخرجت للقائه ليلا، وأخبرته بما قال فيكتور استويل. وقد انفعل بما قلت له واكد لى أننى وراء الأثر الصحيح.

وبعد ذلك بدأت الأمور تفسد، فقد رآنى أحدهم أخرج من البيت وذكر أمرى لسير روبن. وأخذه الشك وبحث عن شهاداتى وادرك على الفور أنها زائفة. وبدأت الأزمة فى يوم الجريمة. وأظن أنه كان يشك فى أننى أطمع فى الحصول على مجوهرات زوجته. ومهما كانت ظنونه فقد استقرت نيته على أن لا أبقى تحت سقف بيته. ومع ذلك فقد قبل أن لا يطردنى لاننى استخدمت شهادات زائفة. وانحازت الليدى استويل الى صفى بدون تردد وقاومت زوجها بكل شجاعة.

وأمسكت. وبقى بوارو على خطورته وقال:- والآن يا آنسة نأتى الى ليلة الجريمة.

أطرقت ليلى برأسها الى الأرض وازدردت ريقها وقالت:- يجب أن أبدا فأقول لك أن أخى كان قد عاد وأننى تدبرت أمرى لكى أراه خلسة فى تلك الليلة. انى ذهبت فعلا الى غرفتى فى تلك الليلة ولكننى لم

أرقد فى فراشى بل انتظرت حتى نام الجميع وهبطت كالشبح وخرجت من الباب الجانبى للبيت. وقابلت همفرى وأخبرته بالأمر. وقلت له أن الأوراق التى يحتاج اليها موجودة بلا ريب فى خزانة سير روبن الموجودة فى غرفة البرج. وقد قررنا أن نقوم فى تلك الليلة بمغامرة أخيرة يائسة لكى نستولى عليها.

كان يجب أن أسبقه وأن أتأكد من خلو الطريق. وكانت الساعة قد أعلنت انتصاف الليل عندما عدت من حيث خرجت. وكنت فى منتصف السلم الذى يؤدى الى غرفة البرج عندما سمعت صوت سقوط شخص يقول: يا الهى!.. يا الهى!.. وعلى الفور فتح باب غرفة البرج ورأيت تشارلس ليفرسون يخرج. وتحت ضوء القمر رأيت وجهه تماما. ولكننى كنت مختبئة فى ركن مظلم من السلم تحته ولم يكن يستطيع أن يرانى.

وبقى لحظة وساقاه لا تقويان على حمله وقد تغيرت ملامحه. كان يبدو أنه ينصت ثم بذل مجهودا ظاهرا لكى يسترد جأشه وفتح باب غرفة البرج وصاح ببضع كلمات وأظن أنه قال (ليس هناك أى سوء) وكان صوته مرحا غير مبال ولكن وجهه كان مختلفا جدا. وبقى مكانه لحظة أخرى ثم صعد فى بطء واختفى فى بسطة الطابق الثانى.

وانتظرت بضع لحظات ثم تسللت الى غرفة البرج، كان لدى احساس بأن شيئا بغيضا قد حدث. كان مصباح السقف مطفأ، ولم يكن هناك أى نور غير نور الأباجورة، ورأيت سير روبن طريحا فوق الأرض بجوار المكتب. ولا أدرى كيف جمعت ما يكفى من الشجاعة لكى اقترب منه. وجثوت بجواره ورأيت على الفور أنه مات. كان قد أصيب بضربة على رأسه من الخلف، وكان يبدو أنه أصيب بهذه الضربة

القاتلة منذ دقائق قليلة. ولمست يده فاذا بها ما زالت دافئة. كان ذلك فظيعا يا مستر بوارو... فظيعا.

وارتجفت وهى تتذكر ذلك. وقال بوارو وهو ينظر اليها فى اهتمام:- وبعد؟

أطرقت براسها وقالت: نعم. اننى أعرف فيم تفكر. لماذا لم أصرخ وأوقظ البيت كله؟ ولكننى وأنا جاثية بجواره ادركت فجأة أن شكوك سير روبن فى وخروجى خلسة لمقابلة هنرى، وطردى، اذ كان ينبغى أن أغادر البيت فى صباح اليوم التالى. أدركت أن كل ذلك سلسلة من الحقائق الخطيرة وأن هذه السلسلة تديننى. سيقال عندئذ أننى ادخلت أخى البيت وأنه قتل سير روبن بدافع الانتقام واننى اذا قلت اننى رأيت تشارلس ليفرسون يخرج من غرفة سير روبن فان أحدا لن يصدقنى.

كان الأمر فظيعا يا مستر بوارو. وتوالت الأفكار الصاخبة فى ذهنى وكلما فكرت كلما أحسست بشجاعتى تتخلى عنى. وفجأة رأيت مفاتيح سير روبن، ولا ريب أنها سقطت من جيبه أثناء وقوعه. وكان مفتاح الخزانة بينها وكنت أعرف رقم التركيبة الخاصة بها لأن الليدى استويل ذكرته مرة أمامى ففتحت الخزانة وبحثت بسرعة عن الأوراق ووجدت ما أبحث عنه أخيرا. كان همفرى على حق. كان سير روبن خلف شركة مناجم مبالا، سرقها بتبصر تام. ولكن أصبح الأمر اسوأ لأن ذلك كان دافعا آخر لكى يرتكب أخى الجريمة. وأعدت الأوراق مكانها فى الخزانة وتركت المفتاح فى القفل وصعدت مباشرة الى غرفتى. وفى صباح اليوم التالى تظاهرت بالدهشة وبالفظاعة اللتين أحس بهما الجميع عندما اكتشفت الخادمة الجثة.

وألقت الى بوارو نظرة جديرة بالرثاء وقالت:- هل تصدقنى يا مستر بوارو؟... أوه، قل لى أنك تصدقنى.

- اننى أصدقك يا آنسة. أنك قدمت الى تفسيرا لأشياء كثيرة كانت تثير حيرتى. مثال ذلك ثقتك التامة من أن تشارلس ليفرسون هو القاتل واصرارك فى نفس الوقت على منعى من المجيئ هنا.

قالت فى صراحة:- كنت خائفة منك يا مستر بوارو فان الليدى استويل لم تكن تستطيع أن تعرف مثلى أن تشارلس ليفرسون هو الذى ارتكب الجريمة، ولم يكن فى مقدورى أن أقول شيئا. وكنت أرجو أن ترفض المجيئ.

قال بوارو: لعلنى كنت أرفض ذلك لولا التردد الظاهر من ناحيتك.

نظرت ليلى اليه سريعا. وكانت تضطرب:- والآن، ماذا ستفعل به؟

- فيما يخصك أنت يا آنسة لا شئ. اننى أصدق قصتك وأقبل تفسيرك للأحداث. يجب أن أذهب على الفور الى لندن لكى أرى المفتش ميللر.

سألته ليلى:- وبعد ذلك؟

قال بوارو:- بعد ذلك... سوف نرى.

وخرج وهو يغلق الباب خلفه فى رفق وقال يحدث نفسه فى غرور:- ان عبقرية هركيول بوارو عجيبة حقا!

* * *

لم يكن المفتش ميللر يشعر بأى ميل الى مستر هركيول بوارو بصفة خاصة. ولم يكن من مفتشى سكوتلانديارد الذين يرحبون بمعاونة البلجيكى القصير وكان يجهر بأن بوارو يغالى فى مقدرته وفعاليته.

وفى قضية (استراحتى) بالذات كان راضيا عن نفسه وقد استقبل بوارو فى شئ من السخرية قائلا: يبدو أنك تعمل من أجل الليدى استويل... وهذا معناه أنك تجرى وراء السراب.

- ليس هناك أى شئ اذن فى هذه القضية؟

- أبدا. اننى لم أر قضية أسهل منها، ذلك الا اذا القينا القبض على القاتل متلبسا بارتكاب جريمته!

- هل أفهم من هذا أن مستر ليفرسون ألى باعترافات؟

- بل كان أخيرا له أن يلتزم الصمت، فهو لا يكف عن القول بأنه صعد الى غرفته رأسا وأنه لم ير خاله. وقصته هذه لا تستند على أساس.

تمتم بوارو: - الواقع أنه ينكر الحقيقة الواضحة ما هو الانطباع الذى تركه الشاب ليفرسون فى نفسك؟

- أنه غبى صغير.

- شخصية ضعيفة، أليس كذلك؟

قال المفتش مؤيدا: - اننى لا أكاد أصدق أن شابا مثله قد وجد ما يكفى من الجرأة لكى يرتكب مثل هذه الجريمة.

أستطيع أن أؤكد لك أننى سبق أن التقيت بحالات كثيرة مشابهة، فان الشاب الضعيف الشخصية اذا ما أثير حنقه وأفرط فى الشراب أكثر قليلا مما ينبغى يصبح أشد خطرا من أى رجل شجاع اذا ما ضيق عليه الخناق.

- هذا صحيح.

زال برود ميللر بعض الشئ وقال: - كل شئ لا بأس به بالنسبة لك يا مستر بوارو، فأنك ستتقاضى اتعابك على الرغم من كل شئ وكل ما هنالك هو أنه يجب أن تتظاهر بأن تقوم بالتحريات والاستقصاءات ارضاء لليدى استويل. اننى أول من يفهم هذا.

قال بوارو: - آه. هل تفهم مثل هذه الأشياء المهمة أيضا؟

واستأذن منه فى الانصراف.

ومضى بعد ذلك الى المحامى الذى يتولى شئون تشارلس ليفرسون ويدعى مستر مايهو، وهو رجل نحيف جاف متشكك. وقد استقبل بوارو فى تحفظ ولكن البلجيكى القصير كان يعرف كيف يكتسب ثقة أكثر الناس حرصا وتشككا، ففى أقل من عشر دقائق كان مستر مايهو يفضى اليه بما لديه من أسرار وراح الرجلان يتكلمان فى مودة فقال بوارو: لعلك تفهم أننى أعمل لصالح مستر تشارلس ليفرسون، وهذه رغبة الليدى استويل نفسها، فهى مقتنعة بأنه ليس مذنبا.

قال المحامى فى لهجة جافة: - ليس هناك ما يثبت أنها تأتنا بعكس ذلك فى الغد.

– من المؤكد أن غريزتها ليست برهانا قاطعا. ان هذا الشاب المسكين يبدو لى، من أول وهلة انه في موقف سيئ.

– مما يؤسف له أنه ذكر هذه القصة لرجال البوليس وتمسكه بقصته هذه لم يخدمه مطلقا.

سأله بوارو:– هل تمسك بها معك؟

أجاب مايهو:– نعم. ولا يريد أن يغير منها كلمة واحدة أبدا وأصر على تكرارها.

– أهذا هو السبب فى أنك لا تريد أن توليه ثقتك؟.. لا تقل لى العكس. بل أنك تعتقد أنه مذنب فى الواقع ولكن اصغ الى. سأدلى اليك برواية أخرى عما حدث... رواية تبدو معقولة تماما.

(عاد هذا الشاب الى بيت خاله، وكان قد أفرط فى الشراب بلا شك. وأحس بتلك الشجاعة المصطنعة التى تفتعلها الخمر. وقد عاد الى (استراحتى) وهو فى هذه الحالة وصعد السلم الذى يؤدى الى غرفة البرج وهو يتمايل ويترنح وفتح الباب ورأى، على الضوء الضئل الذى ترسله الأباجورة خاله وقد بدا له أنه منحن فوق مكتب يكتب. وكان مستر ليفرسون كما قلت مخمورا فلم يستطع أن يملك نفسه فقال لخاله كل ما فى قلبه وراح يتحداه ويسبه. ولم ينطق خاله بأى شئ والتزم الصمت. ويحس ليفرسون بالقوة. أكثر فأكثر ويستمر فى سبه وقذفه ويكرر نفسه متحديا خاله مرة فأخرى. ويرتفع صوته ويعلو ويحس بالقلق أخيرا ازاء صمت خاله فيدنو منه ويضع يده على كتفه وتحت ضغط يده الخفيف ينهار جسد خاله ويقع على الأرض جاذبا

مقعده معه.

(ويفيق ليفرسون على الفور وينحنى فوق سير روبن ويفهم ما حدث وينظر الى يده التى يغطيها سائل لزج أحمر دافئ. ويتملكه الخوف وود لو أنه نزل عن نصف عمره لكى يمنع الصيحة التى أفلتت من بين شفتيه، والتى لا ريب سمع صداها كل من فى البيت. وفى حركة آلية يرفع المقعد ويمضى الى الباب وهو يرهف السمع ويحسب أنه سمع حركة فيعمل أوتوماتيكيا كما لو أنه يتحدث مع خاله من خلال الباب المفتوح. ولا يسمع الحركة مرة أخرى ويقتنع أنه اخطأ. وكان الصمت مخيما عندئذ فتسلل الى غرفته وأعتقد أنه لا يستطيع أن يفعل خيرا من أن ينكر أنه دخل غرفة خاله فى تلك الليلة. ويروى عندئذ قصته بالصورة التى رواها. وأرجو أن تذكر أن بارسونز لم يكن فى هذه اللحظة قد ذكر شيئا عما سمعه فى تلك الليلة. وعندما تكلم بارسونز كان السيف قد سبق العزل فلم يستطع ليفرسون أن يغير أقواله. وهو شاب أحمق عنيد يتمسك بأقواله فى غباء... والآن، قل لى يا مستر مايهو، أليس من الجائز أن يكون هذا هو ما حدث فعلا؟

قال المحامى:– هذا جائز.

نهض بوارو وقال:– ان من حقك أن تراه يا مستر مايهو. اذكر له ما قلت لك وسله اذا لم يكن هذا هو ما حدث.

وعندما خرج بوارو من مكتب المحامى استدعى سيارة أجرة وقال للسائق:– اذهب بى الى رقم ٢٤ بشارع هارلى.

* * *

استغربت الليدى استويل لرحيل بوارو المفاجئ الى لندن خاصة وان الرجل القصير لم يذكر لها شيئا عن نيته. وعند عودته بعد أربع وعشرين ساعة أخبره بارسونز أن الليدى استويل تريد أن تراه على الفور وقد وجدها فى مخدعها مستلقية فوق أريكة وخلف ظهرها بعض الوسائد. وكانت تبدو زائغة النظرات متغيرة السمنة أكثر مما كانت عند مجيئه لأول مرة.

- ها أنت قد عدت يا مستر بوارو.

- نعم يا سيدتى.

- هل ذهبت الى لندن؟

- نعم يا سيدتى.

قالت فى لهجة لاذعة:- ولكنك لم تذكر لى أنك ذاهب اليها.

- أننى التمس معذرتك يا سيدتى وأقر بخطئى. كان يجب أن أخطرك... فى المرة القادمة...

قالت وقد اعتدل مزاجها:- ستفعل نفس الشئ... يبدو أن شعارك هو أن تفعل ما تريد أولا ثم تتكلم ثانيا.

قال بوارو متخابثا:- لعله شعارك أنت أيضا يا سيدتى.

أجابت:- ربما... من وقت لآخر. ولكن لماذا ذهبت الى لندن؟... أظن أن بمقدورك أن تذكر لى ذلك الآن.

- تبادلت حديثا مع المفتش ميللر القدير وآخر مع مستر مايهو.

ذلك المحامى الشهم.

تفرست الليدى استويل فى وجه محدثها وقالت:- وما رأيك الآن؟

قال بوارو فى لهجة رزينة وهو يحدق فى ليدى استويل:- أرى أن براءة مستر ليفرسون تدخل الآن فى نطاق الاحتمالات.

- آه. أننى كنت على حق اذن.

- قلت (فى نطاق الاحتمالات) يا ليدى استويل ولا شئ أكثر من ذلك.

بدت عليها الدهشة ازاء لهجة بوارو ونظرت اليه فى حدة متسائلة:- هل أستطيع أن أفعل شيئا.

- نعم يا سيدتى. يمكنك أن تذكرى لى لماذا تشتبهين فى أوون تريفوزيس؟

- قلت لك ذلك.

قال بوارو:- هذا لا يكفى لسوء الحظ. عودى بذاكرتك الى الوراء وتذكرى حقائق ونقاط تلك الليلة الرهيبة يا سيدتى. ماذا لاحظت أو ماذا رأيت ودفعك الى الاشتباه فى سكرتير سير روبن؟.. أننى واثق أن هناك شيئا.

هزت ليدى استويل رأسها وقالت:- اننى لا الحظ وجوده عادة، ولا أظن أنه شغل بالى ولو لمجرد لحظة.

- هل كان ذهنك مشغول بشئ آخر؟

- نعم.

- بالعداء الذى كان زوجك يكنه نحو مس مرجريف؟

- هو ذلك. ولكن يبدو أنك على علم بكل شئ يا مستر بوارو؟

أجاب الرجل القصير فى غرور مضحك:- اننى أعرف دائما كل شئ.

- اننى أحب ليلى كثيرا يا مستر بوارو، ومن المؤكد أنك لاحظت ذلك. بدأ روبن يثير المتاعب بخصوص الشهادات التى تقدمت بها. ولا أقول أنها استعملت الغش شيئا ما فقد فعلت ذلك. ولكننى فعلت اسوأ منها فى شبابى، فلابد للمرء أن يدبر أمره وأن يعرف كيف يتصرف. وقد قمت بشتى الحيل والخدع مع مديرى المسارح، وما كنت لأحجم عن شئ فى ذلك الوقت.

كانت ليلى تطمع فى الحصول على هذه الوظيفة فلم تتردد فى الاقدام على بعض الوسائل... وهى وسائل لم تكن لها أية صبغة قانونية كما تعلم. والرجال لا يفهمون مثل هذه الأشياء. ولو أن ليلى كانت موظفة فى أحد المصارف تمر بيديها ملايين الدولارات لما أثار كل هذه الضجة. كنت مشغولة جدا فى تلك الليلة. وكنت عادة انتهى دائما الى اقناع روبن ولكن المسكين العزيز كان يبدو كالحمار العنيد فى بعض الأحيان، وقد كان الأمر كذلك فى تلك الليلة بحيث أننى لم أنتبه أبدا للسكرتير. ومهما يكن من أمر فان مستر تريفوزيس ليس بالشخص الذى يفرض نفسه ويتألق ويثير الدهشة.

- أما هذا فلا... أنه ليس كفيكتور.

- أن فيكتور استويل رجل سريع التأثر والانفجار قالت الليدى استويل:- آه. هذه صفة ممتازة لفكتور. أنه ينفجر خلال البيت كله كما

لو كان صاروخا.

وقال بوارو:- أظن أنه عنيف الطباع.

- أوه، أنه شيطان مريد اذا استثاره أحد. ولكننى والحق يقال لا أخشاه.. أنه عنيف فى طبعه ولكنه لا يضمر سوءا أو شرا.

نظر بوارو الى السقف وقال:- ألا تستطيعين أن تقولى لى ما الذى أثار دهشتك فى الليلة التى وقعت فيها الجريمة فيما يتعلق بالسكرتير؟

- ولكننى قلت لك أننى لا أعرف يا مستر بوارو.. أنها الغريزة.. غريزة المرأة.

استطرد بوارو يقول:- ولكنها لن تساعد فى شنق رجل والأسوأ من هذا أنها لم تمنع آخر من أن يشنق. ما دمت مقتنعة تماما يا ليدى استويل من أن مستر ليفرسون برئ ومن أن شكوكك بخصوص مستر تريفوزيس تستند على أساس، فهل تقبلين القيام بتجربة؟

قالت الليدى استويل فى حذر:- أى نوع من التجارب؟

هل ترضين أن تقومى بدور الوسيط؟

- ولماذا بالله؟

اقترب بوارو منها وقال:- اذا قلت لك يا سيدتى أن غريزتك ربما سجلت فى ذهنك حقائق على غير وعى منك فربما لا تقتنعين بما أقول، ولهذا فاننى أكتفى بأن أقول لك أن التجربة التى أعرضها عليك قد يكون لها أكبر الأثر على مصير هذا الشاب المسكين تشارلس ليفرسون. وأظنك لن ترفضى ذلك؟

- ومن الذى سيقوم (بتويمى)؟... أهو أنت.

- بل أحد أصدقائى يا سيدتى. واذا لم أخطئ فقد أقبل الآن.. فاننى أسمع صوت سيارة تقف أمام البيت.

- ومن هو؟

- الدكتور كازليه، وعيادته بشارع هارلى.

- وهل.. هل يمكن الركون اليه؟

- أنه ليس دجالا اذا كان هو ما تقصدين. يمكنك أن تثقى به ثقة تامة.

قالت الليدى استويل وهى تتنهد :- حسنا. أظن أن كل هذا لا يزيد عن كونه دعابة. ومع ذلك فيمكنك أن تحاول اذا أردت. لن يقال اننى منعتك عن عمل ما لابد منه.

- أشكرك ألف مرة يا سيدتى.

وأسرع بوارو بالخروج من المخدع ولم يلبث أن عاد بعد لحظة وبرفقته رجل قصير يلبس نظارة وله وجه مستدير مرح على غير ما كانت الليدى استويل تتوقع. وقام بوارو بتقديم كل منهما للآخر.

وقالت الليدى استويل فى ابتهاج:

- حسنا.. كيف تبدأ هذه الدعابة.

أجاب الطبيب القصير:- انه عمل سهل جدا يا ليدى استويل.. بل من أسهل ما يكون. يكفى أن تجلسى فى وضع مريح وأن لا تقلقى.

- انني لا أقلق أبدا.. أريد أن أرى شخصا يستطيع أن يحملنى

على النوم قسرا عنى.

ابتسم الدكتور كازاليه ابتسامة عريضة وقال:- طبعا. ولكن ما دمت قد رضيت فلن يكون ذلك قسرا. اطفئ نور السقف اذا تكرمت يا مستر بوارو... دعى النوم يداعب جفونك يا ليدى استويل.

وغير من وقفته قليلا واستطرد:- ان الوقت قد تأخر، وأنت ترين النوم.. تريدين النوم بصورة ملحة.. ان جفنيك ثقيلان.. أنهما ينطبقان.. ينطبقان.. ستنامين الآن حالا.

وبدا صوته كهرير رتيب عذب مطمئن. ولم يلبث أن انحنى ورفع الجفن الأيسر لليدى استويل فى رفق كبير ثم استدار نحو بوارو فى ارتياح وقال: هذا حسن جدا. هل ابدأ الآن؟

- اذا أردت.

راح الطبيب يتكلم فى صوت واضح جلى فقال:- ليدى استويل. انك نائمة الآن ولكنك تسمعيننى، أليس كذلك؟.. هل يمكنك أن تردى على اسئلتى.

وبدون أن تأتى بأية حركة أجابت بصوت خافت رتيب:- اننى أسمعك وأستطيع أن أرد على أسئلتك.

- ليدى استويل.. أريد أن تعودى الى الليلة التى قتل فيها زوجك.. هل تتذكرين هذه الليلة؟

- نعم.

وتحرك الجسد النائم قليلا فى انفعال فى حين عاد الطبيب

يقول:- أنك تجلسين أمام المائدة أثناء تناول الطعام.. صفى لى ما ترين وما تحسين به؟

- أننى تعيسة جدا.. أشعر بقلق كبير.. أشعر بالقلق على ليلى.

- أننا نعرف هذا. قولى لى ماذا ترين؟

- أن فيكتور يأكل كل اللوز المملح. أنه شره. سأقول لبارسونز أن لا يضع هذا الطبق بجواره غدا.

- استمرى يا ليدى استويل.

- أن روبن حاد المزاج الليلة. وأظن أن ذلك بسبب ليلى.. هناك شئ له صلة بأعماله يزعجه.. وفيكتور ينظر اليه بطريقة غريبة.

- حدثنا عن مستر تريفوزيس يا ليدى استويل.

- أن ياقة قميصه متآكلة، وهو يكثر من استعمال الدهون فى رأسه.. وددت لو أن ينصرف الرجال عن هذه العادة.. أنها تتسبب فى اتساخ أكياس المقاعد.

قال كازاليه بعد أن ألقى نظرة الى بوارو:- والآن يا سيدتى.. انكم فرغتم من العشاء وتتناولون القهوة. صفى لنا المنظر.

- ان القهوة لذيذة الليلة، وهى ليست كذلك دائما. لا يمكن الركون الى هذه الطاهية فى اعداد القهوة. وليلى تكثر من النظر الى النافذة. واننى أتساءل لماذا؟ ودخل روبن الصالون الآن. أنه فى أسوأ حالته ولا يكف عن تعنيف تريفوزيس المسكين وزجره. وهذا الأخير يمسك بقاطعة الورق فى يده.. أعنى القاطعة الكبيرة ذات السلاح الحاد

الشبيه بالخنجر. أنه يضغط عليها بكل قواه، ومفاصل أصابعه بيضاء تماما.. وقد غرز النصل فى خشب المائدة بقوة بحيث تحطم. أنه يمسكها كما يمسك المرء خنجرا يريد أن يغمده فى ظهر آخر. حسنا. انهما خرجا الآن معا. وقد ارتدت ليلى ثوبها الحرير الموسلين الأخضر. أنها فاتنة فى هذا الثوب وتبدو كما لو كانت زنبقة جميلة. يجب أن أغسل أكياس المقاعد فى الأسبوع المقبل.

- دقيقة واحدة يا ليدى استويل.

تحول كازاليه الى بوارو وسأله فى صوت خافت:- أظن أننا وصلنا الى النقطة الحاسمة.. أعنى تحطيم نصل القاطعة هذه النقطة التى اقنعتها بجرم السكرتير. لننتقل الآن الى غرفة البرج.

راح الدكتور يسأل الليدى استويل بنفس اللهجة القوية الواضحة فقال:- ان الوقت الآن متأخر، وأنت فى غرفة البرج مع زوجك.. انكما تتشاجران بحدة، أليس كذلك؟

أتت بحركة عصبية عنيفة وقالت:- تشاجرنا شجارا عنيفا.. نظيفا. تراشقنا بكلمات بغيضة.

- اطرحى هذا الموضوع عن ذهنك الآن. هل ترين الغرفة بوضوح؟.. هل الستائر مسدلة والمصابيح مضاءة؟

- مصباح السقف غير مضاء.. مصباح المكتب هو المضاء فقط.

- أنك تغادرين زوجك الآن. هل وجهت اليه تحية المساء؟

- كلا. كنت شديدة الغضب.

- هذه آخر مرة ترينه فيها. سيلقى حتفه وشيكا مقتولا. فهل ،تعرفين من الذى قتله يا ليدى استويل؟

- نعم. هو مستر تريفوزيس.

- لماذا تقولين ذلك؟..

- بسبب الانبعاج.. انبعاج الستارة.

- هل كانت الستارة منبعجة؟ نعم.

- هل رأيتها؟

- نعم. بل اننى أوشكت أن ألمسها.

- هل كان هناك رجل مختبأ خلفها؟.. مستر تريفوزيس؟ نعم.

- وكيف عرفت ذلك؟

ترددت الليدى استويل لأول مرة وبدت غير واثقة وقالت:- اننى.. هذا بسبب قاطعة الورقة.

تبادل بوارو وكازاليه النظر وقال هذا للأخير:- اننى لا أفهم شيئا يا ليدى استويل.. تقولين ان الستار كان منبعجا وأن رجلا كان يختبئ خلفه. أرأيت هذا الرجل؟

- كلا.

- هل حسبت أنه مستر تريفوزيس بسبب ضغطه على قاطعة الورق بعد العشاء؟

- نعم.

- ولكننى فهمت أن مستر تريفوزيس مضى الى غرفته بعد ذلك.

- نعم.. نعم. هذا صحيح. أنه يختبئ خلف الستار؟

- كلا. طبعا. لم يكن مختبئا خلفها.

- هل وجه الى زوجك تحية المساء قبل مغادرته؟ نعم.

- ولم تريه بعد ذلك؟

- كلا.

وبدأت تضطرب وتتلفت حولها وهى تئن وتتأوه فقال الطبيب:- أنها تصحو. أظن أننا لن نعرف منها شيئا أكثر.

أومأ بوارو بالايجاب، وانحنى الى الطبيب فوق الليدى استويل وقال فى رفق كبير:- أنك تستيقظين أنك تستيقظين الآن.. ستفتحين عينيك بعد دقيقة.

انتظر الرجلان لحظة. وجلست الليدى استويل وراحت تنظر الى كل منهما، الواحد بعد الآخر.

وقالت: هل نمت؟

أجاب الدكتور كازاليه:

- نعم يا ليدى استويل.. أنك نمت فترة قصيرة.

نظرت اليه وقالت:- هذه احدى ألاعيبك، أليس كذلك؟

- ولكن أتعشم أنك لم تشعرى بأى سوء.

- أننى متعبة.. مرهقة.

نهض الطبيب وقال:- سأصدر تعليماتى لاحضار فنجان من القهوة لك. وسنتركك الآن.

صاحت عندما بلغا الباب:- هل تكلمت؟

- لم تقولى شيئا كبير الأهمية. يبدو أنك ترين أن أكياس المقاعد يجب أن تغسل.

قالت ضاحكة:- هذا صحيح. ولكنك لم تكن بحاجة الى تنويمى مغناطيسيا لكى تذكر لى ذلك.

- وماذا قلت أيضا؟

- تتذكرين أنك رأيت مستر تريفوزيس يضغط على قاطعة الورق بشدة فى الصالون.

- صراحة لا أدرى شيئا من هذا. لعله فعل ذلك.

- هل تتذكرين ستارة منبعجة أو شيئا ما؟

قطبت الليدى استويل حاجبيها وقالت مترددة:- يبدو لى.. أتذكر ذلك فى غموض. كلا.. لا أدرى.. ومع ذلك.

أسرع بوارو يقول:- لا تزعجى نفسك يا ليدى استويل. ليس لهذا أية أهمية.

رافق الدكتور كازاليه بوارو حتى غرفته وقال:- حسن. يبدو لى أنه أصبح لدينا الآن تفسير لا بأس به للأنوار. ليس هناك أى شك فى أنه

كان سير روبن يزجر سكرتيره وينهره بعنف. كان هذا الأخير ينتقم لنفسه على قاطعة الورق ويبذل مجهودا جبارا لكى يرغم نفسه على عدم الرد. أما عن الليدى استويل فان الجزء الواعى من ذهنها كان مشغولا بمسألة ليلى مرجريف فى حين أن حلقها الباطن كان يسجل أمرا ويفسره تفسيرا خاطئا.

ومن هنا اعتقادها القاطع بأن تريفوزيس هو الذى قتلها. ونصل الآن الى الستار المنبعج وهذا أمر هام. وطبقا لما قلت أنت لى فاننى أرى تماما المكتب فى محور النافذة، وهناك طبعا ستائر أمام هذه النافذة.

- نعم. ستائر من المخمل الأسود.

- وهل الفجوة عميقة بحيث يمكن لأحد أن يختبئ فيها ودنا منها؟

- اننى أعتقد أنها من الاتساع بحيث يتسع لكى يختبئ فيها انسان.

- من الممكن اذن أن يكون شخص ما قد اختبأ فى الغرفة. ولكن لو صح هذا فانه لا يمكن أن يكون السكرتير ما دام كل من الزوجين قد رآه يمضى الى غرفته. ولا يمكن أن يكون فيكتور استويل فان تريفوزيس التقى به وهو يخرج من غرفة البرج. ولا يمكن أن تكون ليلى مرجرين. ومهما يكن من أمر هذا الشخص فلا ريب أنه اختبأ فى ذلك المكان قبل أن يدخل سير روبن (محرابه) وبينما كان الآخرون لا يزالون فى الصالون. وقد فسرت لى أنت الأمور بطريقة محددة. والكابتن نايلور؟.. ألا يمكن أن يكون هو الذى اختبأ.

قال بوارو:- هذا جائز. هناك حقيقة مؤكدة وهى أنه تناول عشاءه

فى الفندق. ولكن لم يمكن تحديد الساعة التى غادر فيها الفندق وقد عاد فى منتصف الساعة الواحدة.

قال الطبيب:

- من الجائز أن يكون هو القاتل اذن، فقد كان لديه الدافع، ثم أن السلاح كان تحت يده. ولكن يبدو أن هذه الفكرة لا تروق لك.

اعترف بوارو قائلا:- كلا. اننى أفكر فى شئ آخر. أخبرنى يا دكتور. لو فرضنا أن الليدى استويل أثناء ثانيتين قد ارتكبت الجريمة فهل يمكن أن تفضح نفسها أثناء تنويمها المغنطيسى؟

- أتكون الليدى استويل هى القاتلة؟ هذا جائز طبعا. أننى لم أفكر فى ذلك. انها آخر من بقى مع سير روبن ولم يره أحد بعد ذلك على قيد الحياة. أما بخصوص سؤالك فاننى أميل الى الرد بالنفى لأنها اذا كانت قد قبلت أن انومها مغناطيسيا فذلك لأنها قد عزمت مسبقا أن تلتزم الصمت المطبق فيما يتعلق بهذه النقطة. ومع ذلك فاننى ما كنت لأعتقد أن تكون جازمة هكذا فى اتهامها لمستر تريفوزيس.

قال بوارو:- أننى أفهم. لم أقل اننى أعتقد أن الليدى استويل مذنبة، وإنما هو مجرد احتمال لا أكثر.

قال الطبيب بعد لحظة تفكير:- ان القضية هامة. واذا فرضنا أن تشارلس ليفرسون برئ فهناك مشبوهون كثيرون.. همفرى نايلور وليدى استويل وليلى مرجرين.

- وهناك شخص آخر نسيت أن تذكره وهو فيكتور استويل. فطبقا

لأقواله بقى فى غرفته وترك بابها مفتوحا فى انتظار عودة تشارلس ليفرسون. ولكن ليس لدينا أى دليل على صدق ما يقول.

سأله كازاليه:- أهو ذلك الشخص الذى حدثتنى عنه؟ نعم.

نهض الطبيب وقال:- حان الوقت لكى أعود الى لندن. أذكر لى ما سوف يقع.

وبعد رحيل الطبيب استدعى بوارو خادمه قائلا:- جورج.. أحضر لى كوبا من اليانسون فان أعصابى متوترة.

- حسنا يا سيدي. سآتيك حالا.

وعاد بعد عشر دقائق وهو يحمل كوبا يتصاعد منه الدخان استنشق بوارو بخاره فى لذة وقال: يجب أن نستلهم طريقنا هنا يا عزيزى جورج من القط فانه يقضى الساعات الطويلة المرهقة أمام حجر الفأر، لا يتحرك ولا يبدى أى اهتمام ولكنه لا يبتعد أبدا.

وتنهد بوارو ووضع الكوب الفارغ فوق الطبق وقال:- قلت لك أن تعد حقيبتى لقضاء يومين ولكن غدا سنذهب الى لندن يا عزيزى جورج لاحضار ما يجب ولقضاء أسبوعين.

قال جورج وهو لا يزال جامد الأسارير:- حسنا يا سيدى.

* * *

تسبب وجود بوارو الدائم فى (استراحتى) فى ازعاج الكثيرين. واحتج فيكتور استويل وقال مخاطبا زوجة أخيه: كل هذا جميل يا نانسى. ولكنك لا تعرفين هذا النوع من الرجال. أنه لقى هنا مسكنا

مريحا وستحلو له الاقامة عندك شهرا وربما أكثر وهو يتقاضى عن كل يوم عديدا من الجنيهات.

وردت عليه الليدى استويل بأنها جديرة بأن تدير أعمالها بنفسها.

وبذلت ليدى مرجرين جهدها لاخفاء قلقها. كانت قد اقتنعت بأن بوارو صدقها عندما ذكرت له قصتها ولكنها لم تعد شديدة الثقة من ذلك الآن.

والحق أن طريقة بوارو لم يكن فيها ما يدعو الى الاطمئنان أو ما يبعث الهدوء الى النفس، فبعد اقامته بخمسة أيام هبط الى الصالون، وفى يده البوم ضخم مما يستخدم فى التقاط بصمات الأصابع، والحق أنها كانت طريقة بارعة للحصول على بصمات كل من فى البيت. ولم يستطع أحد أن يرفض. وما أن انصرف الرجل القصير حتى انفجر فيكتور استويل وصاح:

- هل تفهمين معنى هذا يا نانسى؟.. أنه يشتبه فى واحد منا.

- أنت غبى يا فيكتور.

- اذا لم يكن الامر كذلك فلماذا يأخذ بصماتنا؟

قالت الليدى استويل وهى تلقى نظرة ذات معنى الى تريفوزيس:- ان مستر بوارو يعرف ما يجب أن يفعل.

ومرة أخرى اقدم بوارو على وسيلة مختلفة، فقد التقط آثار للأقدام على بضعة فروخ من الورق. وفى صباح اليوم التالى دخل فى صمت، وهو يحرص على أن لا يصدر منه أى صوت، الى غرفة المكتبة

وانفزع تريفوزيس الذى انتفض فى مقعده كما لو أن شحنة كهربية شديدة قد مسته، وقال السكرتير فى شئ من التصنع:

- يجب أن تلتمس لى عذرا يا مستر بوارو ولكن سينتهى بك الأمر الى أن تصيبنا جميعا بمرض القلب.

قال بوارو فى برود:- وكيف ذلك؟

- أعترف بأننى كنت أعتقد أن الأدلة التى اجتمعت ضد تشارلس ليفرسون كانت قاطعة، ولكن يبدو أنك لست من هذا الرأى.

وكان بوارو ينظر من النافذة فتحول اليه فجأة وقال:- مستر تريفوزيس.. سأدلى اليك بنبأ مازال سرا حتى الآن. ما هو؟

بدا التردد على بوارو لحظة، وعندما استقرت نيته أخيرا جاءت كلماته الأولى مع صوت باب فتح ثم أغلق فجأة فلم يتبينها تريفوزيس جدا. وعاد بوارو فقال فى صوت مرتفع واضح على الرغم من أنه ذكر له بأنه سيدلى اليه بسر: سأخبرك بشئ فيما بيننا يا مستر تريفوزيس. هناك رأى جديد يقول أن تشارلس ليفرسون دخل غرفة البرج فى نحو منتصف الليل بعد أن قتل سير روبن.

نظر السكرتير اليه بعينين محدقتين وقال:- ولكن... هذا رأى غريب؟... لم نسمع شيئا عنه.

قال الرجل القصير فى لهجة غامضة:- ستستمعون عنه قريبا. ولكن لا يعلم به أحد غيرى وغيرك فى الوقت الحاضر.

وأسرع خارجا من غرفة المكتبة وكاد يصطدم بفيكتور استويل.

- هل عدت الآن يا مستر استويل؟

- نعم. ان الطقس فظيع فى الخارج... فظيع وعاصف.

- لن أخرج لكى أتمشى اليوم اذن... اننى كالقط أحب الجلوس بجوار النار ولا أبرح مكانى.

وفى المساء قال بوارو لخادمه المخلص:- اننا نتقدم يا جورج... فهم على أحر من الجمر. انها لعبة تنطوى على قسوة شديدة، واعنى بها لعبة القط والفأر... فهى تقوم على الانتظار ولكنها تأتى بثمارها أخيرا... سنحاول أن نقوم بتجربة أخرى غدا.

وفى صباح اليوم التالى اضطر تريفوزيس أن ينتقل الى لندن واستقل نفس القطار الذى استقله فيكتور استويل. وما كادا يغادران البيت حتى أسرع بوارو الى العمل بطريقة غريبة فقال:

- تعال معى يا جورج... هيا بنا الى العمل. اذا اقتربت احدى الخادمات فأوقفها بأية حجة ولا تدعها تدخل.

ومضى الى غرفة السكرتير أولا وقام فيها بتفتيش دقيق ففتح كل الأدراج وفحص كل الرفوف ثم أعاد كل شئ على عجل. وقال لجورج أنه فرغ من عمله. وكان هذا الأخير يقوم بالمراقبة فى الطرقة فسعل فى احترام وقال: التمس معذرتك يا سيدى.

- نعم يا عزيزى جورج؟

- أنك لم تعد الأحذية كما كانت يا سيدى، فان الزوجين البنيين كانا على الرف العلوى أما الآخران السوداوان فكان على الرف السفلى.

قال بوارو:- انت مدهش يا جورج، ولكن لا تقلق فهذا لا أهمية له. أؤكد لك أن مستر تريفوزيس لن يفطن الى هذا الاختلاف.

- كما تشاء يا سيدى.

قال بوارو فى لهجة مشجعة:- هى مهنتك التى تجعلك تفطن الى كل شئ. وهذا أمر يشرفك.

لم ينطق الخادم. وبعد دقائق، حين حدث نفس الشئ فى غرفة فيكتور استويل ولم يقل شيئا. ومع ذلك فقد اثبتت الأحداث أن الخادم كان على حق فان فيكتور استويل دخل الصالون كالعاصفة وصاح:

- قل لى أيها البهلوان... أيها البلجيكى القصير القذر... من الذى سمح لك أن تفتش غرفتى؟... ما معنى هذا؟... ماذا كنت تحسب أنك ستجد بحق الشيطان؟... اننى لا أريد هذا هل تسمع؟... هذا ما يحدث عندما نحتفظ لدينا بجاسوس قذر يدس أنفه فى كل شئ.

بسط بوارو يديه الى فيكتور استويل فى حركة بليغة وراح يعتذر. وتدفقت الكلمات من بين شفتيه كالسيل الذى لا يريد أن ينقطع فالتمس العفو مائة مرة ثم ألف مرة ثم مليون مرة. وقال أنه أظهر فضولا أخرق ونشاطا أحمق وأنه لهذا آسف ونادم، وسمح لنفسه بحرية لا مبرر لها... بحيث أن فيكتور استويل الغاضب الهادر لم يملك أخيرا الا أن يهدأ ويسكت.

وفى المساء قال بوارو وهو يحتسى شراب اليانسون مخاطبا خادمه:- اننا نتقدم يا عزيزى جورج... نتقدم.

وقال فى صباح اليوم التالى:- أن يوم الجمعة هو اليوم الذى يواتينى فيه الحظ.

- حقا يا سيدى؟

- أظنك لست موسوسا يا عزيزى جورج؟

- أننى أوثر أن لا أجلس الى مائدة تضم ١٣ شخصا ولا أحب أن أمر تحت سلم يا سيدى ولكننى لا اكترث بيوم الجمعة.

- حسنا... اليوم هو يوم النصر بالنسبة لنا.

- حقا يا سيدى؟

- ومع ذلك فأنت لا تسألنى عما أنوى أن أفعل؟

- وماذا تنوى أن تفعل يا سيد؟

- سأقوم اليوم بتفتيش عام فى غرفة البرج.

والواقع أنه استأذن الليدى استويل ومضى بعد تناول طعام الافطار الى الغرفة التى وقعت فيها الجريمة. وكان الذين يمرون بالطرقة أمام الغرفة المذكورة يرونه مرة جثيا على أربع فوق السجادة وأخرى متشعلقا فوق المقاعد العالية يفحص كل شئ موجود بالغرفة فحصا دقيقا وينقل الاطارات من مكانها ويجس الستائر. ولأول مرة أحست ليدى استويل بالانفعال وقالت:

- يجب أن اعترف بأنه بدا يثير أعصابى. ان فى رأسه فكرة معينة ولكننى لا أدرى ما هى. وهذه الطريقة التى يزحف بها فوق

الأرض كما تفعل الكلاب تجمد الدم فى عروقى. عم يبحث؟ أريد أن أعرف ذلك يا ليلى. ألا تريدين أن تصعدى يا عزيزتى ماذا يفعل فى هذه اللحظة؟... كلا. انتى أفضل أن تبقى هنا معى.

سألها تريفوزيس وهو ينهض: هل تريدين أن اذهب أنا يا ليدى استويل؟

- اذا تكرمت يا مستر تريفوزيس.

صعد أوين تريفرزيس إلى غرفة البرج فى بادئ الأمر شعر أنه ليس بها أحد لأنه لم ير أى أثر لبوارو وهم بأن يهبط عندما سمع صوتا ورأى البلجيكى القصير فوق بسطة السلم الحلزونى الذى يؤدى الى غرفة النوم. وكان بوارو جاثيا على أربع يفحص بالعدسة شيئا فوق احدى الدرجات بجوار السجادة.

ووضع العدسة فى جيبه وهو يزمجر ثم نهض واقفا وهو يمسك شيئا دقيقا بين ابهامه وسبابته. ورأى تريفوزيس فى هذه اللحظة فقال: آه. أهذا أنت يا مستر تريفوزيس؟. لم أسمعك وأنت تدخل.

وكان بوارو قد تغير فأصبح رجلا آخر... رجلا يحس بنشوة الانتصار والفرح. وقال تريفوزيس مدهوشا:

- ما الخبر يا مستر بوارو؟... أنك تبدو مسرورا جدا.

نفخ الرجل القصير صدره وقال:- واننى كذلك.... فاننى وجدت أخيرا ما أبحث منه منذ أول يوم. أنه معى هنا، بين يدى الشئ الوحيد الذى كنت احتاج اليه لكى أفحم القاتل.

قال تريفوزيس وهو يرفع حاجبيه:

- ليس هو تشارلس ليفرسون اذن؟

- كلا. على الرغم من أننى كنت أعرف أنه ليس القاتل فاننى لم أكن واثقا من اسم القاتل الحقيقى. ولكن أتضح لى كل شئ الآن.

وهبط الدرجات الأخيرة وربت بيده على كتف السكرتير وقال:- اننى مضطر ان أذهب الى لندن الآن. اطلب من الليدى استويل نيابه عنى ان يجتمع الجميع هنا فى هذه الغرفة فى الساعة التاسعة مساء. سأكون قد عدت عندئذ وساكشف الحقيقة. آه... اننى مسرور جدا.

وراح بوارو يرقص بعد ذلك بصورة غريبة وخرج وهو يجرى تاركا تريفوزيس مشدوها.

وبعد بضع دقائق من هذا المشهد عاد المخبر السرى الى غرفة المكتبة وسأل هل يمكن أن يجد علبة صغيرة من الكرتون وقال:

- اننى بحاجة ماسة الى علبة صغيرة لكى أضع فيها شيئا ثمينا.

ووجد تريفوزيس ما يريد بوارو فى درج المكتب، وأبدى بوارو سروره. وصعد أربعا أربعا حيث وجد جورج على بسطة الطابق الأول فأعطاه الكنز الثمين قائلا: يوجد هنا شئ ثمين لا يقدر يا عزيزى جورج. ضعه فى هذا الدرج الثانى من طاولة الزينة بجوار العلبة التى فيها أزرار قمصانى اللؤلؤية.

- حسن جدا يا سيدى.

- توخ الحرص والحذر فان ما فى هذه العلبة سيسوق القاتل الى المشنقة..

- آه.. حقا يا سيدى..

هبط بوارو ركضا وأخذ قبعته وانصرف كالسهم.

وعاد سرا كما انصرف واستقبله جورج، طبقا لتعليماته، وأدخله من باب الخدم وقال يسأل: هل اجتمع الجميع فى غرفة البرج؟

- نعم يا سيدى.

وتبادل معه بضع كلمات فى صوت خافت ثم مضى بوارو وهو يحس بنشوة الانتصار الى تلك الغرفة التى شهدت جريمة القتل منذ أقل من شهر وردد البصر فى الغرفة. كان الجميع موجودين: الليدى استويل وفيكتور استويل وليلى مرجريف والسكرتير وبارسونز. رئيس الخدم. وكان هذا الأخير مترددا بجوار الباب. وقال بمجرد أن وقع بصره على بوارو: قال لى مستر جورج أنك قد تحتاج الى أنا أيضا. فهل هذا صحيح؟

أجابه المخبر السرى:- هو ذلك. أرجو أن تبقى.

وتقدم حتى وسط الغرفة وقال وهو يزن كلماته:- كانت هذه القضية من أكثر القضايا أهمية بالنسبة لى لأن قاتل سير روبن استويل يمكن أن يكون أى شخص. من الذى يرث ثروته؟ الليدى استويل وتشارلس ليفرسون. ومن الذى بقى معه الى وقت متأخر من الليل؟ الليدى استويل. ومن الذى تشاجر معه مشاجرة عنيفة؟... الليدى استويل كذلك.

صاحت الليدى استويل:- ماذا تقول؟... اننى لا أفهم ما...

ولكن بوارو استطرد يقول:- بين أن شخصا آخر تشاجر معه فى تلك الليلة. شخص آخر غادره فى تلك الليلة وهو يغلى من الغضب. واذا فرضنا أن الليدى استويل غادرت زوجها على قيد الحياة فى الساعة الثانية عشرة الا عشر دقائق فان عشر دقائق تكون قد انقضت بين مغادرتها له وبين عودة مستر تشارلس ليفرسون... عشر دقائق استطاع شخص آخر اثنائها الهبوط خلسة من الطابق الثانى وارتكاب جريمته ثم العودة الى غرفته ثانية.

وقف فيكتور استويل على قدميه وهو يصرخ:- ماذا تقول بحق...

وسكت وهو يكاد يختنق من الغضب: مستر استويل... حدث وأنت فى افريقيا الغربية ان قتلت رجلا فى لحظة غضب؟

صاحت ليلى مرجريف:- اننى لا أصدق هذا.

ونهضت وقد ضمت قبضتها فى توتر واضطربت وجنتاها فقال فيكتور:- هذا صحيح يا ليلى. ولكن هناك شيئا لا يعرفه هذا الرجل، هو أن الرجل الذى قتلته كان ساحرا سبق أن ذبح خمسة عشر طفلا. واننى اعتبر أن تصرفى هذا كان له ما يبرره.

اقتربت ليلى من بوارو وقالت:- مستر بوارو. انك مخطئ. ليست حدة الطباع وانفجار المشاعر بسبب كاف لكى يدفع رجلا الى ارتكاب جريمة القتل. اننى أعرف تماما، بل وأؤكد لك أن مستر استويل لا يمكن أن يقدم على مثل هذا العمل.

تأملها بوارو مبتسما ابتسامة غريبة ثم أخذ يدها فى رفق وقال فى صوت رقيق:- أرأيت يا آنسة؟... ان لك أنت أيضا غرائزك. انك تثقين

فى مستر استويل، أليس كذلك؟

وكانت ليلى قد هدأت فقالت:- ان مستر استويل رجل شهم وشريف. ولا دخل له مطلقا فى مسألة مناجم مبالا. انه رجل مستقيم ونزيه وقد وعدته أن أكون زوجته.

أخذ فيكتور يدها الأخرى وقال:- مستر بوارو، أقسم لك أمام الله اننى لم أقتل أخى.

قال بوارو:- اننى أعرف ذلك.

وردد فى الغرفة ثم قال: اصغوا الى أيها الأصدقاء. قالت الليدى استويل وهى نائمة مغناطيسيا أن احدى الستائر كانت منبعجة فى تلك الليلة.

تحولت كل العيون الى النافذة وصاح فيكتور استويل:- هل تعنى أن لصا اختبأ هنا... يا له من تفسير جميل!

قال بوارو فى رقة:- لم تكن هذه الستارة.

وأشار الى الباب المؤدى الى السلم الحلزونى وقال: كان سير روبن قد رقد فى غرفة النوم فى الليلة السابقة، وتناول افطاره فيها وقد استدعى مستر تريفوزيس لكى يصدر اليه تعليماته أثناء ذلك ولا أدرى ماذا نسى مستر تريفوزيس فى هذه الغرفة ولكنه نسى فيها شيئا ما. وبعد أن حيا سير روبن والليدى استويل فى تلك الليلة تذكر ذلك الشئ فصعد لكى يبحث عنه. وكانت المشاجرة قد بلغت أشدها بين الزوجين عندما هبط وسمعهما يتراشقان بألفاظ السباب واتضح له أنه فى موقف حرج وأدرك بجلاء أنهما كانا يعتقدان أنه مضى الى غرفته منذ

وقت طويل. وخشى أن يثير غضب سير روبن ضده فرأى أن يبقى حيث هو وأن يختفى بمجرد أن يجد الفرصة لذلك. كان يقف خلف هذه الستارة، وعندما غادرت الليدى استويل الغرفة لاحظت شكلها المنبعج وان كانت لم تدرك ذلك.

وبعد انصراف الليدى استويل حاول مستر تريفوزيس أن يهرب من غير أن يراه سير روبن ولكن هذا الأخير ادار رأسه فجأة وراه. وكان هائجا فازداد هياجا ورمى سكرتيره بأقذع السباب واتهمه بأنه يسترق السمع وأنه ليس أكثر من جاسوس.

وعلم النفس يهمنى كثيرا. ففى أثناء تحرياتى لم أكن أبحث عن الشخص الغضوب لأن الغضب صمام الأمان والكلب الذى ينبح لا يعض. كلا... انما كنت أبحث عن الرجل الهادئ الذى ظل تسعة أعوام يقوم بدور كبش الفداء والضحية. والمجهود المضنى والمرهق هو ذلك المجهود الدائم المستمر والغيظ الذى يتجمع ببطء يوما بعد يوم... لم يكف سير روبن طوال تسع سنوات عن لوم سكرتيره وزجره واساءة معاملته. وقد احتمل هذا الرجل كل هذا فى صمت. ولكن تأتى لحظة يتحطم فيها الزنبرك وينقطع الحبل المشدود أكثر من اللازم. وهذا ما حدث فى تلك الليلة الفظيعة. فقد جلس سير روبن مكانه أمام مكتبه. ولكن السكرتير، بدلا من أن يمضى فى دعة وتواضع نحو الباب فأخذ الهرواة الخشبية الضخمة وضرب الرجل الذى أساء معاملته مرة أخيرة.

وتحول بوارو الى تريفوزيس الذى راح ينظر اليه وهو كالمصعوق وقال:- ان الدليل على براءتك كان بسيطا. فان مستر فيكتور استويل كان يعتقد أنك فى غرفتك، ومع ذلك فما من أحد رآك فى تلك الليلة

وأنت تمضى اليها. خرجت من غرفة البرج بعد أن قتلت سير روبن عندما سمعت ضجة فأسرعت عائدا واختبأت خلف هذا الباب، وكنت واقف خلفه عندما دخل تشارلس ليفرسون، وكنت لا تزال خلفه عندما دخلت ليلى مرجريف بدورها. ولم تتسلل من مكانك الا بعد وقت طويل فذهبت الى غرفتك فهل تنكر هذا؟

- اننى... اننى... لم...

قاطعه بوارو قائلا:- لنفرغ من كل هذا... منذ أسبوعين وأنا أقوم بمهزلة... احكمت الشبكة حولك... فأخذت بصماتك وأثر قدميك وفتشت غرفتك وحاجياتك وأعدتها مكانها كما كانت... زرعت فى نفسك الخوف والفزع وقضيت ليال بيضاء تتوقع فيها كل شئ... ألم تترك بصماتك فى غرفة البرج؟... أو انطبع أثر حذائك منها؟

كنت تعود دائما الى أحداث تلك الليلة وتسأل نفسك ماذا فعلت أو ماذا اهملت. وانتهى بك الأمر الى أن أقدمت على الكبوة التى كنت انتظرها. فبعد ظهر اليوم قرأت الذعر فى عينيك عندما رأيتنى ألتقط شيئا من فوق هذا السلم حيث اختبأت انت مدة طويلة. وعندئذ انتهزت الفرصة. وكان لابد لى من علبة صغيرة أعطيتها لجروج ثم خرجت.

وصاح بوارو يقول:- جورج!

- هأنذا يا سيدى.

- أعد على هؤلاء السادة التعليمات التى أصدرتها اليك قبل خروجى.

- انك امرتنى يا سيدى أن ابقى مختبأ فى دولاب غرفتك بعد أن

وضعت العلبة حيث قلت لى. وفى الساعة الثالثة والربع دخل مستر تريفوزيس ومضى الى الدرج رأسا وأخذ العلبة المذكورة.

قال بوارو معقبا: ولم يكن فى تلك العلبة غير دبوس عادى. وأنا أقول الحقيقة دائما. التقطت شيئا من فوق السلم.. التقطت دبوسا. ويقال ان الدبوس يجلب الحظ. وقد جلب لى الحظ لأننى اكتشفت القاتل.

وتحول الى السكرتير وقال:- أرأيت أنك فضحت نفسك.

وفجأة انهار تريفوزيس وتهالك فوق مقعد ودفن وجهه بين يديه وراح يبكى وتأوه قائلا: كنت مجنونا... مجنونا.. ولكن رحماك يا الهى! أنه ظل ينغص على حياتى وعذبنى فوق ما يحتمل البشر... وذلك لمدة سنوات طوال... كنت أبغضه... وأكرهه.

صاحت الليدى استويل:- كنت اعرف ذلك.

ونهضت وقد تألق وجهها بنشوة الانتصار وقالت:- كنت أعرف أن هذا الرجل هو القاتل.

قال بوارو:

- وكنت على حق يا ليدى استويل.. ان غريزتك لم تخدعك.

تمت

